

عَرَايَا الرُّوحِ
رَوَايَةٌ

حَلَا المَطْرِي

رواية

عزايَا الروح

حلا المطري

دار تويَا للنشر والتوزيع

إهداء

وطلَّ لَيْلٌ مِنْ شُرْفَةِ الشُّوقِ . . لَيْلٌ يُسَيِّرُنِي نَحْوَ قَلَمٍ، وَوَرَقَةٍ
عِذْرَاءٍ. كِي أَرْقُهَا بِحُرُوفِي " إِلَيْكُمْ " . . وَرِحْلَةً . . . مِنْ الشِّتَاءِ لِلصَّيْفِ...
لذا . . .

إِلَى مَنْ تَهَمَّهُ قِضَايَا الْحَرْفِ، وَكَيْفَ تَكشِفُ لَنَا سَوَاءَاتِ الْحَيَاةِ
عَلَى شِفَاهِ سَطُورِهَا . . هَاكُمُ حُرُوفًا عَارِيَةً . . لَا تَخْشَى عُرْيَهَا . .
وَإِلَى أُمِّي، وَأَبِي . . وَإِخْوَتِي . . بِدُونِكُمْ لَا أَكُونُ حَلَا . . وَمَا الْحَلَا
بِدُونِكُمْ؟

وَإِلَى صَدِيقَاتِي وَأَصْدِقَائِي، بِكُمْ الْحَيَاةُ أَجْمَلُ . . سَامِيَةٌ وَهَبَةٌ
وَيَاسْمِينُ " سِرْبُ الْبُومَاتِ " وَفَاطِمَةُ وَنَدَى . . وَالزَّمِيلُ الْعَزِيزُ صَاحِبُ
طَارِقِ.

وَإِلَى الْحَبِيبِ . . . حِينَ يَخْتَارُنِي . . وَأَخْتَارُهُ . . ذَاتَ شِتَاءٍ رُبَّمَا . . أَوْ
رَبِيعٍ!

مُودَّتِي . .

حَلَا الْمَطْرِي

المترو... "العادة" المصرية..

الشقاء، اللامفر لأغلب أبناء الشعب. أبناء الغالية تارةً والمحروسة تارةً أخرى. التصاقُ الأجساد الذائبة وتزاوجُ الأنفاس في عجالٍ على مرأى من الجميع. حركة الأقدام السريعة كدبّاتِ النمل في آنٍ واحد.. صهدُ الجُدران الذي يلفحُكَ فورَ وصولِكَ إلى نفقِ المُشاة الأرضي، تلكَ العتمة النّفقيّة الأولى التي تُبشِّرُك بيومٍ طويلٍ وشاق، يومٍ مصري بامتياز. لا فرقَ بينَ صيفٍ وشتاء، والحقُّ أنّ الصّيفَ ألعن، حباتُ العرقِ المتساقطةِ عن جسدكَ تكادُ تدعوكَ لخلعَ جلدك قبلَ ملابسك..

والصراخُ عاليًا:

- "يا دين أمي ع الحر"

لِمَ يتحول البشر إلى آليين في هذا المكان الأغرَب تحت الأرض؟ الكلُّ في عالمه تائه. لا يهَمُّهُ سوى الوصول إلى وجهته من خلال هذا العالمِ الفوضويِّ السّريع بجوازِ سفرٍ أصفرٍ فاقعٌ لونه، فتجدُ منهم من يمسكُه بيده، ومنهم من يضعه في جيبه،

وأخريات يحشرنه حشراً خلفَ حجابهنَّ خشيةً أن يضيع
ويهدرَ رمقَ الجنيه.

رجال ونساء آليونَ بامتياز. . إلى أن يصل "الكرنفال المتنقل
الأعظم" الذي يجمع جميع فئات الشعب. . بدءاً من الطبقات
الوسطى وصولاً إلى مَنْ يعيشون تحت الأرض أحياناً، أولئك الذين
يأكلون الترابَ أكلاً، ناهيك عن الباعة المتجولين الذين يقذفون
بضائعهم عليك، وعليك قصرًا تلقفها منهم وهم يرددون أغرب
العبارات المحشوة بلفة "حشيش معتبرة" ثم يعودون ليجمعوا
بضائعهم على عجل وهم يلعنون سرًا كل مَنْ لم يشتر.

هناك حيث وقف ذلك الشاب قمحي الطلّة في انتظار
المترو القادم واضحًا كلتا يديه في جيبه، نظر يمينه فوجد شابًا
وفتاة يتبادلان الحب كنسخة رديئة من روميو وجولييت، وقف
يطالعهما وهو يرفعُ حاجبًا إلى أن لحظه الشاب مدهون الرأس
ونهره قائلاً:

- "في حاجة يا كابتن؟"

فحيّاه يزن بيده وأشاح بوجهه في انتظار قدوم المترو، فليس
من شأنه أن يقول:

- "هو الحب ولّع في الدرة كده عشان تحبوا فبعض هنا؟"

لأن أقرب جملة سيلفظها "الحبيب":

- "وأنت مال أمك؟"

وصل " سبع البرومبة " أخيراً وهو يكتظ بالخلق حدّ الالتصاق بالنوافذ والأبواب وكأنه " سيطفح " بشراً في أي لحظة. منظر يُفزعك للوهلة الأولى وفي كل مرة، لكنك سرعان ما تستكين حينَ تصبح بينهم -واحد بين المئات- إلى أن يشهق راكب آخر من هول المنظر.. وهكذا اليوم يسير . !

دخل يزن المترو بعد عَناء، عادةً ما يقف قبالة الباب ليطالع انعكاسه الشارد، ليتأمل سنين عمره الثمانية والعشرين وعيناه المجهدة بالأمس والوطن.

وصل إلى محطة روض الفرج حيث يقطن في " شبرا " العظيمة. استقل حافلة صغيرة أخرى لتأخذه " لأولاد بطيخ " حيث يشرب من هناك التمر الهندي المعتاد قبل صعوده إلى عرينه المتواضع. استقبلته يسرا بعينين ضاحكتين:

- " بتشرب التمر الهندي زي الأطفال، بُص لشنبك الأحمر. "

واسترسلت في ضحكاتهما، ابتسم لها قائلاً:

- " آه أنا طفل، عندك اعتراض؟! "

وأخذها بين ذراعيه وقال هامساً:

- " أجمل أخت في العالم! "

فابتسمت له بحنان، قبل أن تستغل قربها من أذنيه، وقالت هامساً:

- " نفسي ترجع تصلي تاني زي زمان يا حبيبي "

تنهد طويلاً وأبعدها تلقائياً عن ذراعيه وقال:

وجد نفسه إمام جامع يعتلي منبراً في مسجد كبير، مسجد لا سقف له، وفي السَّماء غريان تنعقُ وتطير بنغم دائري، وأمامه بشر لا وجوه لهم، يجلسون على سجاجيد صلاة قذرة موبوءة بالخطيئة، ونساء كاسيات وأخْرُ عاريات، وقوارير نبيد مُكدّسة ومُلقية هنا وخارج هنا. . وضحكات زانية وصخب عاهر. أمسك ورقة الخطبة التي يتراءى له أنه أعدّها منذُ أيام الثانوية فوجد الورقة تتراقص فيها الحروف إلى أن تلاشت تمامًا منها. فألقاها جانباً وراح جبينه يتصبّب عرقاً، لم يكن يرتدي ما يوحي بأنه إمام لجامع، بل كان يرتدي بنطال جينز هابط الخصر يظهر ملابسه الداخلية وأوائل مؤخرته و "تي شيرت" صاحب مكتوبٍ عليه:

"I don't give a sh@% "

أمسك الميكروفون وقال بصوت جهوريّ قلق:

"إن الحمد لله. . نحمده ونستعينه ونستغفره. . . . "

وإذا بغانية تضحك وتقطع حديثه. . قائلةً:

- "يلا قوم يا كوكو إنت نمت ولا إيه؟؟"

انتفضّ يزن من نومه وكأنه يهوي من على جبل، إنها يسرا توقظه. . راحت تهدئه ب "بسم الله الرحمن الرحيم" وتقول جَزعة:

- "مالك؟"

نظر إليها مذعوراً ومن ثمّ إلى أرجاء الغرفة، وحين اطمئنّ أنه عاد سالمًا إلى الواقع الأشد قسوة، قال:

- "مفيش. . مجرد كابوس!"

- "تاني؟؟"

فأجابَ كَمَن يحب الفرار:

- "أنا جعان يا يسرا!"

- "الغدا جاهز"

- "ثواني وطالع"

أعدل من جلسته، وغطى وجهه بكفيه بعد أن طلب منها أن
تمده بعلبة السجائر.

تنهدت وقالت:

- "ربنا يهدي"

وخرجت بعينين دامعتين، عادت لدفتر مذكراتها تشكي له
وجعًا بحروفها ذات الثمانية عشر عامًا، يزن لم يعد يزن! يزن هو
شبح ملعون لأخ تعشقه حدّ الوجدع والحب.

كم تتمنى لو يعود يومًا لها ذاك الأخ الطيب المسلم المهتمد
فلا تشعر بالغربة كلما رأته.

رَنّ هاتفها، نظرت إلى الشاشة بانكسار وسرعان ما ارتسمت
بسمه ملائكية على شفاهها سرقتها من براثن أخ لم يعد يومًا
كما كان. .

- "وح وح"

وذابت مع المياه. أغمضت عينيها، فلاحَ في الأفق نسيم
والديها، قتيلا العام الماضي على يد سائق طائش.

أدمعت مقلتيها وارتعشت شفتيها، فأعدلت من جلستها
وتكّورت كجنين يتيّم. وراحت تشهق بالأمس، تبكي، تنوحُ بصمتٍ
إلى أن ضاقت بها ضلوعها، دُقَّ الباب وأتى صوت مبجوح من
الخارج:

- "ليه بتعيطي دايماً في الحمام؟ ارحمني عنيكي، هتظهري ع
الهوا كمان ساعتين!!"

وصمت ذلك الصوت. .

مسحت فرح دموعها، وتنهدت للمرة الأخيرة، ونهضت كفرسة
مُبتلة بالألم والشموخ.

وضعت المنشفة حولها، وراحت تحدق في وجهها في المرآة بعد
أن أزالَت البخار عنها.

كم يرسم الموت أشباحًا على وجوهنا، فتصينا لعنات الذكرى
والأمس!

خرجت من الحمام، وجدت عمتهابني تهاتف أحدهم،
أدارت ظهرها لها، فسمعتها تقول بعد أن وضعت سماعة الهاتف
على كتفها:

- "قولي لأنيتا تحضرك الفطار!!"

- "فين علبة السجاير؟"

سألته فرح لا مبالية.

فأجابته العمدة لبني:

- "ع الكونسول، افطري الأول"

توجهت فرح تلقائيًا إلى حيث أعقابها المهذئة، أمسكت علبة
الMarlboro الحمراء وأشعلت واحدة بهدوء، وصاحت:

- Anita, bring me my new clothes and my coffee, please!

فأتاها صوت صغير من أحد الغرف:

- Right away madam!!

فراحت فرح تتأفف من أمر هذه الأنيتا التي تدعوها دومًا
بالمدام وهي في الحقيقة آنسة ذات ستة وعشرين عامًا..

دخلت غرفتها بعد أن اطفأت سيجارتين صباحيتين، وألقت
نظرة على ملابسها الجديدة التي وصلتها من فرنسا، وارتدتها
على عجل وهي تحتسي قهوتها الحالكة.

بنطال جينز فاتح، خُلِق لينحت ساقها. وبلوزة بيضاء
دائرية الصدر مرسوم عليها مارلين مونرو بشفاها الطاغية.
. ارتدت سلسالًا ذهبيًا طويلًا، وخلخالها الفضي، وكعب الـ ١٢
سم المعتاد. شربت آخر رشفة من القهوة وهي تصفف شعرها
الطويل.

لم تضع أي مستحضرات تجميلية كعادتها، هذه وظيفة مبنى
الإذاعة والتلفزيون. والحق أنها تؤمن أن المكياج خلق ليواري
سوءة، ولكن استخدامه ضروري. خصوصًا في مجال عملها. فرح
عصام، المذيعة الصباحية المتألقة دومًا وأبدًا في أحد البرامج

الشبابية الناجحة. . "بسمه الصباح" كما يطلق عليها معجبيها على الفيس بوك. . أكثر من خمسين ألف متابع لها في ذاك العالم المزيف الأزرق، كم تشفق عليهم وتكره سطحتهم. فلولا جمالها لما اكرث لها أكثر من نصف ذلك العدد. لولا تلك الصورة المشاكسة لها على صفحتها لما نالت تلك الأعداد المهولة من الـ followers .

رب ضارة نافعة/كاذبة.

استقبلها كريم مُعدّ البرنامج، الفتى السريع كما يطلق عليه.

- "قريتي الأسئلة"

أومأت برأسها أن نعم وهي تطالع هاتفها الذي وهي تكتب منشورًا صباحيًا ترضي به جياح الفيس بوك.

- "مزاجك عال النهارده؟؟ شربتي قهوتك؟ ، سجايك؟"

- "كله تمام يا معلم. . ، ناديلي بس على محيي علشان

المكياج"

فانطلق كريم كالرمح، وصلت فرح إلى غرفتها الخاصة، وجلست على كرسي علوي أمام مرآة كبيرة وبكلتا يديها راحت تمسح خديها. اليوم ستقابل مجموعة من الشباب الجامعيين الذين كَوّنوا سربًا خيريًا بعنوان "يوم لغيرك" يساعدون فيه المحتاجين بطرق مبتكرة وقلوب عامرة بالخير.

- "هم دول بجد؟؟"

راحت تسأل نفسها.

وصل محيي. . لا يزال يرتدي بنطالاً ضيقاً لا يتناسب أبداً مع
"كرشه" المتدلي:

- "صباح الخير"

ألقاها باسمًا.

- "أهلاً يا محيي. . إزيك يا فنان؟"

- "بخير يا بدر البدور، مش ناوية تبطلي سجاير بقى؟"

لم تجبه، فقال:

- "باين قوي إنك مدخنة من بشرتك، التجاعيد اللي جمب
عنيكي الجميلة واضحة قوي وال. . ."

- "أصبحنا وأصبح الملك لله. . محيي. . انجز وحياة أبوك."

أجابها بابتسامة وهو يضع كريم الأساس على وجهها بمهارة
فني تجميل. فأعطته وجهها بانهزام وهي تفكر بذاك القناع
الفاكهي الذي يحمي البشرة من التجاعيد. توت؟ أم خوخ هذه
المرة؟؟

دخلت الأستوديو، الغرفة المثلجة، يا الله كم تكره الديكور
القاتم ذاك، ولكن كريم وعدها أن يأتي بمصمم ديكور يُغَيِّر طَلَّة
المكان. سرقت الأنظار إليها كعادتها حتَّى وصلت إلى مقعدها.
رحبت بالشباب المُتفائل إلى أن صاح كريم:

- "يلا ع الهواااا. . خمسة، أربعة، ثلاثة، اتنين. . اضرررررب"

نظرت الفرسة صوب الكاميرا بثقة كل صباح:

- "صباحكم حُب. . صباحكم ورد، صباح الأمل والبهجة عليكم، وحشتوني من امبارح للنهاردة، حبايبي.. بوعدكم بحلقة جميلة مع شباب أجمل، شباب جدعة مصرية أصيلة عندها فكر وإبداع مختلف وحابة إنها تعمل حاجة جميلة لمجتمعنا المصري في ظل ظروف البلد الحالية، تعالوا مع بعض نرحب دلوقتي بيهم ومعانا....."

كذب المذيعون ولو صدقوا



٣

يوم مُشمس آخر، نهار مشتعل بالبشر، ضجة مرورية مُعتادة، هناك حيث ينتظر أحمد في سيارته ال " بي أم " الجديدة سرب السيارات أن تسير على الدائري.

يستمتع لموسيقى كلاسيكية هادئة وهو يحتسي قهوته المعتادة من star bucks.

نظر في ساعته الروليكس وهو يتثائب بضجر:

- "أبو أمك يا دائري"

يبدو شابًا أنيقًا بلسانٍ سليط، هكذا هو أحمد الشَّرقاوي، فتى أبيه المُدلل صاحب شركات الشَّرقاوي لتصدير الحديد، أحمد عز رقم خمسة أو رُبما ستة في البلد.

وسيم في الخامسة والعشرين، أرعن، مُتمرد بطبعه، لا يعترف بالرتابة مطلقًا. ترَجَّل من السَّيارة أخيرًا وراح يفك زر بدلته فور خروجه منها. استقبله الحراس بالتهاني والتبريكات وكأنه نبي أو من أولياء الله الصالحين. .

- "يا أهلاً بالباشا. يا أهلاً بالباشا". .

لا يمر بالشركة سوى لبضعة مرات في الشهر، لمتابعة الأعمال وآخر المستجدات، ولرؤية موظفات الشركة الجديديات ليختار منهن فريسته.

انتفضت سارة لدى رؤيته ونهضت عن مقعدها خلف المكتب. .

- "أستاذ أحمد!!"

قالتها بقلق، نظر إليها سريعًا وهو يهيمّ بالدخول لمكتب والده، وقال بعد أن أشاح بوجهه عنها:

- "أنا شربت قهوة خلاص"

سارة، فاكهة الشهر الماضي التي افترسها أحمد، الهدف قصير الأمد، الشهوة منزوعة الروح، الجسد!

عادت تجلس لمقعدها بتخاذل وأدمعت عينيها فسالت الماسكارا على وجهها الجميل.

- "هو أنا عملت في نفسي إيه؟"

راحت تسأل نفسها وهي تستكمل أعمالها على جهاز الكمبيوتر، فلم تستطع تمالك نفسها إذ تزاхمت دموعًا في عينيها، ففرَّت إلى الحمام.

هناك حيث أقفلت الباب خلفها كي لا تدخل إحدى الموظفات خلفها وتشمت بها بعد أن فاح إثمها. وراحت تحديق في مرآة مُعلّقة لا تذكرها سوى بخطيئتها. راحت تمسح دموعها السوداء وتُعيد تهذيب شعرها المُموج الطويل. أغمضت عينها وراحت تذكره حين قال لها حروفاً أربع ذات يوم. . حينَ قالها وهو يُقبّل أصابع قدميها الخمس قبل أن يعتليها. . وما إن انتهى منها، حتّى ابتسم في وجهها ابتسامة لم تفهمها وقتها إلا أنها اعتقدتها ابتسامة سلام بعد ساعتَي عشقٍ طويلة، لكنها الآن تُدرك مرارتها، كيف لتلك القُبلة الأولى أن تكون بهذه المرارة الآن؟ والقُبْلُ لم تُخلَق إلا لتزيدَ الشَّفاه حلاوةً؟

سارة لم تكن سوى أخرى في سجلاته النسائية الطويلة، لكنها أخرى أحبته حدّ الوجع، فأصيبت بالعمى من كل الأشياء إلاه. وضعت أحمر الشفاه، وأخرجت هاتفها لتتصل به ولكنه سرعان ما أنهى المكالمة قبل بدئها. فوضعت الهاتف جانباً في تخاذل. انقضت لحظات، نظرت لانعكاسها في المرآة مجدداً، ووضعت أناملها على شفاهها الحمراء ومن ثمّ بحركة سريعة على خديها. هي توهم نفسها أنّ لها وجنتي عذراء، إنها أخرى تُداري سوءة.

أحدهم دقّ الباب، عادت تنتفض. . فتوجّهت إليه لتجد كارمن وهاجر في وجهها ولكنها سرعان ما أشاحت بعينيها عنهنّ لتسمعهنّ لاحقاً يُقهقهنّ بصوت منخفض. . وآه من حواء حين تشمت بأخرى، كيدهنّ إذا أردن عظيم.

أما في المكتب، كان أحمد يقف خلف مقعد والده سمير الذي كان يجلس باسترخاء المملوك ويتابع معه أعمال الشركة الخارجية والداخلية على الحاسوب، والأرباح والبورصة وكل ما يخص الشركة المحروسة.

- "أنا مسافر شرم الخميس اللي جاي."

لفظها أحمد باسمًا، نظر إليه والده الذي يشبهه كثيرًا ولكن بتجاعيد أكثر وشعر مشتعل شيبه، وقال:

- "مممممم. . مع مين المرادي؟؟ كارمن ولا سوزي ولا سارة ولا هاجر؟"

وإذا بأحمد يقهقه عاليًا، ويقول:

- "لا يا بوب. . مفيش نسوان المرادي، أنا والشلة إياها بس، بلا نسوان بلا همّ يا جدع"

وإذا بهاتفه يرن:

Prostitute No. 19 is calling

سارة تتصل مجددًا، نظر إلى الهاتف بضجر بعد أن قتل شوقها بكبسة زر أحمر، ولكنّه هذا المرة أرسل إليها رسالة:

- "أظن إن أنا قتلتك إن اللي بينا انتهى، ياريت تركزي في شغلك ومتبوظيش علاقة الصداقة الجميلة اللي بينا"

صداقة!!

يا له من موهوم هذا الأحمدم، عن أي صداقة يتحدث وقد اخترق حدود الجسد، إنه لا يعلم أن الأنثى بعد الحب والعشق

لا تقبل بذلك الكرت المحترق المدعو بالصدّاقة، فإنّما أن تنكسر
فترحل، وإنّما أن تستغل ما أعطاه الله من كيد لتلقيه في وجهه.

وضع الهاتف في جيبه بعد أن قام بإغلاقه وقال:

- "مش بقولك بلا نسوان بلا همّ؟؟"

صمت قليلاً ثم قال:

- "وظفتوا بنات جديدة في الشركة يا بوب؟؟"



٤

ها هو يصل إلى محطة محمد نجيب ليقابل الشلّة في أحد
المقاهي المعتادة، في جيبه آخر خمسة جنيهات يتيمة وعودا
سجائر ملغمين "ع الحساب" من عم طاهر "صاحب الكشك".

كان الطريق طويلاً بما يكفي ليسرقه الواقع للحظات. . كان
ظهره مُثقلًا بالفشل واليأس. لم يكن صابراً، كان أحد شباب مصر
المتصبرين، وما بين الصبر والتّصبر. . شعرة، أو سيجارة حشيش.

هاتفه "الأرنب" يرن كتلك الألعاب الصينية الصغيرة المكسدة
على أرصفة وسط البلد، إنها بالأحرى أمّه تذكره بإحضار البيض
والبسطرمة، أو زُيماً والده المتصل، يتصل به ليلعن فشله ثم
يُنهي المكالمة بشتمته المعتادة "يا حيوان"، أو تراها أميرة؟؟؟

ضحك أمجد وقد أشعل سيجارته بولاعة يزن وقال:

- "متاعيس؟؟ حقك تقول علينا متاعيس يا ابن المحظوظة"

أجاب أحمد:

- "عندي ليكو مفاجأة بمليون جنيه. "

رد أمجد سريعاً:

- "ادينى المليون وأعملك اللي أنت عايزه"

فقال عبدالله:

- "استر يارب"

فاسترخى أحمد على مقعده الخشبي الغير مُريح وقال وهو

يقلب قائمة المشروبات بتعال:

- "يوم الخميس اللي جاي هاخذكوا رحلة لشم"

وصمت قليلاً ثم قال:

- "على حسابي"

فانتفض أمجد من مقعده:

- "احلف؟؟ هو ده الكلام يا معلم. "

قال عبدالله وهو يقلب كتابه مُجدداً:

- "فاكس"

لحظات ونظر ثلاثتهم إلى يزن في انتظار رده، كان لا يزال

ملعوناً بالصمت وقد آثر أن يكون جسداً لا روحاً. هو غائب

عنهم، يعد عمره. يحصي أوجاعه، يجالس إبليسهِ دوماً. .

نظر إليهم بذات البرودة، قال:

- "النفسية محتاجة شمس وبحر"

ابتسم أحمد بانتصار ووضع كلتا يديه خلف رأسه وقال:

- "أوعدكوا هنبسط"

رنَّ هاتفه، أمال نحو الطاولة قبل أن تتلاشى بسمته تمامًا
ويخطف الهاتف بقلق وينهض عن الكرسي بسرعة وكأنَّ عزرائيل
هو المتصل. .

رفع يزن حاجبًا وقال بعد أن سار أحمد لخطوات مُبتعدًا عنهم:

- "ماله ده؟"

أجاب أمجد:

- "إحنا مالنا يا جده. . بقولك إيه. . هات موبايلك كده
عشان يلزمني عبال ما الواد أحمد يطلبنا أكل، وافتحلي فيلم
ثقافي"

- "استغفر الله العظيم. ."

قالها عبدالله آسفًا. . فابتسم يزن حتَّى ظهر صف أسنانه
كله، وقال لأمجد وهو يناوله هاتفه:

- "خد يا صاحبي. . اتفرج براحتك"

وعاد لمقعده وهو ينظر لطيف أحمد الذي انشغل بمكالمته
الهاتفية عنهم. .



- "اتصلي بابن عمك ."

نظرت ليلي إلى أمها باستياء وقالت:

- "أنا دائماً اللي بتّصل بيه، وهو مبيسألش عني. . وحتىّ لما بنتكلم بيكلمني من طرف مناخيره، أنا دائماً اللي بتشحت صوته وأخباره."

ضربتها أمها ضربة خفيفة على رأسها وقالت باسمه:

- "يا بت بطلي عند يا بت. . وكلميه قوليله إن إحنا نازلين القاهرة قريب، لو أمه عايزة حاجة من البلد كده ولا كده"

نهضت ليلي عن الكرسي بضجر ووقفت أمام المرأة ترتدي حجابها بغضب وقد وضعت الدبايس في طرف فمها وراحت تدسها في حجابها وكأنها تدسها في دماغها، قالت وفي فمها دبوسين آخرين:

- "هكلمه وهيستفزني وهطلّعه ع البنات!!"

صاحت الأم أمينة:

- "وذنب طابالك إيه يا مجرمة؟ استعيذي بالله من شيطانك. . وتوكلي على الله."

التفتت ليلي إليها، وقالت وهي تأخذ حقيبتها وتشد بلوزتها الطويلة إلى الأسفل فوق التنورة:

- "عايزة مني حاجة وأنا راجعة؟"

- "لأ. . متتأخريش. . أنا مش عارفة شغل المدرسة طلعلنا من فين!!"

انقضت ثانية فصاحت الأم:

- "آه. . هاتي لفتين جرجير وبقدونس من أم فتحي وإنتي جاية"

خرجت ليلي من شقتها بعد أن وضعت قُبلة صباحية على جبين والدها وهو مُنشغل يطالع صحيفته. .

المدرسة على بعد خطوتين منها، هكذا اشتراط عليها ابن العمّ حينما وافق بصعوبة بالغة وعلى مضض أن تعمل فور تخرجها من الجامعة. ليلي خريجة آداب قسم لغة عربية تجرب حظها كمدرسة لغة عربية أولى في مدرسة للبنات، اختارها لها ابن العمّ أيضًا. . .

أخرجت هاتفها من حقيبتها، وطلبت رقمًا تحفظه عشقًا. .
لحظات بدت دهرًا، إلى أن أجاب عريس المستقبل:

- "ألو"

- "صحيتك؟"

أجابها صوته مُتكاسلاً:

- "مش مهم، أخبارك؟"

- "الحمد لله. . وأنت؟"

- "كويس. . رايحة المدرسة؟"

- " في السكة أهو "

- " ممممممممم . لابسة إيه؟؟ "

- " بلوزة طويلة وواسعة ومن تحتها جيبة واسعة برضو "

- " الطرحة مغطية صدرك؟ "

راحت تعض شفرتها السُّفلى بقلق وقد صفتها كلمة " صدرك "
حتَّى شعرت أنها عارية أمامه، كيف له أن يتحدث عن المحرم؟؟
المحرم حتَّى بالنسبة إليها!

أجابت باضطراب:

- " كله تمام . إحنا نازلين القاهرة قريب، أمي بتقولك عايزين
حاجة من هنا؟ "

- " خلي أمك تكلم أمي، مليش أنا ف الكلام ده . "

عضت ليلي شفرتها السفلى مجددًا بغضب وراحت تلعن
قرارها بمحادثته ولكنها أخرى تحب روحها عارية أمامه، فلا
تريده أن يسترها بحماقاته، فسترُ الروح في عُرفها . عورة!! قالت:

- " في حاجة عايز تقولهالي قبل ما أقفل؟ "

- " لأ . "

وراح يتثائب على الجهة الأخرى من الهاتف.

هو لا يدري أنها تتوق لكلمة عشق عابرة تدب الروح في
أنوثتها الراكدة وقلبها اللانابض، لا يدري أنها في النهاية ما هي
سوى أنثى، تُحلّق بها كلمة وتعيدها أخرى، وهي بكّماء . كم
تُحبه، بكّماء أبكمها حُبّه.

أحبته مُنذُ وضع اسمه على جبينها، مُنذُ قررت العائلتين أن يكونا لبعضهما باسم العادات والتقاليد الشرقية. تلك التي لا تزال جارية في بعض العائلات كأنها العُرف المنشود. أحبه ليلى فكان "قيسها" لكنّها لم تشعر يوماً أنها "ليلاه". كم خشيت كلمة "أحبك"، خشيت أن تفضحها عيناها في كل مرة قابلته فيها في اجتماع عائلي، فأخفتها مع خط الكحل شديد السّواد الذي لا تضع غيره على وجهها.

قالت في محاولة بائسة:

- "مش عايز تقول أي حاجة؟"

- "لأ، خلي بالك من نفسك، ومفيش تأخير بعد المدرسة، أنا هنام. . سلام"

وانتهت المكالمة، مكالمة فاشلة أخرى تُوصم بها ذكرياتها معه. وضعت الهاتف في حقيبتها بيأس قهار. . ودخلت إلى المدرسة وقد علّت ملامحها السّمراء "تكشيرة" مُحترمة.

دخلت الفصل، وألقت بحقيبتها على الطاولة بدلاً من "صباح الخير"، أمسكت القلم وكتبت بخط عريض تاريخ اليوم وموضوع الدّرس.

التفتت إلى الفتيات اللائي تتراوح أعمارهن ما بين الخامسة عشر والسادسة عشر. . وقالت:

- "اقفلوا الكتب، تسميع. . واللي مش حافظة تطلع برا".



((أخشى أن يكون ما أُصِبتُ به وعكَّةَ عشقٍ أوَّل، أخشاك.
 كم تذكّرني بصاحبِ الظلِّ الطويل، وكم تذكّرني بقصر قامتي
 وأحلامي.

أحببتُ صوتك على الهاتف، صوتك الذي فضَّ بكارة
 مسامعي، فقبلك ما اقتحمني صوتُ رجلٍ قط.. وكم أنا سعيدة
 باجتياحك الأول هذا. .

حدثتني عن الحُب، وكم يبدو الحب مخلوقًا ربيعياً على
 يديك. قلت لي أننا لا نُحب رغبةً في الحب فقط، بل رغبةً في
 الجنون، ولا رغبة في الاستقرار، بل رغبة في الفوضى الوجدانية،
 فلا أجمل من قُبلة عارمة وسط لا منطقية الحُب.

رحت أدفن رأسي في كتاب أتصفحه آنذاك وقد استشعرت
 أنوثتي خطراً اسمه "أنت"، فكيف لك أن تأتي بذكر "القُبلة
 العارمة" في حضرتي؟!
 أنت أنت يا أنت. .

من أنت قل لي؟ ولم تبدو الأشياء أزهى وأجمل وأنت في
 الجوار؟

تحدثنا هاتفياً أخيراً بعد أشهر فيسبوكية طويلة، وقد آن
 لسعادتي أن أرفها بحروفي إليك. . أيُّها الغريب الوسيم.

تصبح على قُبلة، وحلم))

نظرتُ نظرة سريعة على ما سجلته في مفكرتها مُنذُ أيام،
راحت تقرأ حروفها باسمه والصغيرة تغني في الجوار. . إنها نِجاة
تدعوها هي الأخرى إلى الحُب.

رَنُّ هاتفها، صندوق رسائلها يشاكسها برسالة جديدة من
"هيام" والحق أن هيام ما هي سوى اسم يخفي خلفه أرقامًا
ذكورية. لا تستطيع العاشقات أحيانًا كشف الستر عن الحُب،
فيُسمين المحبوب باسم مُستعار لفتاة. . وكان أن اختارت طفلتنا
يسرا اسم "هيام" لمحبوبتها، لشد ما هيّماها. . .
- "وحشتيني"

كلمة كم نحبها في أوائل الحُب، كم تحلّق بنا عاليًا والشوق.

ارتسمت بسمه حب على شفاهها، وتورد الخدان فرحًا،
وانتفض القلب خجلًا. قامت بحفظ الرسالة في ملف خاص.
وعادت لمفكرتها تحكي لها عشقًا قريبًا حين دقّ أحدهم باب
غرفتها. جزعت للحظات وهي تضع الهاتف والمفكرة تحت
المخدة قبل أن تقول:
- "أفضل" . .

إنه يزن ينضم إليها بكوب شاي حالك يحتسيه. . دومًا يتسم
حين يراها، هي طفلته أولًا. . أخته ثانيًا. . ونصفه الجميل أخيرًا.
- "بتعملي إيه؟"

سألها باسمًا. . وجلس بقربها على طرف السرير.

- "كنت قاعدة بقرأ شوية حاجات، عامل إيه؟"

أجابها بعد رشفة شاي سريعة:

- "تمام.. مستني مكاملة مهمة فشغل جايلي و كده"

- "ربنا يوفقك يا حبيبي"

نظر إليها متأملاً وقال:

- "شكراً!!"

- "هتكون أجمل لو قلت آمين"

- "سكي ع السيرة دي ناو يا يسرا، وكلمي مذاكرتك"

أجابها بنبرة غاضبة.

نهضت من أمامه لتجلس على مقربة منه، فوضع الشاي أسفله وراح يخبط بقدميه الأرضية باضطراب.

أمسكت ذراعه وقالت:

- "قولي إنك لسه مؤمن بالله.. بابا مات آه، وده ابتلاء من

ربنا وربنا بيتلي الي بيحبه وبيمتحن صبره وإيمانه، قولي إنك لسه مؤمن بيه".

لم يجبها وظلّ يطالع السراب أمامه وهو شابك يديه باضطراب..

فاسترلت يسرا في وجعها قائلةً:

- "لو ماما عرفت إنك.."

قاطعها بعد أن نهض فجأة..

- "آه. . روحي قوليلها ابنك أُلحد وخليها تحصل أبوي"

شعرت بدموعها تخنق صوتها. . .

لقد قالها "أُلحد" من إُلحاد، الخروج عن طوع الله، التبرؤ
من السنن والطاعات. .

ارتد يرتد فهو مُرتد. . أُلحد يُلحد فهو مُلحد. . كفر يكفر
فهو كافر. . مُعادلة واحدة. . الله خارجها.

كانت تشعر بهذا مُسبقًا لكنّها لم تكن لتعتقد أن لتلك الكلمة
أثر صاعقة على مسامعها.

صاحت:

- "عايز تفهمني أنك كفرت بيه عشان بابا مات؟ فاكر نفسك
بتعاقبه؟"

- "أنا مباعقبش حد، أنا فهمت الكون ده كويس، وقريت،
وبحثت، مفيش حاجة اسمها ربنا، الناس عايشة في وهم كبير
وحارمة نفسها من حاجات كتير وفاكرين إنهم بكدة هيخشوا
الجنة والهلس ده"

ظَلَّت تطالعه مذهولة:

- "هلس؟"

سألته بعينين دامعتين. . .

أشاح لها بيده بغضب بعد أن أخذ كوب الشاي وقال:

- "أديني مسافر بكرة شرم وهترتاحي من خلقة أمي"

وخرج من الغرفة غاضبًا. .

فحضرت الأم بعد أن أقلقها صراخهم:

- "إيه اللي حصل.. عملتيله إيه؟"

وما إن قالتها حتَّى سمعا صوت باب الشُّقة يُقفل بقوة.

ها هو يزن يهيم على وجهه مُجددًا، يجوب الشُّوارع بغضب ويذكر الأمس المُشعب بطيف والده، "عامر" .. الشيخ والفقيد والبار لله والوطن.

- "آه يابا"

صاح باكياً لسماء آمن أنها وجدت لأسباب علمية بحته تحت توابع the big bang theory ليس أكثر.

وجلس على أحد الأرصفة ينعي أمسًا ملعونًا بالموت وبالطَّاعات.

"ذات أيام مُنذُ عام"

وقبلها بأعوام، كان هنالك شابًا، يُدعى يزن عامر"

يزن عامر، "الأزهري" كما كان يُطلق عليه أباه بين العائلة والأصدقاء، المفخرة الأزهرية، حافظ كتاب الله، الابن البار، الصديق الحق، الجار المُسالِم، الضحوك روحًا وشفاه.

توغل في الدين مُنذُ أيام الثانوية، وتوحَّد فيما قاله الله والرسول، وأطلق مع الأيام لحيه، وقصَّرَ جلباب، وتزيَّن بعودٍ وسواك. . وظلَّ عاكفًا. . معتكفًا. . متضرعًا. . خاشعًا. .

إلى أن أمست الدنيا في عينيه زائلة، فضاقت نبضه. . وتاقَ لآخرة. . فأغلقَ حياة.

فرأى من حوله رُعاة، جهلة، على بصائرهم غشاوة، فاشتدَّ
شخصه، وقست روحه باسم الله، والحقُّ أنَّ الروح لا تقسى من
روحه، بل تهتدي.

تركه عبدالله بعدما كفر به بأنه صالح ذهنيًّا، انسحب
الشُّرقاوي من حياته لحين يهتدي، لكن أمجد ظلَّ إلى جوار
بعثراته يشتمه حينًا ويدعو له بالهداية حينًا .

عبدالله، أحمد وأمجد أصدقاء عمره مُنذُ الطفولة، شهدوا
جميعًا أمواج الحياة بتقلباتها .

ولكن يزن أعلن رعدًا وبرقًا، فهاج البحر وماج، وتحطمت
أوصال متينة. .

اعتزل الدنيا وما فيها. .

واعتكف في غرفته لقراءته وتضرعاته ليلاً للإله، دخل عليه
والده يومًا:

" قوم يا ابني اترفج على التلفزيون معانا، شاهد ماشفش
حاجة شغالة وأمك وأختك. . . "

فقاطعه يزن وهو يقرأ في إحدى كتب الفقه:

" شاهد ماشفش حاجة؟ كلهم كفره اتقنوا العُهر، وطالما
محدث سمع كلامي بمسح القنوات دي، محدش ليه دعوة بيا".

" يا ابني، الدين يُسر مش عسر. . "

" الجهاز اللي برا ده بلاء، خاف على بنتك منه "

" أختك مُصانة بأخلاقها، يا ابني اهدى "

- "ههدا لو سبتني أتابع قراءاتي وروح أنت مع الزعيم وشاهد
ماشفش حاجة"

وأطلق ضحكة ساخرة أوجعت أباه.

نظر إليه والده بانكسار، وقال:

- "ربنا يهديك"

- "مهدي بأمره إن شاء الله"

أقفل الأب بابًا، لكن وجعه فتح على مصراعيه، فتوضأ وصلى
لله باكيًا أن يهديه..

وظلَّ الأزهري مُغلَقًا على نفسه في ذاك المعبد.. . أوجعه
جسده لشد ما كان جالسًا، فنهض إلى الشُّرفة، وكان شتاءً والشمس
تُعلن انسحابًا قريبًا.

وجد أمامه على الشُّرفة سناء بكامل طلتها مجددًا، تدعوه
بعينيها لجسدها الأرملة الخمسيني، كانت تطالعه باسمه
وجسدها يدعوه: أنْ تعال!

زاغت عيناه على ذلك القميص الخفيف أسفل الشال الصوفي،
إلى رقم ٧ تحديدًا فاضطربت رجولته ولعنها في سره وأقفل باب
الشرفة وقد هاجت أنفاسه، فراح يستغفر الله تارة ويلعنها تارة
وعاد يضيع في قراءاته.



٧

المكان:

قليل الإنارة، يعجُّ بالفوضى والقهقهات العالية التي تدعوك
بامتياز لصداع نصفي لن تقوى عليه حبات بانادول إكسترا
وذلك في أحد ملاهي شارع الهرم المَبْجَل.

الزمان:

الثانية صباحًا، أو رُبما الثالثة. . فأجُنُّ الليل أولُهُ.

الحالة: - -

أَلقت بحقيبتها السوداء على الطاولة وجلست مُجهدة تتوسط
أيتن وكريم، قالت ضجرةً:

- "أنا مش عارفة إيه اللي بيخليني أسمع كلامكوا وأجي
الأماكن الهابطة دي"

وإذا بأيتن تضحك بمجون قائلَةً:

- "لأنك منحرفة وبتحبي الانحراف"

واسترسلت في ضحكاتها الخمرية. أجابتها فرح ببسمة عابرة
وهي تُشعل سيجارتها المئة ذلك الصباح.

أمال نحوها كريم باسمًا وقال:

- "تشريني؟"

فأجابت ودخانها يخرج من فمها وأنفها كشلالات نياجرا:

- "أنت عارف كويس قوي إني مبشربش. . ومع ذلك بتتصرف
وكأنك متعرفش أنا بحب إيه ومحبش إيه!!"

فخبط كريم يده على طاولة البار متأففاً وقال:

- "دائماً كده بتحبي تقفليها علينا! لازم نسميكي:

“The fun killer“

فأجابته أيتن مؤيدةً وكأسها في يmanها وسيجارتها في الأخرى:

- "لايق عليها جد اااااااااا"

استطاعت فرح أن تميز بسهولة كم هي ملغمة سيجارة أيتن
فعادت تبتسم لهم صامتة وراحت تحدق في ذاك السرب الراقص
أمامها على تلك الموسيقى الشيطانية وإبليس يدندن في الجوار
فرحاً لهم، راحت تحدق في وجوه من باعوا القضايا مُسبقاً باسم
رقصةٍ مُعربدة وكأسٍ مُتعربدة ونردٍ يعربد.

وإذا بأيتن تقطع شرودها فجأةً بصرخة فاجرة وهي تنهض
باتجاه السرب وترفع كلتا يديها عاليًا وهي تهز رأسها يمينًا
وشمالًا فيغطي شعرها الغزير ملامح وجهها القاتل.

وما إن انسحبت أيتن من بينهم حتّى مال كريم نحو فرح
مجددًا وقال على مقربة من أنفاسها:

- "إيه بقا؟"

وإذا بأنفاسه ذات التبيذ الأحمر تصفعها، لم تنبس بحرف،
ظلت تحددق في وجهه على مقربة منها، كم هو وسيم هذا
الكريم، قالت:

- "متشغلش في الأزرق يا كوكو"

- "بحبك"

هو عاشق للجسد قبل الروح، عبداً لشفاه.

- "وأنا بحبك زي أخويا"

- "هو عمر الحبيب كان أخ؟"

- "حبيب؟!"

وراحت تضحك عاليًا وتقول:

- "من إمتى كنت حبيبي؟"

ابتسم لها إحدى ابتساماته الجميلة واقترب من شفيتها
ليلثمها لكنّها أمالت إلى الخلف بحركة سريعة وقالت:

- "سكران!"

- "سكران بيكي. . سكران بيكي من أول مرّة شفتك فيها،
وحشتني شفايفك، هو انتي يعني لازم تكوني بتغرقني عشان
أدوقهم؟"

فابتسمت قهراً وقد ذكرت حادثة انتحارها ذات نيل والتي

لم تفلح!!

- "بحبك"

قالها مجددًا.

- "وأنا مش بحبك"

- "كذابة، عنيني فضحوكي"

- "متثقش أبدًا ببنوتة عنينا خضرا"

كم بدت واثقة وهي تقولها وقد وضعت قدمًا على قدم
وراحت تحرك إحداها ليبرز خلخالها الفضي الساحر.

فأنقذها اقتراب ثلاثة شباب منهما وفتاة. نهض كريم يرحب
بهم بحرارة ويدعوهم للجلوس، لكن أحدهم لم يجب. إلا أن
أولهم أمال له برأسه في اتجاه أريكة كبيرة آخر الملهى يسلط
عليها ضوء أزرق.

أطاعه كريم فورًا وأشار لفرح أن تلحقهم والتي وضعت
سيجارتها في كأس كريم الذي انزعج لما فعلت حين برم شفاهه
غضبًا.

جلسوا جميعًا على تلك الأريكة التي تتوسطها طاولة بيضاوية
عريضة. .

صمتهم أثار حفيظتها، سمعت أحدهم يميل نحو كريم
ويسأله هامسًا:

?Is she an atheist -

رفعت فرح حاجبًا باستنكار وقد صفعها السؤال، أجابت
سريعًا عوضًا عن كريم قائلة:

- "لا يا بابا أنا مش ملحدة!!"

فابتسم لها الشَّاب نصف ابتسامة سريعة، وإذا بكريم يضحك في محاولة لتفادي انطباعاً أولاً سيئاً قد يحدث بينهما وقال:

- " ده سامي. . وده صابر، وده إسلام وتقى!"

لم يهتز لأحدهم طرف سوى تقى التي غمزت فرح بعينها سريعاً قبل أن تشيح فرح بوجهها عنها غير مبالية. . وقد استنكرت "الفِعلَة".

خرج سامي عن صمته قائلاً:

- "أنا بس مش عايزك تحسي بعدم راحة وإنتي قاعدة معانا، ممكن منتفقش!"

فأجابت فرح سريعاً:

- "متقلقش، كريم وأيتن أهم صحابي والاتنين ملحدين وعادي جدًا، لهم دينهم ولي دين"

فأتى صوت كريم مُمازحًا:

- "ودي دلوعتنا الصباحية، جميلة الجميلات فرح عصام"

- "عارفها"

أجابه سامي بحسم.

فراحت تحدق به فرح بتحدُّ بعينيها الخضراوين، وتمر لاحقاً بصابر أقصرهم الذي لم يرفع عيناه عن جهاز التابلت أمامه، مروراً بإسلام الذي يخاصر تقى مُنذُ دخولهما وكأنَّها ستضيع منه. أثاروا جميعاً حفيظتها.

"لِمَ الإلحاد يا ترى؟"

سألت نفسها وهي تقرض إصبعًا وتمر بعينها على خمستهم.

أهي أسباب فلسفية أخرى تناشد بالمنطق واللامنطق؟ أم أنها أسباب كونية حلقت بهم جميعًا إلى ما وراء الطبيعة والأرض؟؟ أم أن للجنس يدًا خفية تلعب ب....

كريم إلحاده لم يكن يومًا مفهومًا، مثله مثل الجامعة آيتن المسيحية سابقًا، سامي يبدو عميقًا وأحفوريًا بما يكفي ليطلق عليه مُلحد متفلسف، هكذا تحكي قسمت وجهه ونظرة عينيه الحادة، صابر مُلحد إمعي فيسبوكي بامتياز، أمًا إسلام وتقى أرادوه مَنفدًا لأجسادهما الثائرة.

واسترسلت في أفكارها. (بماذا يا ترى تراه سامٍ هذا السامي؟ وبماذا يتصبر هذا الصابر؟؟ و. . إسلام وتقى؟؟ و "atheists" يا نهار أسوخ")

- "إنتي جميلة قوي!"

الإطراء الأول الذي تسمعه فرح ذاك الصباح، ولكن للمفارقة بصوت أنثوي قاتل، نظرت صوب تقى التي شابته قصة شعرها ماييلي سايرس في أغنيته الشهيرة:

Wrecking ball

أجابتها فرح بابتسامة صفراء، فقال إسلام مُمازحًا:

- "إيه أقوم أمشي؟؟"

استشعرت أنوثتها خطرًا تلك الفرحة من أمر تلك التقى، فنهضت عن الكرسي قائلة:

- "هطير أنا"

عاتبها كريم قائلاً:

'The night is still young, sit down and chill' -

وأضاف:

- "وبعدين بكرة أجازة"

- "مليش في جو الملحدين ده مع احتراممي، لحدوا كدة مع بعضيكوا براحتكوا.. وكان عندك حق يا سامي لما سألت إني ملحدة ولا لأ"

فأشار لها سامي بالخروج باسمًا.

أخذت حقيبتها، وانسحبت من بينهم، وفي طريقها إلى الخروج صادفها خليجي أربعيني التهمها بعينه قائلاً:

- "على وين يا حلوو؟؟"

نظرت صوبه باشمزاز قائلةً:

- "وأنت مال أمك؟ اتفوخس على اللي جابتك، جاين هنا ليه هي البلد ناقصة؟؟"

وراحت تبحث عن مفاتيح سيارتها في قلب حقيبتها بغضب وهي تسمع خلفها عويل الخليجي ومحاولة الحارس بتهدئته.

حلقت بسيارتها وراحت تلعن العالم الذي يدعوها جهرهً للسيئات.. وصلت إلى شقتها لتجد عمّتها مستلقية على الأريكة وأسفلها زجاجتي ويسكي أصابهما جفاف حاد. أخذتهما بغضب ووضعتهم في كيس أسود وألقته في سلة كبيرة.

عادت لعمّتها الغائبة عن الوعي تمامًا، وحملتها من ذراعيها وقامت بجرحها كجثة هامدة نحو الحمام. وما إن فتحت صنوبر المياه حتّى أجهشت بالبكاء. وراحت تصب الماء على رأس عمّتها وهي تصيح:

- "بتعملي فيا كده ليه حرام عليكي؟؟"

كانت تنتفض من الماء البارد كجرو ضال، راحت تشهق مع كل صبة ماء وكأنّها شهقتها الأخيرة حتّى تظن أن ملك الموت يقف إلى جوارهم ليللمم حصاده خلال لحظات.

كانت فرح تبكي عاليًا، واستيقظت على بكائها أنيتا التي ظلّت صامتة تبكي هي الأخرى وهي تطالعها خارج الحمام. .

أمسكت منشفة ووضعتها على رأسها وراحت تسندها إلى أن وصلا إلى غرفة نومها بعد أن طلبت من أنيتا أن تعدّ لها القهوة. جلست قبالتها على السرير، قالت برود:

- "ياسر برضو؟ لسه بتشوفيه؟"

لم تجبها لبنى وظلّت تحديق في السراب. نهضت فرح عن السرير، وراحت تجوب الغرفة قائلةً:

- "هو ياسر، طالما رجعتي للهباب ده يبقى هو!! مش قادرة استوعب بتكلميه إزاي بعد كل اللي حصل؟ فرّق بينا وحاول يغتصبني!! نسيتي؟؟"

لم يهتز للبنى طرف، بل راحت تختبئ تحت الغطاء وكأنّها تستر عورة.

وصلت أنيتا بفنجان القهوة، ووضعتة على يمين لبنى التي كانت غارقة في عالم آخر يعج بالأم وبكؤوس ويسكي تدعوها لها على نخب أمس موجوع.

تركتها فرح، وتوجهت إلى غرفتها باكية، ألقت بجسدها على السرير، ونامت كالطفلة تمامًا. ساعة مضت أو ربما أقل بقليل، حين شعرت بيدٍ تتحسسها، تقتحم حدود الجسد والروح، انتفضت فزعة لتجد ياسر مخمورًا يحاول اعتلائها. راحت تصرخ فراح يسكتها بقبلاته العنيفة، حاولت مقاومته لكن جسدها الصغير لم يسعفها. نظرت صوبَ الباب فوجدت لبنى تقف لها ضاحكةً ويدها قارورة ويسكي وتقول لها:

- "عادي. عادي!!"

وأنيता خلفها تبكي. تعالت صيحاتها، وكلما صاحت ازداد فجورًا بيديه وشفتيه. . كانت تخشى تلك اللحظة التي يقتحم فيها أسفلها فتهدر دماؤها، كغانيات الهند! راحت تصرخ. . . إلى أن انتفضت فجأة، لتجد نفسها وحيدة في الغرفة وهي مُستلقية على ظهرها. راحت تتحسس جسدها، هي بخير. . إنه كابوس آخر. . هي بخير. . هي بخير!



- "ميرنا وكوكي وصلوا شرم من ساعة"

كان يطالع أحمد من خلال المرأة الأمامية حين قالها، أحمد
الذي استقبل الخبر بابتسامة مأكرة وقال:

- "سمعت إن كوكي تابت لربنا واعتزلت المهنة، بس باينلها
كده إشاعة"

أجاب يزن:

- "اعتزلت فعلاً، دي حتّى راحت تمارس التوبة في الحرم، ولمّا
رجعت. . مقعدتش شهر إلا ورجعت للمهنة وباكتساح، بس
Agnostic المرادي"

- "يا راجل؟؟"

أجابه أحمد متفاجئاً، وأردف قائلاً:

- "غريبة!!!"

فقال أمجد:

- "إيه gostak دي لامؤاخذة؟"

ثم راح يطالع يزن يمينه وأحمد من خلال مرآة السائق أيضاً.

انفجر أحمد ضحكاً وابتسم يزن ولكنه سرعان ما انفجر
ضحكاً هو الآخر، ولكنه لم يعقب. فأجاب أحمد الشرقاوي:

- "اسمها agnostic. . gostak إيه الله يحرقك،

التعليم المجاني قضى عليك"

عبدالله كان يستمع باهتمام، وهو يطالع الطريق السريع

بابتسامة لا يُعرف سرها.

فأجاب أمجد وقد تموضع باسترخاء على مقعده وقال
باستنكار:

- "ومعناها إيه دي يا فهيم أفندي؟"

فأجابه الشَّرقاوي:

- "اسأل يزن!"

عاد يزن ينظر إليه من خلال المرأة، ولكنه لم يهتز له طرف.

فنظر أمجد إلى كليهما وقال:

- "آه. . يبقى الحدت والعياذ بالله"

فأجابه الشَّرقاوي حازمًا:

- "لا. ."

وأردف قائلاً:

- "ال atheism حاجة، وال agnosticism حاجة تانية خالص"

صمت أمجد قليلاً قبل أن يقول:

- "يا بني حرام عليك، مش إنت لسه قايل تعليم مجاني يا

بتاع المدارس الأجنبية واللغات؟ مليش مرارة وربنا. انطق!!"

فراح الشَّرقاوي يضحك مجددًا، قال:

- "ال atheist هو الملحد، يعني زي اللي قاعد جمبك ده،

شخص لا يؤمن بالوجود الإلهي، لأسباب فلسفية بقا. . علمية.

. مش مهم، يعني واحد عنده قناعة مطلقة إن مفيش ربنا، ولا

توابع وجود لربنا، اللي هي الصلوات والطاعات وإلى آخره، أما

ال agnostic بقاء، فده شخص شايف إنه يستحيل لمس دليل على وجود ربنا من عدمه، الي هو شخص لا أدري، يعني إنسان في حالة شك توصل منها إن مفيش ربنا، ومش ممكن يكون في دليل يثبت ده، وبالتالي هو لا يؤمن بأي دين! فخمت حاجة؟؟"

- "وربنا هما الاتنين زي بعض، هات سيجارة"

طلبه الأخير كان موجهًا ليزن الذي أمده بها صامتًا بعد أن استمع لتحليل أحمد.

- "أنا أرى أن الخروج عن الدين والكفر بالإله ما هو إلا لأسباب جنسية بحتة!"

لفظها عبدالله سريعًا وكأنها أثقلت فاه.

أجابه أحمد:

- "مش شرط، هي قناعة وصلوا ليها بمنطق معين"

فأجابه عبدالله:

- "منطق؟ إيه هو المنطق برأيك الي يسمح لهم بالتناول على الذات الإلهية؟؟ قريت بوست سعيد إمبراح على الفيس بوك؟؟ قال إن الله ما هو إلا وهم وأن العبادات ما هي إلا جهل وإمعية مننا! عملتله بلوك!"

فقال أحمد:

- "عملتله بلوك بعد ما أفحمتك. يا عبدالله خلي الناس تقول الي تقوله وتعمل الي تعمله، ليه كل الغضب ده؟ هم أحرار، وعلى ذكر الإلحاد بسبب الجنس، مش شايفه مُقنع، يا أخي مارس الجنس زي ما أنت عايز. بس ليه الكفر؟"

- "يعني أنت عايز تقول إن الإلحاد بسبب الجنس غير منطقي، وأن الإلحاد لأسباب فلسفية وعلمية منطقي؟؟ يا أخي اتقي الله"

- "أتقيه خير تُقاه"

وانفجر ضاحكًا .

- "عبدالله ."

أتى صوت يزن حازمًا، وأردف قائلاً:

- "تعرف إيه عن نظرية التطور؟"

ضحك عبدالله مستهزئًا وقال:

- "خد يا سيدي . . وآدي لما تيجي تحشرهم في زاوية يقولوك تعرف إيه عن نظرية التطور . . يا بني الكلام ده مبقاش يأكل عيش خلاص . . مفقوسين، نظريتك دي مذكورة في القرآن، قال الله تعالى: "أولم يرَ الذين كفروا أنَّ السماواتِ والأرضَ كانتا رتقًا ففتقناهما وجعلنا من الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ أفلا يؤمنون" كلنا في الأصل مية . . وفي كتابه أيضًا يقول: "واللهُ أنبتكم من الأرضِ نباتًا" إلى أن وصلنا لخلق الإنسان "واللهُ خلقَ كلَّ دابةٍ من ماءٍ فمنهم من يمشي على بطنهٍ ومنهم من يمشي على رجلينٍ ومنهم من يمشي على أربعٍ"

عاد يزن لبسمته الساخرة وقال:

- "القرآن ما هو إلا نص، زيه زي الإنجيل والتوراة والكتب التانية، نصوص . . يعني قصدك إني عبارة عن خلية كلوروفيل؟ طب استنى عليَّ وهتحول وهعملك عملية بناء ضوئي وأنا قاعد

إنما إليه محصلتش! يا بني العلم والفلسفة فتحوا عقولنا من
اللي انت فيه"

أجاب عبدالله ممتعاً:

- "آه فلسفة. . كلام سي فريدرك نيتشه الملحد بتاعك. . أنت
ألحدت عشان تزني وتعيش بمزاجك وأخذت الفلسفة والعلوم
كجواز سفر لشهواتك. ."

- "شهواتي؟"

أجابه يزن مستنكراً، وقال:

- "أنا أمارس حقوقى الجنسية مع اللي أنا عايزه، مش بعتبره
زنا بعتبره حب وحرية شخصية ملكش دعوة بيها. يعني أنت
واثق أن كل اللي خرجوا عن الدين وألحدوا عملوا ده لأسباب
جنسية؟ قرئت لنيتشه من الأساس؟"

- "قرئت له. . وآه أنا واثق"

فتدخل الشرقاوي بعد صمت:

- "نيتشه مكنش مقصده الإلحاد بقدر ما استهدف الدعوة
لتحطيم كل ما هو ثابت"

وإذا بضحكة عالية تصدر عن أمجد فجأة:

- "علي الحرام من ديني ما فاهم أيتوها حاجة. . شكلها
فسحة تحفة، ده إيه المزار الطافح ده؟"

فقال يزن بصوت عربي جهور:

- "الرجل كفر بالوجود المسيحي، وأعلن حربًا أجملها في كتابه "هكذا تحدث زارادشت"، موقفه لم يكن جنسيًا، إنَّها منطقيًا روحانيًا فلسفيًا. لا وجود لله، الله الذي قد مات، ونحن قتلناه. وتنص العلوم التي تجهلها أن كل نوع حي أوجد نوعًا جديدًا متفوقًا عليه، إلى أن وجد الإنسان، وهنا توقف التطور ولا مجال لإكمال مسيرته إلا بتطور الإنسان نفسه لنوع جديد. . وهو "الإنسان المطلق".

وأردف حديثه قائلاً:

- "فين الزنا هنا بقى؟ ده كان بيكره النسوان كره العمى، وكان بيستحقر وجودهم ويعتبرهم رحم وظيفته حفظ الإنسان المطلق بس. ده حتَّى كان بيقول لو رحى في يوم لحرمة، متنساش تاخذ السوط معاك. فين الجنس بقى؟؟ . . بتحب تحط نفسك فمواقف بالايخة".

- "أنا مليش دعوة بنيتشه النصراني، أنا ليا دعوة بصاحبي وبجميع شباب المسلمين اللي بسبب غفلتهم دي هتحصل كوارث"
- "وأنا بعشق الكوارث"

راح عبدالله يهذي بكلمات غير مسموعة، قال أحمد موجهاً حديثه له وقد أعجبتة لغة يزن الفصحى وقال مستعرضاً لغته هو الآخر:

- "أفحمك. . كما يُفحم معظم رجال الدين الإسلامي. . الذين لا يتجاوزون بضعة عشرات. . وتلومون الشباب على إلحادهم؟؟"

نظر إليه عبدالله وقد امتقع وجهه وقال:

- "والنبي نقطنا بسكاتك يا شرقاوي، اسم النبي حرصك مانتا
جايب كوكي وبوجي وأبصر مين"
انفجر أحمد ضحكاً وقال:

- "أعيش حياتي آه. . إنما أأحد لأ. . وربك غفور رحيم يا معلم
والعمر يومين"

ساد صمت. . قبل أن يكسره أمجد قائلاً:

- "يعني أحمد هياخد البت ميرنا، ويزن هياخد كوكي بنت أم
كوكي، أقعد في بوز عبدالله ليه أنا؟ هو أنا مش شاب زيي زيكو
ولي احتياجاتي برضك؟؟ إني حكاً أعترض"
أجابه أحمد:

- "لا مش هنقبل لأميرة بده وأميرة أخت فاضلة وبتحبك يا
غبي"

- "فاضلة آه. . دي مطلعة ميتين أمي. . سوق. . سوق والنبي
وخليك في حالك على بال ما أمتع نظري بشوفتهم"
وصمت قليلاً قبل أن يقول:

- "منور يا عبدالله"



موسيقى سمجة مسجلة هي ضريبة ذاك المتصل في حين
اشتعال أميرة:

- "أبو أمك. "

أخرجت من حقيبتها علكتان والتهمتهما وكأنها تلتهم
نفسها غيظًا. . تبًا لتلك العشر ساعات القهرية ما بين طلبات
العملاء وشكواهم واستفساراتهم. . عشر ساعات والحصاد ثمن
بخس يخصم منه كذلك لتأخرها أحيانًا عن موعد بدء العمل
أو انفجارها في أذن أحد العملاء ولكن ما يشفع لها عند مدير
القسم، أنه يعرف والدها الحاج صبري مُنذُ الصغر فلا يطردها.
أصبحت العلكة بالقرنفل لا تفارق حقيبتها.

- "أيوه يا أستاذ مجيعص. . معايا؟"

- "أسمي محسن. . محسن، مجيعص إيه أنا بترياً!"

- "مش مجيعص ولا بتنجان يعني؟"

((تضحك سرًا))

- "محسن. . محسن. . يا ديبينينينينيني"

- "أستاذ محسن حضرتك مشحنتش أصلا بقالك ١١ يوم.

واضح إن حضرتك سجلت رقم كرت الرصيد غلط"

- "محصلش. . أنا شفت بأم عيني العشين جنيه بتوعي

اتشحنوا، ولما جيت اتصل بأم العيال، طلعتلي الولية الرزيلة دي

بتاعت رصيدكم الحالي لا يسمح بإجراء المكاملة. . "

- "حضرتك ال data عندي بتقول إنك مشحنتش بقالك ١١

يوم"

- "وعشان كده بتكفري ع العملاء؟ مينفعش الهبل اللي
بيحصل ده"

.....-

- "فين المشكلة؟"

- "مجهدة بس مش أكثر"

- "استهدي بالله. . ارجعي لشغلك"

لفظها غاضبًا. .

ابتسمت له شاكرة. . وعند استدارتها وخروجها من المكتب
راحت تشد الجاكت مجددًا إلى أسفل وهي تفكر مليًا بشراء
آخر، ولكن إن اشترته فلن تستطيع شراء طقم التيفال ذاك من
"حمام التلات".

عادت لمقعدها، أخرجت المرأة، أحمر الشفاه الرديء ذاك
يجعل شفاهها مشققة، أخرجته لتلوّن شفاهها به مجددًا. .
وراحت تدخل خصلات شعرها الصفراء المصبوغة داخل حجابها.
لاحظت أن حاجبيها يحتاجان لل"تتف". حري بها إذن أن تتصل
بأمال الكوافيرة لدى عودتها إلى المنزل لتقوم لها بالعملية. وها
هو شاربها يظهر قليلًا، لكن أمجد ليس في الجوار ليعايرها به
كما اعتاد قائلًا:

- "بحبك يا أم شنبو"

ابتسمت لذكراه ونفسها تتوق لذلك اليوم الذي يجمعها الله
به في أي عشٍ كانت. خمس سنوات خطبة مُنذُ كانا في الثانوية،
ما بين حب وحرَب. . وصبر وكفر. . وفرحة ويتم.

شردت مع الأمس.. .

لو كانت اجتهدت في الثانوية لكانت التحقت بكلية مرموقة كهند أو أماني بنات خالاتها، ولكن كانت كلية الخدمة الإجتماعية نصيبها. فتخرجت منها لتلتحق بعمل آخر لا يتطلب لغة قدر "حسنة المظهر".

أما أهل أمجد، فكان الأمر سيان عندهم، لكنهم أحبوا أميرة، وأحبوا صبرها، وأحبوا حبها الغريب لابنهم. بالرغم من قراراتها الكثيرة بتركه والانفصال عنه فيما مضى، إلا أنها الأخرى تريد أن ترى مقدار تمسك حبيبها بها، فتشاكسه حين يضيق بها ذرعاً وتهدد وتتوعد. . والحق أنها في الأصل "طفلة" تحتاج حباً وقلب، طفلة تحتاج روحه لتهدأ وتشعر بسعادة سنين عشقها الأولى من جديد، فتستكين.

راحت تقلب خاتم خطبتها حول إصبعاها ويزيد شرودها الضعف، وحنين إلى حلم يزيد. أين تلك الشقة؟ وأين أثاث الشقة؟ ولم يبدو كابوس "الإيجار الجديد" يلاحقها؟؟

كم تشرداً سويةً بحثاً عن شقة ذات سعر يناسب قصر قامة أمانيهما، فظل المال سيد الموقف، فخضعت الأحلام وقلّت الفرص.

خرجت عن شرودها ورددت كالإنسان الآلي:

- "ألو مساء الخير يا فندم، اتصالات أميرة مع حضرتك؟"



وكانت "سيدة القصر" تقع في شباك آسرها ويجرها الحب جرّاً
إلى هاوية. أيقود الحب لهاوية؟

سألت ليلي نفسها وهي تلف شعرها الليلي حول إصبعها
وبجانبها طبق مكسرات مشكل بحضرة فاتن حمامة وعمر
الشريف.

ابتسمت لعمر الشريف وعيناه تدعو الحمامة لشهيات القُبل.
وسوّلت لها روحها أن تسأل:

((كيف سيكون حالي بين شفاه محمد؟؟ أسيقبلني يوماً حين
أكون له؟ أم أنّها أمور رومانتيكية تافهة بالنسبة إليه كما يبدو
من شخصه دوماً؟؟))

ليلى على أمل أن يلين قلبه ويخشع لها حين يصبحان في بيت
واحد، لكن مخاوفها ما انفكت تروح وتجيء في الجوار فأصبح
القلق مرضاً آخر أصيبتُ به.

وذاك فاصل إعلاني يدعوها للتحقق من أنوثتها ريثما يعود
العاشقان. كان قرب الباب، مرآة طويلة تسمح لأهل البيت بأن
يتحققوا من هيئتهم قُبيل خروجهم. وقفت قبالتها، أسدلت
شعرها العَجري وراحت تضيق جلبابها من الخلف للتحقق من
قسمات جسمها المخفية، تقول لها خالاتها أنّ لها جسد معالي

زايد في شبابها، فكانت تخجل لذلك واليوم، تقف أمام المرأة
تطالع جسدها بغرور أنثى قد أدركت للتو أنوثتها.

راحت تسترق النظر وعلى الشفاه بسمه، "هو محظوظ بي" ..
راحت تساير نفسها. .

ولفجأة حدثها إبليسها، فخرت له واستجابت، حملت المرأة
بخطى متثاقلة إلى غرفتها وظلت تتأوه لشدها ما هي ثقيلة. .
وغلقت الأبواب وقالت: جئت لك. .

والحق أنها كانت تحادث مرآتها. .

كانت تشعر بنبضات قلبها تدق بقوة لشدها رهبتها. لم تفعلها
قط أمام المرأة، علموها أهلها أن جسدها من سيجعل رجلها
قواماً عليها، علموها أن الجسد وصمة وأن الأنوثة قدر تبثلى به
الفتيات إلى أن يسترها رجل!

ولم الستر يكون بالرجال؟ وهي لم تكن يوماً عارية لتستر، لم
تكن يوماً عارية ليكسيها رجل.

وجاءت الآية في ذهنها:

"هن لباس لكم وأنتم لباس لهن" ..

فأي رجل عند معشرها سيرضى بأن تكون أنثاه لباس له
وهي في نظره ناقصة، منقوصة. تعلمت ألا صوت لها، وأن صوت
المرأة إكرامه وأده.

تسارعت تلك الأفكار في رأسها. . وشعرت بدمائها تغلي في تلك
العروق الصغيرة. أغمضت عينيها وهي تتجرد من ثيابها تدريجياً.

كانت ترتجف عريًا وليس خوفًا . خشيت أن تفتح عينيها
فتطالع ذلك الجسد العاري المائل أمامها. هي في تلك اللحظة
عارية أمام الله . فخجلت لعريها أمامه وراحت تواري سوءتها.
وفتحت عينيها بقلق . . وأبعدت يديها قليلًا، وهي تتنهد بخوف
إلى أن ظهر انعكاس عريها كله . توقف الوقت. وراحت تتأمل
أنوثتها.

في تلك اللحظة، شعرت كم هي قبيحة . . شعرت أنها مُجرمة،
وأنها ارتكبت خطيئة الوقوف عارية أمام نفسها .

لو علم محمد بما فعلت لبصق في وجهها .

أخذت ملابسها المُلقاة على الأرض وهمّت ترتديها حين سمعت
أحدهم يدق الباب الخارجي.

أصابها الهلع ونظرت في السّاعة فوجدتها الخامسة عصرًا، قدم
أهلها مبكرين من الحديقة.

ارتدت جلبابها في عجلة، وحلّقت نحو الباب . .

فتحت لهم الباب فعمّ المنزل ضوضاء ما بين صراخ الأطفال
وقهقهات الكبار . .

راحت تداري جسدها خلف الباب وقد نسيت أن ترتدي ما
يسترها تحت الجلباب.

سألتها أمها وقد كانت آخر من دخل إلى المنزل:

- "المراية اللي كانت هنا فين؟؟"

ارتبكت ليلي للحظات قبل أن تجيب:

- "أنا. . كنت بنظف من تحتها ونقلتها أوضتي عبال ما نظف"
وأقفلت الباب. .

نظرت أمها إليها باستغراب قبل أن تنهرها بصوت لا يسمعه
سوى ليلى:

- "يا نهارك أسود ياللي مبتختشيش، روعي البسي يلا قوام"
أدركت ليلى أن جسدها ظاهر لأمها فهربت إلى غرفتها قبل أن
يراهها أبيها وخالها وزوجته والصغار.
"سترت" نفسها وهي تلعن إبليسها والمرأة، وسمعت طرق
أمها على الباب:

- "انتي ازاي تخرجي بالمنظر ده مرات خالك تقول علينا إيه؟؟"
- "كنت هستحما وانتو جيتو وأنا ف الحمام ف لبست أي
حاجة عشان افتحلكو الباب."

لفظتها سريعًا وقد أدركت قدرتها الهائلة على الكذب.
- "بت. . لو متلمتيش هخلي محمد يلمك"

فهرعت ليلى إليها وأمسكت يدها تقبلها وقالت جزعة:
- "لا يامة. . توبة يامة. . ده مش راضي عني خلقه"
ابتسمت الأم، وربتت على رأسها وقالت:

- "وهو يلاقي زيك فين يا مقصوفة الرقبة، يلا روعي شيلي
السمنة والجبنة القديمة عشان جبتهالو وأنا معدية على أم
مصطفى. مقالكيش أمه عايزة إيه من هنا؟"

فتذكرت آسفة مكاملتهما الأخيرة الجافة عشقًا وقالت:

- "لا . قال أقولك كلمي أمه واتفاهمي معاها".

فضحكت أمها قائلةً:

- " عيل واطي طول عمره . بس بيحبك "

فلمع في عينيها الحب وتعلقت بجلباب أمها قائلة:

- " والنبي يامه؟ "

ابتسمت أمها وكانت بصدد قول جملة تنتظرها ليلى بشغف

فبدت وكأنها قد أدركت أمرًا للتو فصاحت بها:

- "بت . يلا انجري ع المطبخ "

ابتسمت لأمها مغلوبة على أمرها، وتوجهت إلى المطبخ بعد أن

أخذت هاتفها. وبعد أن تأكدت أنهم منهمكون بالحديث والثرثرة،

أخرجت هاتفها من جيب جلبابها وجلست على كرسي صغير

وراحت تكتب له رسالة:

- "ليك وحشة"

هاك يغلبها شوقها فتعود تشتاق على الهاتف وشوقها مراق

كبريائه. "ليك وحشة"، تلك الجملة التي ما استطعنا لفظ مكنونها

كاملاً:

"وحشتني/وحشتيني". فنتخفي خلف ال "وحشة"، والحق أنا عرايا.

راحت تبتم لهاتفها وتقارير التسليم تفيد بأنه قرأها. . قبل

أن تصيح فجأة:

- "سيدة القصر!!!!"



- "ماما . أنا نازلة"

هكذا صاحت يسرا قرب الباب، فأتى صوت أمها من المطبخ:

"ماشي يا يسرا متتأخريش. . هي حبكت وسط البلد؟؟"

فراحت تضحك الجميلة وتقول:

"آه حبكت، قلبي بيقولي هكتب حاجة مميزة هناك. . الإلهام

يا ماما. . الإلهام. . اقولو ميغيشي؟؟"

- "لا ازالاي؟؟ متتأخريش. . مش معنى إن أخوي مش هنا إننا

نصيح، أفضل أداري عليكي لحد إمتى؟"

ضحكت يسرا، وقالت:

- "مش هتأخر"

وانطلقت نحو الحلم.

كان المخطط أن تجوب وسط البلد، وتختار مقهى لا يشير الريبة لتلجس لتكتب فيه، ثم بعد ذلك تمر على الحسين لتنال تبريكاته الأدبية. المقهى والحسين لم تخبر أمها بهما، فحمد لله أنها قد وافقت على خروجها لوسط البلد.

يسرا هي الأخرى تؤمن ب "أنا حر ما لم أضر" ولكن بموازينها

البريئة الخاصة.

هنا القاهرة. .

وهناك يسرا. .

أخبرها الحبيب أنه سينشغل لأيام، فكان حريٌّ بها أن تكتب
غيابًا بحرف. .

((عزيزي الغائب. .

عوّدي الشوق أن يسبّي صبري، أن يقف حائلًا بين صمتي
ووجعي، عوّدي أن يحرق أشعاري. . وحرني المغلوب، وحرني
المُشتاق. . وذاك الحالم في دفترتي الشارد.

عوّدي. . أن يُلقيني لمساك الغائب حينًا والشارد حينًا. .
فكيف يُلقيني. . ولا ألقاك. . ؟؟

فهكذا يفعل غيابك بي. . يعيد تكوين الأشياء، فأجدني من
دوني. . وأجدك من دونك، فيقف الحب صامتًا بيننا مغلوبًا على
نبضه. . نبضه الذي كان.

الحب، الحب قد ولى مُدبرًا عزيزي، قد ملّ الهطول شتاءً،
وأنت لست في الجوار. .

ظننتني عدت مراهقة بسنين عشقها الأولى على يديك.
. . فوجدتني طفلة بعامها الأول، وتبقى كلمة أحبك ساذجة،
قرب ما تكُنّه لك طفولتي. فأين الطفولة هذا المساء، ولم يبدو
الخريف قريبًا. ولم أشعر بيتم الأشياء. . ؟. .))

طالعت ما كتبته لتوها في أحد مقاهي وسط البلد العتيقة،
لكن نصًا ظلّ غائبًا عنها، فشعرت أنه حريٌّ بها أن تبحث عنه.
توجهت إلى "العبد" لتبتاع "الآيس كريم" بنكهة الفراولة والمانجو.
وراحت تأكله كطفلة في الخامسة وهي تجوب وسط البلد.

وإذا بضحكاتها تعلو وتعلو حتَّى استغرب من أمرها المشاة.
كانت جدّ سعيدة ومفكرتها في يدها تنتظر حروفها المشاغبة
منها.

التفتت إلى بائع الشاي الذي نادى لتوّه، وسارت إليه بروح
الصِّبا. . تسألُه:

- "اسمك إيه؟"

نظر إليها الأخيرُ قلقًا، وقال:

- "ليه؟"

فقالت باسمه:

- "الطريقة الي بتنادي فيها ع الزباين ملفتة قوي، حابة
أحتفظ باسمك"

فابتسم حتَّى ظهر صف أسنانه كلّه وقال:

- "طه. . والشّهرة موحوح. ."

فابتسمتُ يسرا له شاكرة. .

وأخذتُ تسير وتطالع وجوه الناس الشاردة، والغائبة، والمتعبة،
والبدئية، حتَّى شعرت بثقل الحروف. .

وإذا بعاشقين يمران أمامها وهي تشرب عصير القصب،
فتوقفت عن شربه حتَّى لا تفوتها تفصيلة، هي بطبيعتها تحب
تفاصيل الأشياء.

فعادت تبتسم لهما مباركةً لهما عشقهما. . وتابعت مسيرها،
إلى أن وصلت للحسين.

بدا المكان مزدحمًا . .

- " هو شارع المعز فين بعد إذنيك؟؟ "

سألها أحدهم، لكنها اعتذرت أنها لا تدري . .

- " شارع المعز . . الله "

راحت تخاطب نفسها وهي تطالع من سألها يسأل غيرها
وتراقب من دلّه على المكان . .

وفي لحظة . . قررت أنها سوف تذهب هناك، فقادتها قدماها.

وجدت نفسها في سوق يبيع الذهب والفضة، وبائعون
متجولون . . وبشر . . كانت بساطة الأشياء تدعوها للمضي قُدّمًا . .
وأبوها الروحي: نجيب محفوظ يدعوها هو الآخر للإحتذاء به.
كانت تعلم أن البشر من حوله أمْدَوْهُ بحروفه، إذ كان يفر من
منزله خلسة ليتوسط قلوبهم، ويجلس صامتًا على أحد الأرصفة
قُرب عمود إنارة طويل، ليطلع وجوه المشاة .

شعرت بقلق وهي تسير في طريق رأسي طويل، إلى أن وجدته،
كم بدا جميلًا والأنوار خافتة من حوله. منظر تخشع له نفسك
وتستكين . . كان هنالك مقعدًا خاليًا يدعوها للجلوس أمام ذاك
المعمار العتيق. في حين مرّ من قريها رجل يبيع غزل البنات،
فنادته وابتاعت واحدًا . .

وفتحت دفترها وراحت تقرأ حروفها مجددًا، حروفها أشبه
بلوحة تنتظر عبير الكلمات، أزال غطاء القلم بفمها الصغير،
شردت قليلًا . . لتجد النص الغائب:

((إلى صديقي الذي لا أدري كيف صار عزيزًا . .

ولكنه صار، والقلب من أمره احتار،
أكتب إليك كلماتي وأخطأ بدهشتي،
طلبت مني كلمة ألقها بالعربية، وها أنا أخشى حروف اللغة .
ولكني عارية حين أكتب بها . فهلأ قرأت عُرِّي هذا المساء؟ ؟
أنت أنت . لا مثيل لك .
قريني، ربما .
توأم روحي .
حبيبي في حياة أخرى،
موجود كنسيم صارخ، كشمس ثلجية . كعدو ربيعي .
أجد فيك عنف الأشياء، وأرقها .
أكتبها حروفي، التي لا أجد منها ما يسترني، وأبسمُ لعُرِّي،
وفي العين دمعتان:
ماذا حدث؟؟
ومن أنت؟؟؟))

* * * * *

في غُرْفَة مُطَّلَة على بحر مشاكس، اجتمع صبية، لكل منهم أحلام. . منها الوردية. ومنها الإباحية، ومنها العالقة بين الورد والعُهر. . تتنفس وردًا يومًا. . وعُهرًا يومًا. .

وصلت صبيتان، لهما من الجمال ما كان، تدق أحدهما وشمًا، وأخرى تتوسط شفاهها السفلية حلقة فضيًا. . تلك هي ميرنا، وتلك رفيقتها كوي. .

فتيات أتقن العُهر كما يجب، حتَّى ما استطعن إتقان شيء غيره، فبات مصلاً حيويًا يُحيي الشريان.

ودقت ميرنا الباب. . وكان يزن من أجاب، ابتسم فور رؤياهما وقال:

- "صباح الورد. ."

فضحكتا بمجون وهنَّ يعانقنه. . قالت ميرنا:

- "فين الشَّرقاوي؟"

- "حبيبك جوًا، وفي شابين كمان بس محدش يقربلهم!!"

ثم صمت قليلاً وهو يوجّه حديثه لكوي:

- "صحيح، إيه أخبار العُمرة؟"

وانفجرَ ضاحكًا. .

فأجابته مستهزئة:

- "معرفش حد بالاسم ده"

وساروا في ممر ضيق حتّى وصلوا إلى الغرفة.

كان عبدالله لا يزال نائمًا مُنذُ وصل الليلة الماضية، والشّرقاوي يتحدث عبر الهاتف على الشُّرفة، وأمجد يطالع التلفاز. انتفض أمجد من مكانه فور رؤية الفتيات وصاح:

- "أحييييييه"

- "يلا خد عبدالله وطيروا على برا، أحمد هياخد الأوضة الثانية. . وأنا هقعد هنا. . روحو بلبطوا في البحر. ."

أمجد لم يغلق فاه مُنذُ وصلت الفتاتين، كان يدري أن هنالك قلوبًا عامرة بالفُجر، ولكن عيناه لم تتسع فُجرًا. . وحين شعر بانتفاض عقله، قال وهو يلهث:

- "أحيه ع النسوان. . قوووووم يا سيدنا الشيببييخ"

وجه ندائه للشيخ الراقد على السرير. .

وراح يضحك وهو يقول:

- "قوم يا طاهر يا ابن الطاهرة. . السرير اللي إنت نايم عليه دلوقت مش هيقا طاهر ياخويا"

وإذا بالشّرقاوي من الداخل يُغلق باب الشُّرفة بعد أن نهرَ أمجد بشفاهه، يبدو أنها مُكاملة مهمة من شخص مهم.

عبدالله لم يتحرك له ساكنًا فنومه ثقيل جدًا. .

- "أنا هصحيه. ."

كانت تلك المتطوعة كوكي من تمددت النصف قُرب الطاهر،
وراحت تُمرر أصابعها على وجهه بخفة وتهمس:

- "وشه جميل، هو إخوان؟"

كان أمجد ويزن يكتمان ضحكتهما حتّى احمرّ وجههما.

- "يا بودي اصحى يا بوووودي"

وراحت تعبت بوجهه. . وتكرر ندائها. . ففتح الأخير عينيه
متكاسلاً. . وظلّ يحدق بوجهها غير مُدرك للواقع، وحين أدرك.
. انتفض عن السرير كعذراء على وشك أن تفقد عذريتها وراح
يستتر نفسه بالغطاء:

- "أعوذ بالله. . أعوذ بالله"

فانفجر الصديقان ضحكاً حتّى سقط أمجد على الأرض.

- "نهأاااار أبووووووووكوووو أسووووود"

راح يعوي وهو يلف الغطاء حوله. . فقال أمجد:

- "أهدأ، يلا يا صاحبي عشان البحر بينادي، وأنا وأنت آخرنا

البحر المصيف ده"

وضع عبدالله عيناه موضع قدمه. . وجرّ أمجد من يده نحو

الباب والذي قال:

- "والعة يا ولاد المحظوظة"

أنهى الشُّرقاوي مكالمته. .

وفتح باب الشُّرفة وقال:

- "إيه الإزعاج ده؟ يعني الواحد ميعرفش يتكلم تلفون؟"

ولكنه سرعان ما ابتسم لميرنا، التي قفزت بين يديه وراحت
تُقَبِّله بشراسة وهي تقول:

- "وحشتني"

وكانت بائعة هوى تشتاق، والحق أن أحمد كان المُفضَّل
عندها، إذ كانت تبيعه الهوى بضمير عاشقة.

قالت:

- "أنت على طول حلو كده؟ بتحلو يوم عن يوم!!"

ضحك الشَّرقاوي وقال:

- "ممممم مش عارف، اتولدت كده. "

وقبل أن تعانق هذه الشفاه تلك الشفاه قاطعهما يزن:

"Get a room" -

تنبه أحمد وراح يضحك قائلاً:

- "آه صحيح. . يلاع الأوضة الثانية يا مرمر"

وخرجا سويةً وهو يُخَاصِرُها. .

وبقي يزن مع كوي. . والشيطان يشهد من بعيد قرب ذاك

الإثم. . باسمًا. .

قال يزن لها بعد أن أمسك يدها وجلسا على طرف السرير:

- "وحشتيني"

والحق أنه اشتاق ذاك الجسد ولم يأبه لتلك الروح الصّالة.

ضحكت وهي تبادلته الشوق.

وأغمض عينيه وراح يتبادل معها شيئاً من الحب، وسافر بعقله. . لأعوام من أمس. . حين كان. . شيخاً. . وعبر ذاكرته ذاك اليوم، يوم الخطيئة الأول:

"ذات أيام مُنذُ عام

وقبلها بأعوام

كان هنالك شيخاً

يُدعى يزن عامر"

"١"

كان آنذاك في مسجد يقوم بعبادة وتضرع، حين رنَّ هاتفه في جيب جلبابه فأخرجه حين قطع عليه تلاوة القرآن، ووجد يسرا المتصلة على غير العادة. إذ أنه يدري أنها لا تتصل به حين تعلم أنه في الجامع.

- "ألو"

قالها بحسم. .

فأتى صوت يسرا باكياً على الجهة الأخرى من الهاتف:

- "أبوك في المستشفى. ."

شعر بغصة مهولة في صدره وشعر بجدران المسجد تضيق به. . ففرَّ خارجاً يتخبط بخلق الله. .

استيقظ ليجد نفسه على سريرٍ أبيض، يسرا كانت نائمة على كرسي مجاور وقد رسم الموت لعناته على عينيها الجميلتين. . والأم لم تكن موجودة. نهض عن السرير وقد أخرج إبرة الجلوكوز من يده. . وأزال الكوفية البيضاء عن رأسه، وطالع يسرا قليلاً. . قبل أن يخرج من الغرفة. .

عاد للمنزل بعد أن ابتاع إثماً من مكان مجاور، وضع الكيس على الطاولة. ووقف يُطالعه بصمت. . ثم أخرج قنينتي الويسكي، وفتح إحداها بسرعة وتجرعها دفعة واحدة. . وأخذ الأخرى معه إلى الحمام حيث وقف أمام المرأة. . يحدق بانعكاسه الشارد.

لم يتردد قبل أن يمسك آلة الحلاقة ويحلق لحيته عن بكرة أبيها. وراح يغسل وجهه وكأنه يغسل ظهره الأخير، قبل أن يفتح الزجاجاة الثانية. . ويتجرعها دفعة واحدة. . وخلع الجلباب. . وخلع معه إيماناً أخيراً. .

ارتدى قميصاً وبنطال، وخرج من مبنى منزله، ليدخل المبنى المقابل، الدور الثالث، شقة ٩. .

ودق الباب. .

وإذا بخميريةٍ تفتح له الباب. .

كانت عينيه تفوح بالكُفر قبل الشهوة. . وقفت سناء الجارة المجاورة تطالعه مستنكرة:

- "أفندم؟؟".

صمت قليلاً ثم ابتسم لها وهو يقول:

- "إيه. . معرفتنيش؟؟"

صمتت قليلاً وعيناها تتفرس وجهه الجميل، قبل أن تشهق
باسمةً وتجره إلى الداخل:

- "هو أنت؟؟"

* * * * *

١٣

وعند الشَّرْقَاوي . .

وحين تجردا من قلبيهما قبل ما يسترهما، كانت ميرنا تُغريه
بشهيات القُبَل . . وتهاوده باشتهائها إليه، وتشاكسه.

لكن شيئاً بدا غريباً.

وكانَّ رجولته الطاغية لا تسعفه، وكأنه فقد شهية الانصياع
للشهوة . . وفقد مع ذلك . . ذكوره . .

كان أشبه بثور سبعيني، يحرث في الأرض هباءً، وتخور قواه
فيسقط أرضاً. رقد إلى جوارها وهو يتنهد. ونظر إلى سقف الغرفة
وكانَّه يحادثها بعينه الذاهلتين، وقال للراقدة إلى جواره:

- "أنا مش كويس يا ميرنا . أنا حاسس إني مش طبيعي،
معرفش مالي!!"

نظرت إليه ميرنا باستياء وقالت:

- "حاسة إنك تايه . . مالك؟ في إيه؟ إهدى كده؟ في مشاكل
في الشَّرْكَة؟"

- "لأ. "

- "اومال؟"

- "معرفش، حاسس إني مش طايق نفسي"

ومد يده ليأخذ منشفة مجاورة، وراح يغطي نفسه بها،
ليجلس على طرف السرير. لفت ميرنا غطاء السرير الأبيض حولها.
وراحت تقترب منه وهي تسير بركبتها على السرير لتجلس إلى
جواره. وضعت يدها على كتفه ويدها الأخرى أمسكت بالغطاء
حول صدرها:

- "أهدى يا حبيبي. "

لم يجبها. .

وإذا بها تميل برأسها نحوه لتقبل عنقه، لكنه نهض فجأة من
قربها وقال بعنف:

- "أنا داخل استحمى، ولما تطلعيهم برا. أنا قطعك النهاردة
ماشى؟؟ ومتقلقيش ليكي ٥٠٠ جنيه زيادة"

صاحت به:

- "هو انت فاكرني كوكي ولا إيه؟؟ فهمتك ١٠٠ مرة. . معاك
إنت بالذات أنا مباحدش فلوس، هو أنت متعرفش أنا بحبك
قد إيه؟!"

أشاح بيده مستهزئًا. ودخل إلى الحمام.

وهناك، غمر جسده تحت المياه. لم يرد لجسده أن يغتسل،
ثمّة شيء روحاني كان يدعوهُ للإغتسال داخليًا. لكنّه أبى الانصياع
إليه.

ما الذي أصابه؟ ولم كل هذا الغضب؟ شعر بقلبه يتمزق من
ألم مجهول الهوية، هناك ما يوجعه، ما يُبكيه.

للحظة مرّ عليه طيفها الجميل. أمعقول أن تكون "هي"؟
تلك التي قدمت من زمن جميل لا يدري من أي كون هو.
مرّت به، لتحياي في نفسه نارًا حارقة، لتطفئها بابتسامتها تلك
التي رآها أول مرّة حين مرّت أمامه برفقة الفتيات. تلك البسمة
التي زلزلت روحه، لكن لم يسمح لذلك الزلزال أن يكون له أي
آثار جانبية، فراح يقنع نفسه، أن كل الفتيات سواء. هُنَّ ثعابين،
هُنَّ مخادعات، هُنَّ في العُهر سواء. يذكر محادثته الأخيرة معها
وكم بدت بريئة الطباع، أنيقة المشاعر. يذكر أنّها سلبت روحه.
لكنه مُتيقن أنه قناع من العفة والطهارة مُزيّف زائف. ولأنّه
مُزيّف ارتبك للحظات. قبل أن يقفل صنبور المياه بغضب،
ويخرج لميرنا مُبللًا عاريًا. ويقول:

- "إيه ده. انتي لبستي؟؟ أنا فل خلاص."

فاستقبلته ميرنا باسمّة، وهي تخلع ما ستر جسدها وروحها.
وعيناها تغني: هيت لك.

مضت ساعتان، وكان آنذاك عبدالله نائمًا تحت شمسية
كبيرة ويجلس إلى جواره أمجد صامتًا ذاهلًا يطالع تلك الأجساد
الغريبة، ويلعن حظه المصري ألف مرّة. راح بطبيعة الحال يقوم
بمقارنات قهرية يهمس على أثرها:

- "يخربيت المحشي. "

لكنه ابتسم، فهو يحب جسد أميرة المُمتلئ عند الخصر. .
ربما أميرة ليست بتلك المواصفات الألمانية أو الروسية الرائعة.
لكنها أميرة، فأدرك كم يحبها.

وإذا بهاتف له رنة عقيمة يرن، أخرج أمجد هاتفه من جيب
الشورت الذي لا يعكس سوى مجاعات الصومال، نظر في الشاشة،
أميرة تتصل بك. .

- "هي مرقباني دي ولا إيه؟"

لفظها سريعًا قبل أن يجيب:

- "أووو"

- "أيوه. . أنت فين كده؟ مكلمتنيش ليه أول ما وصلت؟"

- "لسة صاحي مليش ٣ ساعات، أول ما وصلت نمت على
طووول"

- "أنت ع البحر؟"

- "آه، أنا ع الشط دلوقتي والجو تحفة لوووووز مووووووز
لووووووووز. ."

- "والليلة دي دفعت فيها كام؟؟ دي شرم نار. ."

- "دفعت كام؟؟ هو أنا لاقى آكل؟؟ الشرقاوي قام بالواجب!"

- "مش متطمنة"

- "رحلة لشرم وجتلي م السما. . أقولها لأ؟"

- "لا تصلح للاستخدام الآدمي، وأبوها مش عايز إيجار جديد!!"

- "والعفش والأجهزة؟؟"

- "ولا أي بتتنجان، عمّال أشرتلهما في قمصان نوم لما قلت يا بس"

وراح يضحك عاليًا. . وقال:

- "أهو بنجيب حاجة في حاجة، بس اللي هو حاجات بسيطة قوي"

- "بتحبها؟"

سأله يزن فجأة، كان لسؤاله ظل موجوع وآخر مُبهم. سؤال غريب لصديق يعلم أن صديقه خاطب مُنذُ خمس سنوات، وقد عاش الحياة بسرّائها وضرّائها مع مَنْ يحب.

أجاب أمجد:

- "بحب أمها، هي ليّ وأنا ليها، وهعمل المستحيل عشان

نكون تحت سقف واحد، ربك كريم. ."

وأردف قائلاً بعد قليل من الصمت:

- "شكلكو اتزبطووا. . أصلي"

وغمز بعينه لكليهما.

فأجاب الشّرقاوي سريعًا:

- "ميرنا متحملتنيش كالعادة. هو ماله عبدالله ميت كده ليه؟"

وأشار لعبدالله.

يزن كان نبيهاً بما يكفي ليشعر بخطبٍ ما، ردّ فعل الشُّرقاوي السريع واندفاعه ليجيب أولاً، ثم تغييره للموضوع وراءهما الكثير، لكنّه لم يعقب.

قال أمجد وهو ينظر لعبدالله:

- "مخمود أهو"

وما هي إلا لحظات حتّى ظهرت ميرنا وكوي، فنظر إليهما أمجد وعينه تحتار بينهما. قال الشُّرقاوي ضاحكاً:

- "متقلقش يا ميجو، هتفضل عذراء معلش!!"

فضحك يزن، فقال أمجد ساخراً:

- "حاسس إن أنا هفضل عذراء طول عمري، مبيئلهاش جواز، الله يخربيتك يا اللي في بالي"

جلست كوي على رجل يزن وكذلك فعلت ميرنا مع أحمد، وقالت الأخيرة:

- "أنا جعانة قوي، أحمد هد حيلي"

فضحك أحمد باضطراب، وقال: . :

- "سمك يا شباب؟"

فوافق الجميع، ونظر خمستهم إلى عبدالله، وقد علا شخيره، فنهضت كوي ضاحكةً، وجلست على الرمال إلى جواره وهي تكتم ضحكتها، وراحت تداعب وجهه بأظافرها. لكنه بدا في نوم عميق فلم يهتز له طرف. فراحت تدغدغه علّه يستيقظ. فراح يتقلب في نومه بوجهٍ مُنزعجٍ وحين فتح عينيه وجدها بقُربه،

كان ذاك صوت كريم الذي يحب دومًا أن يعيش دور المخرج خلف الكاميرا، أخرج علكة من جيبه وجلس أمامها على الأريكة مستريحًا تمامًا في جلسته وقال:

- "هنتغدا فين؟"

- "مممممممم، ماك؟"

أجابته وهي تنزع الجهاز الموصل بالماليك حول خصرها كل هذا وذاك الكريم يتفرس جسدها خفية، قال شارداً:

- "وماله؟"

ثم نهض فجأة عن الأريكة وراح يفرد ذراعيه وجسده ويتأوه تعبًا:

- "هشوف أيتن!!"

فأتى بسيرة القط، قام "ينط"، خرجت أيتن ضاحكةً من إحدى العُرف الجانبية وخرج خلفها هشام أحد المصورين يعدل من بنطاله وقميصه، وأيتن تعيد ترتيب خصلات شعرها وفتحة قميصها. كانت فرح تنظر إليهم متقرزة وهي تقول لكريم محاولةً تجاهل ما رأت:

"الديكور المعفن ده هيتغير إمتى؟"

- "خشي بس إنتي ارتاحي في أوضتك واشربي أي حاجة سخنة وهنتكلم في الحوار ده على طول"

نظرت إليه باستياءٍ ولم تعقب وتوجهت إلى غرفتها. راحت تمسح مساحيق التجميل عن وجهها، كم تحب وجهها طفوليًا بعينها الخضراوين.

أخرجت سيجارة بنكهة الشوكولا من ماكبيث من حقيبتها إذ أنها أرادت أن تخفف من أثر النيكوتين من وجهها. ولكنها لم تصل إلى الكيف المنشود، فألقته جانبًا وهي تخرج أخرى من معشوقتها الحمراء مارلبورو، سحبت نفسًا آخر، وراحت تطلقه بشكل حلقات دائرية في الهواء وتبتسم لتذكرها عجز أصدقائها عن تقليدها.

أحيانًا تتمنى لو تصبح دخانًا كذاك الذي تنفثه، ولكن لا. ليس بعد. ثمّة ما يخبرها أن في الغد ما هو أجمل. ثمّة أمل في كيانها المهشم، يخبرها أن ستبتسم يومًا، وتتعالى ضحكاتهما فرحًا. راحت تحرك فتيل الشاي بداخل الكوب، تراقبه وهو يبرد تمامًا وهي لا تنوي شربه فعليًا.

خرجت من الغرفة. لتدخل غرفة الإعدادات، هي الغرفة المشرقة الوحيدة التي تُحب أثاثها الرقيق. كان الباب مفتوحًا. وجدت شابًا يقف قبالة النافذة الكبيرة. بدا مستغرقًا جدًا في تأملاته، شيئًا ما أخبرها أنه لا يحرق بما وراء النافذة، هناك ما هو أكبر، شيء يدعو للشرود صامتًا، والخروج عن هذه الآفة، المدعوة بالواقع.

قامت بإصدار حشجة بصوتها علّه يتنبه لوجودها، لكنّه لم يلتفت لها، أو بمعنى أصح ظلّ غائبًا بروحه، حاضرًا بجسده. رفعت حاجبًا وجلست على الأريكة الجلدية بثقل، وكأَنَّها ترمي بجسدها عليه ليسمع الغريب صوت حركتها. لكنّه ظل صامتًا جامدًا، حتّى ظنته أصم.

أثار حفيظتها، إلى أن وجدته يشعل سيجارة مارلبورو حمراء،
يسحب منها نفسًا عميقًا ثم يرفع رأسه عاليًا وينفثها على شكل
حلقات دخانية.

تعجبت في مكانها ولم تستطع كتم ضحكتها، أخيرًا ثمة من
يستطيع فعلها أمامها. كانت تأمل بأن يلتفت لترى وجهه أكثر
من أن تعرف ماذا يفعل في غرفة الإعدادات. ولكنه لم يتحرك!

- "يا أستاذ"

انتابتها الحيرة إثر سلبيته، ونهضت عن الأريكة لتضع يدها
على كتفه علّيه يستيقظ من سُباته. فالتفت إليها سريعًا وهو
ينزع سماعة الهاتف عن أذنه وقد بدا أنه يستمع إلى أغنية ما.
لم ينطق، كان وجهها أجمل من أن ينطق، حتّى أنه آمن أنّ
الشمس أشرقت هذا اليوم تحديدًا وتلك السّاعة لتبرز جمال
عينها، وذلك النمش الخفيف على أعلى وجنتيها وأنفها. وتلك
الحُمرة الطبيعية على خديها، وشفاهها الصغيرة التي تُغريه
لشهيات القبل..

- "يا كابتن"

نَبّهته مجددًا، فاستفاق، وقال:

- "أنا آسف، مخدّتش بالي إنك موجودة. أنا جاي في شغل
من طرف كريم توفيق"

- "آه، هو في الأستوديو غالبًا"

"يا ريت تبلغيه إني موجود، بتصل بيه مش بيرد!"

شعرت براحة إذ لم يتعرف عليها ويثير ضجة مهلهلة،

ابتسمت له نصف ابتسامة، وأشارت له أن يلحقها. دخلا إلى الأستوديو حيث أيتن وكريم، أما باقي الفريق فكانوا يتناولون الغداء.

وما أن دخلا حتَّى هلل كريم قائلاً:

- "إيه ده؟؟ إنتو قابلتوا بعض؟ مش تقولي إنك رجعت من شرم يا راجل؟"

نظرت فرح لكريم باستغراب وهي لا تدري ما يقول. اقترب منها كريم وراح يعرفهما ببعض:

"فرح عصام، مديعتنا الصباحية الجميلة"

ثم نظر إلى الآخر وراح يعرفه لها:

- "يزن عامر، البشمهندس يزن عامر، اللي هيغيرلك المكان على ذوقك"

مد يزن يده يصافحها قائلاً:

- "قصك على ذوقي!!"

وراحت عيناه تبتسم لها. لكنّها لم تشاركه البسمة. تجاهل كريم ما قاله، أو لم يسمعه من الأساس. أما هي فسحبت يديها من يديه ببطء. وقالت بسادية:

- "الديكور مش عاجبني، حاساه كئيب، وكأنه بيدعوك للانتحار داخليًا. عايزه حاجة كده فرايحي، وفي نفس الوقت شيك وكلاسيك"

- "الكحلي الغامق كارثة في التي في"

ابتعد عنهما كريم، فاسترسل يزن حديثه قائلاً:

- " عمره ما هيبرز لون عنيكي "

ظَلَّتْ تحدق به صامتةً ثم قالت:

- " حتّى الكنبه الي بقعد عليها سواء أنا أو ضيوفى، مش مُريحة. . ولونها بشع. . سمعت إنك برضو بتقدم مقترحات بالنسبة للأثاث؟ "

نظر إلى الأثاث للحظات، ثم قال لها باسمًا:

- " مش حاسة إن دي مملكتك. . حاسة نفسك مسجونة "

نظرت إليه بامتعاض مجددًا وقالت:

- " الأرضية والستائر، ملهومش أي علاقة ببعض، بيزيدو المكان كآبة "

لحظتها لم ينظر للأرضية أو للستائر، بل نظر مباشرة في عينيها، وقال:

- " عنيكي وراهم حكاية حزن طويلة، تفتكري لو غيرنا الديكور والألوان، ده هيغير في عنيكي حاجة؟ "

فرح لم تشعر بنفسها إلا وهي تقول:

- " قالولي إنك مهندس ديكور، مش مُحلل نفسي، لأنك لو مُحلل نفسي فملكش أكل عيش عندنا "

ابتسم لها، وهو يخرج سيجارة من جيبه ويشعلها. . وقال:

- " أنا مش مُحلل نفسي، بس حاولي متكونيش مفضوحة!! "

لم تستطع النطق، فأدارت ظهرها له. . وسارت خطوتين، ثم التفتت

إليه وقالت:

- "أنت المفضوح، سرحانك قدام الشباك، ومازيكة "يائي" اللي كنت بتسمعها، والحزن اللي في عينيك فاضحك.. ويحكوا جنونك اللي لسة مامتش فيك، وسط حاجات كثير ماتت وادفنت من زمان بعد"

وأدارت ظهرها مجددًا له، وقد ضربته في الصميم، نظر لخطواتها مذهولًا.. لم يتوقع ذلك التحليل مطلقًا. كيف استطاعت قراءته؟؟ وقد عاهد رجولته ألا تقرأه امرأة قط.

فرح..

* * * * *

١٥

عادت من المدرسة بعد يوم شاق تحمل دفاتر الفتيات لتقوم بتصحيحها لاحقًا. ألقتها جانبًا وهي تقول متأففة لأختها الصغرى شمس:

- "هاتيلي كوباية ميه"

ركضت شمس في اتجاه المطبخ تلبية لطلب أختها الكبرى. عادت إليها وقالت بحماس الطفولة:

- "يااااااه كل دي كشاكيل هتصححيهم؟ لما أكبر إن شاء الله هبقا مدرسة زيك وأساعدك في تصحيح الكشاكيل."

وابتلعت ريقها وقالت بذات الحماس:

- "ومتقلقيش هدرّس في مدرسة للبنات زيك بالضبط، عشان
ماما وبابا يرضوا عني"

نظرت إليها ليلي بشفقة، سرعان ما تحولت نظرتها إليها
لنظرة حنان مُنكسرة، وقالت وهي تربت على كتفها:
- "إن شاء الله يا شمس"

ركضت الصغيرة نحو دفتر مُلقى تركته على الأرض، وراحت
بقلم أحمر تصحح لنفسها ما كتبت، بل وتعطي نفسها درجات
من عشرة أيضًا.

راحت ليلي تدعو الله بالألّا يكون مصير شمس كمصيرها. ألّا
تعيش بغوغائية الجهل، ألّا تكون نسخة لمأساتها. راحت تذكر
محمد، بنظرها محمد هو الحل، حتّى لو كان قاسيًا، سيعيشان في
القاهرة -أو هكذا تأمل- حيث التحضر والتفتح. وبذلك ستقلدها
أختها لو كانت ذكية كفاية عندما تكبر.

جلست على الأريكة تطالع التلفاز حين خرجت أمها تقول لها:
- "ليلي.. تعالي هنا عايزاكي"

نهضت ليلي بتكاسل عن الأريكة، ودخلت خلف أمها إلى
المطبخ. راحت تحضّر معها الغداء بصمت، بانتظار أن تنطق أمها.
وقفت إلى جانبها تحضر السلطة. كانت تمسك الخضار وتقطعه
قطعًا صغيرة جدًّا، راحت تنظر إليها ليلي بانتظار أن تكشف عمّا
تخبّيه. كان يبدو عليها أنها تزن كلامها جيدًا، قبل أن تنطق به،
وهكذا هي أمينة، من تقوم بالأعمال التجارية عوضًا عن زوجها،

العصامية، من تتصدر مجالس الرجال حين الحديث عن الأراضي والمزارع، من لا تقرأ ولا تكتب، هي ابنة الرجال، وذاك يكفيها. . .

خرجت عن صمتها أخيراً:

- "أم بدوي جايه عندنا كمان نص ساعة"

نظرت إليها ليلى باستغراب وقالت:

- "أم بدوي؟ ياااااااه هي الست دي لسه عايشه؟؟ خير يا أمي في حاجة؟"

- "هيكون في إيه يعني؟ جايه تطاهر أختك شمس"

نزل الخبر عليها كالصاعقة حتّى ارتعشت أناملها السمراء، كتمت بداخلها صرخة مدوية، وقالت بصوت يئن أماً:

- "تطاهر شمس؟؟ يا خبر أسود يا أمي، انتو لسه بتعملو الهباب ده؟؟ مش كفاية أنا والعذاب اللي شفته من عشر سنين وكنت هروح فيها بسبب الجهل والإمعية؟ تطاهر شمس ازاي؟ دي عندها ٩ سنين يا أمي. ؟؟"

نظرت إليها أمها بغضبٍ وقالت:

- "جهل وإيه يا ختي؟؟ وآدي اللي بناخدو من العَلام. إحنا رضينا إنك تكلمي عَلَامِكِ عشان سي محمد فرض علينا ده. إمّا تيجي تقولي ع كلمتين حافظاهم فده مش عندنا يا حبة عيني. اتعدلي بدل ما أعدلك. أنا قلت أقولك عشان تبقي معايا في الأوضة لما أم بدوي تيجي عشان البت متصرعش"

راحت ليلى تلطم على وجهها:

- "واللي هيتعمل فيها دي مش هيصرعها؟؟ ده خطر يا أمي.
أبوس إيدك متعملي في بنتك كده"

- "شوف البت.. هو أنا هقتلها؟؟?"

وأردفت قائلةً بحسم:

- "ده شرع ربنا يا هبله انتي وصون وحفظ للبنات.."

أجابتها ليلى باكية:

- "صون وحفظ لشمس من إيه يا أمي؟ هي ضناكي ليها ف
المشي البطال؟ والله لو عملتولها ألف عملية ختان ومصيرها كان
فاجر.. هتمشي في الفُجر."

تركت أمينة السكينة من يدها، لتمسك بشعر ليلى وتجره
إلى الأسفل قائلةً:

- "أخسي يا قليلة الحيا.. صحيح بنت عايزة رباية، بيكي ولا
من غيرك أم بدوي جاية يعني جاية.."

راحت ليلى تبكي، وتبكي بداخلها تلك الطفلة التي حرقوا
طفولتها يوماً باسم العُرف والعادات..

خرجت أمها من المطبخ، وكأنّها لا ترى ابنتها تبكي. توجهت
ليلى بدورها إلى نافذة المطبخ. فوجدت في الأسفل قطة تأكل.
راحت تتمنى لو كانت مكانها، قطة تأكل من خَشاش الأرض،
تمنّت لو اكتفت بفطرة الحيوانات التي لا تتغير، تلك الفطرة
المحفوظة التي لا ريب فيها، ولعدل الله حكمة مع الحيوانات،
لأنه لم يميزهم بالعقول، وترك رحمته أو جبروته مرهوناً بما يرضوه

عقل الإنسان. تمّت أن تموت ميتتهم، حين تصبح نسيًا منسيًا،
وحثّى حين تبعث، حين يحين لقاءه في علاه. . ستكون ترابًا؛
"يا ليتني كنتُ ترابًا" . .

حكّت دموعها.

خرجت إلى الصالة، وكانت الشمس لا تزال تلعب بالأوراق
والأقلام، وحولها هالة من الحلم والصبأ. اقتربت منها، وجلست
إلى جوارها تكبت قهرها ودموعها. . قالت بصوت باكٍ وهي
تتحدث بالعربية كما في قناة سيستون التي تحبها شمس:

- "أأنهيتي يا أستاذة شمس؟"

نظرت إليها الصغيرة بعينين تتسلقان حلمًا كذاك الذي عرفته
من أختها الكبرى، وقالت بذات اللهجة:

- "لا. . هناك الكثير من الواجبات. . والفتيات منهنّ الشاطرات
ومنهنّ الفاشلات. . فأعطينهن "كحكة"

وراحت تضحك بأمل، فربتت ليلي على رأسها، وراحت تمرر
يديها على ضفائرها، ثم ظهرها، ووجع بداخلها قد بلغ مبلغه. .

- ستكونين أجمل أستاذة يا شمس، وستحبك الفتيات والفتيان.

فصاحت طفولتها وكأنّها أبت ما تقوله شفاه أختها، قالت:

- فتیان؟؟ أنا أدرس فتیان؟!!

فأجابت ليلي باسمّة:

- نعم. . فتیان، أليسوا مخلوقات الله؟ سيكون مصيرك يومًا أن

تتزوجي أحد الفتیان. .

فراحت تشهق طفولتها فقالت بقلق:

- "بس إنتي بتدرسي بنات بس!! وأنا حابه أكون زيك"

نظرت إليها ليلي بعتب، وقالت آسفةً:

- "لا متكونيش زيي.. كوني الشمس.. كوني الهدى، زمنك غير
زمني، وغير زمن أمي وجدتي.. خليكي أملي."

صمتت الصغيرة، في محاولة لاستيعاب ذاك العمق، لكنها لم
تستطع. قالت باسمه:

- "حاضر.."

وعادت لصمتها مجددًا، ولكنها سرعان ما قالت:

- "بس أنا عايزة أطلع زيك.."

ابتسمت ليلي بقهر، ولثمت رأسها بشفتيها، وخارت قواها.
. وراحت تبكي وهي تأخذها بين ذراعيها. رفعت شمس رأسها
إليها، وقالت:

- "بتعطي لييه؟"

تنهدت ليلي بأم، وقالت:

- "أصبحتي عروس يا شمس.. وكم أحبك.."

فعادت الصغيرة باسمه لأوراقها. . ترسم حُلْمًا على رصيف
صبا، وتلونه بصفائرها الصغيرة.

نهضت ليلي من قربها، وتوجهت نحو حقيبتها الملقاة بعد
أن نزعَت حجابها، وأخرجت هاتفها من داخله.. لتتصل بمحمد..

راح الهاتفف يرن، وطال الصمت اللاسلكي، حتّى ظننته كعادتها
لن يجيب. . وفي آخر لحظة، أجاب أخيراً:

- "الو. ."

- "أيوّة يا ابن عمي. . ازيك؟"

- "تمام، وانتي؟"

-

- "ألو؟؟"

- "معاك. ."

- "مالك؟ انتي بتعيطي؟"

ألقت ليلى نظرة حولها، ثم دخلت غرفتها سريعاً، قالت:

- "أختي شمس. ."

- "مالها؟؟"

- "مش. . عارفة أقولك إيه. ."

- "في إيه يا ليلى فلققتيني. ."

- "أنا بس عايزاك تقولي أعمل إيه. ."

- "هنتطقي وتقولي في إيه ولا أقفل؟ مبحبش الصداع ده. ."

- "في واحدة جاية تعمل لشمس ختان. ."

- "نعم؟!"

- "أعمل إيه؟"

- " ده ختان. . اللي هو ختان الإناث ولا قصدك إيه؟"

- "أيوه. . أومال ختان إيه يعني؟"

- "يا نهر أزرق؟ إيه الجهل والقرف ده؟؟"

- "والله قلت لأمي كده شدتني من شعري، أنا مش عايزة
شمس يتعمل فيها زي ما اتعمل فيا"

.....-

- "يا ابن عمي؟؟"

- "نعم؟! بتقولي إيه؟! ليه هو انتي.....؟؟؟.. يا نهار
أسسسسسسود. . أمك مقلتليش الحوار ده. . انتو عيلة مجانيين.
سلام"

وأنهى المكالمه. .

راحت تلعن قرارها بمحدثته. . مرّت لحظات، وعاد يتصل
بها مجددًا:

- "هاقي أمك. ."

- "لأ طبعًا، أمي لو عرفت إني قلتلك هتجيب رقبتني. ."

- "ليه إن شاء الله. .؟ طب هاتي أبوكي. ."

- "يا نهار أسود، أنت عارف لو أبويا عرف إننا بنتكلم تلفون
هيعمل فينا إيه؟.."

- "أومال أعمل إيه؟ شمس في رقبتك. . امنعي القرف ده بأي
شكل. انتو جايبين القاهرة إمتي؟"

فانطلقت دموعها، وعلى بكاؤها:

- "معرفش.. معرفش، وأم بدوي كلها شوية وتيجي.."

صمتت قليلاً.. وقد تجمّدت دماؤها، كان لا يزال محمداً
يهذي على الهاتف، قالت بقلق:

- "سلام دلوقتي.."

وفرت إلى الخارج..

كانت سيدة في الخمسينات من العمر، سمراء بدينة، لا ملامح
لها، وكأنها كانت رجلاً في حياة أخرى، شعرها الأجد متناثرٌ من
تحت حجابها القاتم، وقرطبيها الذهبيين يتدليان من أذنيها. كانت
تتنفس بصعوبة لصعودها السلم، فلحمها الزائد يقسم ظهرها.
بقربها كيس أسود متوسط الحجم.. تلك كانت أم بدوي، وتلك
أدوات الجريمة.

- "والله وكبرتي وبقيتي عروسة.. إزيك يا بت يا ليلي؟"

كانت عينا ليلي تشعان غضباً وقهر.

- "بخير"

- "هتتجوزي إمتي؟"

- "لسه بدري"

ثم نظرت لشمس..

- "يا شمس.."

كان ذلك صوت أمينة تناديها من الداخل

فرفعت الصغيرة ناظرها صوبَ الغرفة.

- "تعالى أقولك حاجة في الأوضة. "

نهضت شمس، وتبعتها أم بدوي، تمشي بثقل وكيسها في يمانها.

لحقتها ليلي، ووقفت صوبَ الباب تسمع حديث أمها:

- "شمس، النهاردة هنعترف بيكي، عشان كبرتي وبقيتي عروسة"

وراحت تضع يديها على كتفي ابنتها. . وتقول:

- "بس عشان تبقي عروسة بجد وحققي، في حاجة لازم تعملوها، زي كل البنات. . حتّى ليلي عملتها وهي صغيرة"

راحت ليلي تجزّ على أسنانها حتّى يخيل إليك أنها تتكسر لشد اصطكاكها.

نظرت شمس صوبَ ليلي، لكن ليلي ظلّت صامتة، جامدة لا يهتز لها طرف.

العجزُ يبيك مكانك مبتور الإرادة، ينهش فيك صبرك، يجعلك عارياً لا حول لك ولا قوة، حتّى إذا جاءك حلم، قلت له إرحل. . لأنك حينها بدورك ترضى على نفسك ميّة الأحلام.

لحظات وكانت الصغيرة مُمدة على ظهرها، بدت واثقة وهي تتشبه بأختها، لكنها بدأت تنتفض حين اقتربت منها أم بدوي، نظرت صوبَ ليلي. . ثم إلى أمها، ثم إلى ذاك الشبح الأسود الداني منها، ثم عادت تنظر ليلي:

- "ليلي. . "

لفظتها بصوت فزع.

- "افتحي رجليكي. "

أمرتها أمها بلطف، لكن الصغيرة راحت تواري عورتها بيديها. .

- "ليلي. ."

نادتها مجددًا.

لكن ليلي وقفت كالمكلومة، أصابها الخرس.

كانت أم بدوي تعبت بأدواتها، مشرط، قطن، مُعقِّم، بكرة خيط. وعلى وجهها ابتسامة سمجة الطلّة، تدعوك للنظر بعيدًا.

راحت تصب المعقِّم ببلاهة على المشرط، ثم على أسفل شمس، راحت تتشبهت شمس بذراعي أمها وتقول:

- "ليلي. ."

ويل لذاك الجسد، الذي وقف مكتوفَ الروح، يطالع قهراً آخرَ مبتور العنوان.

- "امسكيها. ."

نطقت المرأة وهي بصدد أن تبدأ جُرمًا آخر أسفل فتاة ريفية أخرى. أمّا أمينة، فلقد قيدت ابنتها بيديها. راحت الصغيرة تصرخ، ويتشنج جسدها الصغير. فانتفضت ليلي وقالت:

- "أبويأ جه أهو ولازمن أقوله"

وخرجت من الغرفة مسرعة نحو أبيها.

ألقت بجثتها أسفل منه وهي ترجوه باكية:

- "بابا. . سايق عليك النبي ما تخليهم يطاهروا شمس دلوقتي"

نظر إليها الحاج عمران محاولاً استيعاب الموقف:

- "هي أم بدوي جوا؟"

- "أيوه ياباه. . أبوس إيدك ما تخليش أمي تعمل حاجة.

استنو على البت شوية لما تكبر"

- "أنا مليش دعوة بأمور الستات دي، بس الصح لازم يتم"

- "بيقى عشان خاطري استنى لما تكبر شوية، أبوس إيدك ياباه"

وهمّت تقبلها، لكنّه أبي. . وقال:

- "نادي أمك"

فانتفضت مجدداً وركضت نحو الغرفة حيث وقفت أمها وأمارات الغضب باديةً على وجهها وقالت:

- "أنا غلطانة إني قتلتك يا وش الغراب"

ثم قالت لأم بدوي:

- "أم بدوي، إمشي انتي دلوقتي، وهكلمك بعدين"

نظرت أم بدوي ليلي بانزعاج، وقالت:

- "يرضيكي يعني كده يا أم ياسر آجي ع الفاضي؟ - يطلق على

أمانة بأم ياسر، عوضاً عن أم ليلي وذلك لأنها لم تنجب صبياً.-.

وأردفت قائلة:

- "ده أنا بيني وبينكو عشرة كيلو، يعني جايلكو من آخر الدنيا"

فأجابتها أمينة قائلة:

- "حقك عليا أنا، المرّة الجاية هديكي أجرتين بدل أجرة. اتوكلي على الله دلوقتي عشان أشوف الحج"

فراحت أم بدوي تُهمهم بكلمات غاضبة وغير مفهومة وهي تلمّ حاجياتها. وفي هذه الأثناء، اقتربت ليلى من شمس وحضنتها حضناً عميقاً وكأنّها تحضن طفولتها أيضاً التي كانت على وشك أن تموت.

لم تنطق شمس، عيناها المبللتان بالدّمع، أغنتا عن الحديث، لكنّها استكانت بين أحضان ليلى المتأخرة.

- "أنا معاكي، متخافيش"

ولحظات، ثم أخرجت هاتفها من جيبها، وأرسلت:

- "البت بخير، معملتهاش. . انت مصدر قوة ليّ. ربنا يخليك ليا يا ابن عمي"

ويبقى السؤال. . أحقّ محمد هو مصدر قوة ليليّ؟ أم أنّها أخرى توهم نفسها أن لمحبوبها دور ملموس وفعلي في تغيير أفعالها؟ أم أنّها تريد تقريب المسافات البعيدة والنائية؟ ليته يسكنها، كما تسكنه.



- "بس أتلّم عليكي يا أميرة في حته تتاويننا"
- "تفتكر؟"

وغاب بينهم الصمت.

الحبُّ يُلقِي علينا بالأمنيات، الجميل منها. لكن الأماني درجات، هناك أمنية بمثابة قمر، نحبا من بعيد دون أن تصل إليها تراتيلنا، دون حاسة اللمس الفعلية ولكننا مع هذا نُحب أن ننظر إليها من بعيد. وهناك أمنية بمثابة نيزك سريع خاتته الجاذبية، إمّا أن تمسكه سريعًا. وإمّا لا.

وهناك أمنية موثوقةٌ بحبلٍ يجرهُ القدر، وعادة ما يجره عكس اتجاهك، كلما أمسكته جذبته القدر من الطرف الآخر. فأى أمنية هي أمنية هذا الثنائي العاشق؟؟

قالت:

- "بدعيها كل يوم من قلبي"

وراحت تقطع قطع الدجاج من أمامها وتضعها أمام شطيرته:

- "كل دي كمان"

فراح ينظر إليها بامتنان، وهو يدرك أنه لن يجد مثلها أبدًا. أميرة الصابرة المتصيرة، التي ترضى بالقليل.

لحظات ورنٌ هاتفها فصاحت، وهي تنظر إلى الشاشة:

- "الحق، دي البت إيمان. "

- "طب ردي عليها بسرعة. "

أجابها أمجد بشغف، راحت أميرة تمسح يديها بسرعة في المناديل أمامها. ثم تمرّر إصبعها سريعاً على الهاتف وتضعه على إذنها، ثم تسند رأسها على كتفها حتّى لا يقع منها الهاتف:

- "أيوة يا إيمان؟ ... الحمد لله، وانتى عاملة إيه؟ ... أيوه فاضية، أنا بتغدا مع خطيبي، أخيراً. . . الحمد لله، طب انتى فين دلوقتي؟ .. لا بكرة إيه، هجيلك، هنزلك البحوث أنا ف العتبة، استنيني بالله عليكى، وخلى بالك منهم كويس. . سلام"

ثم نظرت لأمجد وفرحة تتراقص في عينيها:

- "هقوم استلم الجمعية. ."

ابتسم لها فرحاً وقال:

- "هو ده الكلام، أنا كنت خايف يتنصب علينا"

- لا يتنصب علينا إيه؟ الحمد لله، صبرنا ونولنا. كمل أكل عبال ما أجيلك"

- "لأ أنا جاي معاكي. ."

- "لا يا حبيبي كل أنت. . أنت خاسس وعدمان، كلها كام محطة وجاية. وبالمرة أجيلك تشيز كيك من سلينترو معايا. احتفالاً بالمناسبة دي. قول عاااااا بقا. ."

- "عاااااا يا هبلة. . وربنا هبلة"

ثم صمت قليلاً وقال:

- "خلى بالك م الفلوس، دول عشرين ألف جنيه، نص مرتبى ومرتبك العشرين شهر اللي فاتو دول"

- "متقلّش يا أمجد"

ثم نهضت عن الطاولة، وهي تتناول قطعة دجاج وتبلعها
برشفة ببسي سريعة. قالت:

- "هطير أنا. ."

- "طب إيه؟ . ."

- "طب إيه إيه؟"

- فيش قطة ع السريع كده من شفايفك المزيّنة م الفراخ دي؟
نظرت إليه بازدراء، وهي تمسح شفيتها من آثار الطعام
والروج وقالت باستنكار:

- "قطة في عينك. سلام ياد"

وتحركت متمنعة من أمامه، راح يضحك وهو يشاهد خطواتها
الراحلة عنه، وقال يحدث:

- "وجبتين كنتاكي في يوم واحد، يا فرج الله يا أم مسعد"

خرجت أميرة من المطعم بخطوات سريعة وهي تضع الروج
سريعًا على شفاهها، وتخرج معقم اليدين من يديها لتبعد عنها
رائحة الدجاج. وكعادتها أخرجت ٤ حبات كلوريتس وتناولتهن في
عجالة.

- "هاتلي معاك تذكرة والنبي يا كابتن"

قالتها وهي تمد شابًا بجنيه كي لا تقف في الطابور. أعطاهما
إياه وحلقت نحو اتجاه الجيزة وهي تحشره في حجابها ناحية
أذنها الأيمن.

وقفت تنتظر المترو، ثم أخرجت هاتفها لتكتب:

- "كل كويس يا ميجو، أنت مش عارف إن أنت عنيا ولا إيه"

ومن ثم إرسال. وراحت تضحك عاليًا، وصل المترو مكتظًا
بخلق الله.

دخلته سريعًا.

ووقفت قبالة الباب كعادتها لكي تعد المحطات حتّى تصل
إلى البحوث.

- "باكل أهوو ياختي.. انتي عايزاني اتخن ويطلعلي *جزء من
النص مفقود*"

كان هذا نص الرسالة الذي أرسله لها أمجد، ولكنه لم يصل
كاملا لضعف الشبكة في المترو.

ابتسمت للرسالة، وراحت تنظر حولها بعفوية. كان الرجال
ينظرون لجسدها وينهشوه بشررات الشهوة. أدرات لهم ظهرها
وراحت تراقب الطريق السريعة، حتّى وصلت إلى محطة البحوث.
خرجت من المترو. . و:

- "*جزء من النص مفقود* مجانيك زيك يا ام مجانيك انتي،
بس يموت في مجانيك أمك D:"

راحت تضحك وهي تصعد السلم الكهربائي سريعًا. أخرجت
التذكرة الصفراء من خلف حجابها، ووضعتة أمام الموظف الذي
راح يهمس:

- يخربيت شفايفك

نظرت إليه بازدراء وقالت:

- "يخربيت سخافة أهلك. ."

- "إيه يا وحش بالراحة"

نظرت إليه كما كان ينظر محمد هنيدي في فيلم فول الصين العظيم لذاك الصيني الضاحك بجواره في الطائرة. "مُهيبي" . .

صعدت السلام المؤدية لشارع التحرير في البحوث، وقامت بالاتصال بإيمان التي أخبرتها أنها تنتظرها أمام مقار إخوان للسيارات. عبرت الشارع لتجد إيمان أمامها، همّت تحتضنها وتُقَبِّلها وتُلقي عليها السلام، أخرجت الأخيرة مظروفًا من حقيبتها وأعطته لأميرة التي أمسكته بفرح وهي تقول:

- "ماله خفيف كده ليه؟"

وراحت تضحك، أجابتها إيمان ضاحكة:

- "ليه هما مليون جنيه؟ دول عشرين ألف جنيه خمسميات. يعني أربعين ورقة بس"

راحت أميرة تُقبِّل المظروف بعد أن تأكدت من محتواه بعينها الثاقبة ووضعتة في حقيبتها. وقالت:

- "الحمدلله. . المهم وصلوا"

ربتت إيمان على كتفها باسمه وقالت:

- "الحمد لله يا حبيبتي، إنتي وأمجد تستاهلو كل خير. ربنا يوفقكوا يارب"

- "يارب يا إيمان يارب.. يلا هطير أنا عشان مستنيني في كنتاكي".

- "أيوه بقا".

ثم غمزت لها بعينيها وقالت:

- "ماشي يا أميرة. واتساب بقا"

ثم تبادلتا قُبلاً سريعة وكأنَّ بينهما دهور من السفر والرحيل.

وجدت أميرة نفسها أمام خيارين. إمَّا أن تستقل المترو مجدداً وتعود للدقي لتجلب التشيز كيك من سلنترو كما وعدت أمجد، أو تستقل ميكروباصاً سريعاً يأخذها إلى هناك. ولوجود الميكروباصات أمامها، اختارت الخيار الثاني.

- "سلنترو معك يا سطا".

البسمة لم تفارق وجهها، كانت المناسبة تدعوها للذهاب إلى الكوافير آخر اليوم لحملة تنظيف شاملة، ولإعادة صبغ شعرها بذاك الأصفر الفاقع. رُبما تصبغه حين تتزوج أمجد بلون آخر، فهي ستزعم الحجاب في حفل الزفاف.

خرجت من الميكروباص، كدمة بسيطة، وشعرت بخفة من جانب كتفها الأيمن، وكأنَّها كانت ترتدي عقداً انقطع من رقبتها. غريبة هي اللحظات الصادمة، التي تحدث سهوة فلا ندري بأي أرض نكون.

نظرت يمينها لتجد حزام الحقيبة دون الحقيبة. الحقيبة حلقت بعيداً مع سائقٍ لدراجة نارية.

لكن أميرة لم تجب..
أخرجت هاتفها الذي يرن من جيبتها ونهضت دون أن تجيب،
وأغشي عليها.



١٧

فتحت عينيها ببطء، كانت الرائحة نفاذة، لكنّها لم تدرك
أنّها في المستشفى فوراً، نظرت حولها لتجد أمجد ويزن ويسرا
والشّرقاوي وعبدالله ووالديها ووالدي أمجد.

لحظات انقضت حين وجدت مَصَل الجلوكوز في يديها، وعادت
لبكائها وقد أوجعتها الذاكرة.

- " في إيه يا أميرة استهدي بالله؟ فداكي يا بنتي.. "

قالها الشّرقاوي.

ألقي يزن عقب السجائر من النافذة إذ كان واقفاً قربها،
وقال:

- " أعصابك يا أميرة، حالتك متستحملش عياط، جالك هبوط
حاد من كتر الصدمة. اهدي كده بس وكل حاجة ليها حل "

قالت بصوت تعب:

- " حل إيه بس؟ "

ثم نظرت لأمجد وقالت:

- " سامحني سايق عليك النبي "

أجاب محاولاً غلب الدمع:

- " أسامحك إيه يا هبله أنتي. . فداكي كنوز الأرض، قوميلي

بس انتي بالسلامة، ومتخضنيش عليكي تاني. مليش غيرك يا أميرة "

لكن دمعه خانه، فبكي وهو يُقبَل يديها. بكي لأنه شعر أنه

كاد يخسرها، بكي لتلك الوريقات التي أذلتها بضياعها.

قال عبدالله:

- " في إيه يا ميحو أمال، استهدى بالله كده ياعم. . أميرة زي

الفل أهى. . "

اقتربت يسراً من أميرة:

- " حمدالله ع السلامة "

وراحت تُقبّلها على جبينها.

- " هات سيجارة يابني "

كان ذلك والد أمجد، الحج سامح، موجهًا طلبه ليزن. ثم

اتجه نحو الشرفة حين أخذها منه بعد أن أشعلها له. اتقن

الزمن رسم آثاره على جسده النحيل. كان غاضبًا، ولكن بصمت.

وهكذا هو حين يغضب، يتوجه لأقرب نافذة مع سيجارة.

قالت أم أميرة، سوسن:

- "معلش، هو بس اتخض عليكي يا بنتي"

أعدلت أميرة من جلستها وقالت:

- "لو كنت ركبت مترو مكنش حصل اللي حصل"

- "مقولنا خلاص يا أميرة، المهم انتي يا عبيطة"

كان ذلك عبدالله مجددًا، في حين اتجه يزن للشرفة، قرب

العجوز، قال:

- "مالك يا حج؟"

نظر إليه عم سامح وقال وهو ينفث دخانه:

- "هيكون في إيه يعني؟ البت ضيعت عشرين ألف جنيه. .

والاسم عايضة تتجوز، كده يبقى تستنى سنتين كمان على ما تجمع

زيهم هي والبغل. البت ليها أكثر من خمس سنين مخطوباله،

والعجلة مش عايضة تدور، وبيتقدملها عرسان مستعدين يدفعوا

من ألف لمية ألف. بس هي خلاص، حاكم الحب غلاب، قافشة

في الواد أمجد. وإحنا اتعودنا عليها خلاص، بس العمر بيضيع يا

إبني، نفسي أفرح بيهم قبل ما أموت، وأشيل عيل من عيالهم

على رجلي قبل ما ياكلها الدود"

- "كله بأوانه يا حج. الموت والفرح، كله بأوانه"

نظر إليه العجوز وقال من خلف نظاراته:

- "عندك حق. ربنا يهدينا ويهديك"

- "آه. . بقولك إيه. . يلا بقا نخش نطمن على أميرة ومبيقاش

منظرنا وحش".

- "يلا يا ابني.. يلا.. كله محصل بعضه"

وانضما إليهم، قال يزن في محاولة لتغيير الجو:

- "أميرة، الكيس اللي جامبك ده فيه لبان بخمسين جنيهه،
حاكم انتي بتعشقي اللبان.."

وراح الجميع يضحكون وكأنهم ينتظرون فرصة أن يغير مجرى
الحديث أحدهم.

قالت يسرا ضاحكة:

- "أيوة، أخويا كان دايماً يقولي إنك مُدمنة لبان من وانتي في
ثانوي، بتحببه قوي كده؟"

نظرت إليها أميرة مُرغمة على الابتسام حتّى لا تخرجها،
وقالت:

- "أيوة.. بحبه جدًا.. مصدر راحة بالنسبالي"

صمتت قليلاً حتّى دوت منها آآآآه قاهرة، وراحت تبكي
مُعلنة استسلامها للقهر، انتفض الموجودين في محاولة لتهدئتها،
لكن دون جدوى.

- "حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل"

لفظتها باكية، فقال يزن:

- "يعني الحسبنة هتفيد بإيه دلوقتي، هتستفيدي إيه لو
جرالك حاجة؟ يا أميرة اهدي مش كده"

- "خليها تطلع اللي جواها يا يزن، الكبت وحش"

قالها عبدالله.

فأجاب الشَّرقاوي:

- "نقطنا بسكاتك أنت بس يا عبدالله"

أما عن سوسن، فهضت تنادي الممرضة وقد علا بُكاء ابنتها. دخلت الممرضة لتلقي نظرة على أميرة، ثم خرجت تنادي الدكتور المسؤول عن حالتها والذي أمر بإعطائها إبرة مهدئة حتَّى لا تسوء حالتها.

استكانت الأميرة، وعادت لسباتٍ مؤقت والأُم لا يزال يمارس آثاره على وجهها.

- "طيب يا جماعة، أنا هستأذن عشان ورايا درس كمان نص ساعة"

كانت تلك يسرا مخاطبةً الجميع.

- "طيب، خلي بالك من نفسك"

أجابها يزن.

- "تحبي أوصلك؟؟"

سألها الشَّرقاوي واثقًا، نظر إليه يزن ثم قال:

- "أيوة، خدها لو ينفع وصلها. أنا قاعد حبة مع أمجد

وأميرة"

نظرت يسرا لأخيها تستنجده ألا يفعل، ففهم ما تقوله عيناها

إلا أنه قال:

- "روحي مع أحمد أحسن، انتي شايفة البلد عاملة إزاي"

تنهدت يسرا وقالت:

- "طيب"

ثم نظرت للشرقاوي بخجل وقالت:

- "يلا؟"

فاستعد أحمد لمرافقتها. .

خرجنا من الغرفة ليسيرا في ممر ضيق يؤدي إلى الخارج. لحظات صمت مُربكة، هي تطالع الأرض وهو يطالع وجوه البشر بثبات مشكوك في أمره، لحظات أخرى مرّت قبل أن يقول:

- "يعني أنا مينفعش أشوفك إلا لما الكوارث تحصل؟ ده أنا كنت شوية وهبوس رجل أميرة ع السرقة اللي حصلت لها وأقولها يا شيخه اتسرقى كل يوم"

نظر إليها خلصة، كان وجهها بدرًا مستترًا بخجل الصَّبَا. لم تجبه. فعاد يطالع وجوه المازة، وقال لها:

- "انتى متتخيليش أنا مبسوط إنك معايا إزاي"

شعر بها ترتبك أكثر، قالت:

- "هي العربية فين؟"

ابتسم مغلوبًا على أمره وقال:

- "نفسى تكونى جريئة زي كتاباتك اللي بتبعتهالي ع الفيس وال sms، كتاباتك جميلة قوي"

- "هي البيضا اللي هناك دي؟"

عاد يبتسم وقال:

- "هي البيضا اللي هناك دي.."

فراحت تسبقه إليها وهو يطالع خطواتها المشاكسة أمامه، قام بفتح الباب لها من على بُعد عن طريق المفتاح. فاقتربت من الباب الخلفي تفتحه، ثانية مضت وكأَنَّها تحادث نفسها، ثم توجهت نحو الباب الأمامي تفتحه وتجلس فيه.

راح أحمد يضحك من أمرها، جلس إلى جوارها باسمًا. لم يفهم سر سعادته تلك، لكنَّه لم يمانع السعادة على الإطلاق إلى جوارها، ثمَّة ما يدعو للنقاء والطهر حين تطوف خياله، ثمَّة ما يدعو.. للحب..

بدأ يقود بهدوء، والقلب يوارى شوقًا لها، قال:

- "وأنا في شرم، آخر ليلة تحديداً، مرتحتش غير لما كتبتك حاجة كده، على أدي، ومتخيليش لما كتبتها، ارتحت أد إليه، وأد إليه كنت مخنوق قبلها. صدقيني مكنتش عارف هشوفك إزاي أو إمتي، بس كنت متأكد إني هشوفك، عشان كده شلتها معايا. افتحني الصندوق اللي في النص ده، وهتلاقيها جواه"

لم تقو على ألا تنظر لوجهه، للسلام الذي ظهر فجأة في قسماته، ابتسمت له دون أن يراها، وفتحت الصندوق لتجد ورقة مطوية.

أخذتها ووضعتها في حقيبتها. . فقال:

- "اقريها. "

- "لما أروِّح.. "

- "لأدلوقتي.. لو ليا عندك خاطر، عايز اسمع إلقائك، حتّى
تراجيعلي لغويا ع الهبل اللي هتقريه"

ابتسمت له، وقالت بخجل:

- "طيب يا أحمد.."

ولدى سماعه اسمه من شفيتها، ارتعدت روحه حتّى ظنّ أنه
يموت ويُبعث من جديد على يديها..

فتحت الورقة باسمه.. قالت:

- "خطك جميل.."

صمتت شاردة، تطالع السطر الأول.. نظرت إليه، ثم للورقة،
وراحت تُرّتل سطره بصوت جهوري رقيق، صوت ملائكي لا
يُشبه غيره، حتّى تظن أن الملائكة تخشع إجلالاً له حين تسمعها:

((ها أنا أمامك.. عارٍ كالحب.. ومن قبلك كنت لا أدرك
أن الحب قد يكون عاريًا.. ظننته يرتدينا.. كما نرتديه، ظننته
يتخذ منا كساء.. لكنّه عار.. ويظل عاريًا.. بنا أو من دوننا.
وإن كان طفلًا.. ربيعًا كان أم خريقًا.. أو حتّى حين يموت..
عاريًا حتّى المّمات وما بعد المّمات.. وها أنا اليوم.. أطالب
أن أرتديك.. ولا يسترني سواك.. ولا يكسيني إلّاك.. فإن رضيتي
بعريي هذا المساء فأنت حُرّة طليقة.. وإن سترتني كعاشق فيك.
فأنا إله للحب مكتمل بك.))

دخل إلى شقته الخاصة، تلك التي لا يدري عنها أحد سوى الخالق الذي لا يقرّ به إلهاً، وصديق قديم. شقة في إحدى ضواحي مدينة نصر حيث يقدر الخلوة، ويعشق الوحدة. أخرج لوحة بيضاء كبيرة، مرسوم بها تصميم مبدئي للأستوديو، وعلى طرف اللوحة من الأعلى رسمة صغيرة لوجه أنيق وشعر قُرْمَزي وعينين خضراوين. .

نظر لوجهها الجميل، ثمّة ما يثير فضوله حولها.

وضع اللوحة جانباً وأخرج هاتفه، وجلس على الأريكة. . . اسمها على هاتفه، راح يغريه بالاتصال بها. لكنه لم يستأذن منها حين أخذ رقم هاتفها من كريم.

"جامحة" . . هذا كل ما يعرفه عنها، لكنّها لا تسمح بالفرس بداخلها بمسابقة الريح، بداخلها فرس، أصابها وهَنَ الحياة. فأثرت أن تخزّ سجيناً لها.

اتجه نحو مكتبة جانبية، أخرج مُفكرة متوسطة الحجم، عاد بها إلى الأريكة وهو يشعل معشوقته الدخانية، جلس وراح يتصفحها. .

الحالة رقم واحد: سناء هادي، السن ٥٥ سنة، في تاريخ ١٩

ديسمبر ٢٠١٢

الحالة رقم اثنان: إيمي أكرم، السن ٢٤ سنة، في تاريخ ٢٣ مايو

٢٠١٣

الحالة رقم ثلاثة: كريمة فتحي "كوي" السن ٢٦ سنة، في تاريخ

٢ يناير ٢٠١٤

الحالة رقم أربعة: سلمى مختار، السن ٢٤ سنة، في تاريخ ١٥

مارس ٢٠١٤

قرأ الأسماء سريعاً، ثم دَوّن:

الحالة رقم خمسة:

ثم راح يقلب الصفحات إلى أن وصل إلى المنتصف، وراح يكتب
اسماً جميلاً من ٣ أحرف، فرح. . فرح عصام.

سيسعى لتجنيدها بلا شك، وجعلها تكفر بالإله كما فعل مع
الأخريات. . باسم الحب والجسد، باسم الجنس والحرية، باسم
المنطق واللامنطق.

راح يذكر ليلته الأولى مع سناء، من باعت قضايا الجسد مسبقاً.

"ذات أيام مُنذُ عام،

وقبلها بأعوام. .

كان هنالك عاصياً مصرياً

يُدعى يزن عامر. ."

"٢"

- "أنت شارب صح؟"

سألته سناء وهي تتفحص جسده المملووب حديثاً.

- "آه. ."

أجابها وهو يرتدي قميصه. .

- "إيه اللي حصل يا سيدنا الشيخ؟"

سألته ضاحكة.

- "فُقت مش أكثر"

- "فُقت من إيه بالضبط؟ ده أنت فَجرت مش فُقت. ."

وعادت لضحكاتهما السافرة.

صمتت قليلاً. . ثم قالت:

- "هتروح لبيتكو إزاي وأنت كده؟ أبوك هيقول عليك إيه؟"

ثم أخذت الروب من قربه وراحت تستر عُرِيها.

- "أبويا مات. . دفنته كانت النهاردة، أنا عايز سجائر عندك؟؟"

نظرت سناء إليه مذهولة في محاولة لاستيعاب ما قاله، قالت:

- "مش فاهمة. . أنت بتتكلم بجد؟"

- "ربنا بيمثلك إيه؟"

- "قصدك إيه؟"

- "ربنا. . بيمثلك إيه؟"

- "ربنا . ربنا اللي خلقني"

- "آه . إيه دليلك؟ إمتي آخر مرة صليت فيها؟"

- "أنا بصلي . ."

- "وبتزني؟ تسمي إيه اللي عملته من شوية ده؟"

نهضت من جواره، وفتحت درجًا مجاورًا، لتخرج سيجارتين
وكأنها تعطي نفسها مزيدًا من الوقت لتفكر.

أمدته بواحدة، وعادت تجلس قبالة، قالت وهي تشعل
سيجارتها وتلقي له القداحة ليشعل سيجارته هو الآخر التي كان
يمسكها لأول مرة في حياته:

- "حرية شخصية . ."

أجابها واثقًا:

- "وإيه تعريفك للحرية الشخصية؟"

- "أعمل اللي أعمله من دون ما أعمل حساب لحد . . بس من

دون ما أضر حد"

أجابته سريعًا وكأنها تُسكته.

سحب نَفَسًا من الدخان وراح يرفع البخور للآلهة بتعسّر،
لكنه قاوم حريقها في صدره، وراح يسحب أخرى وأخرى:

- "جميل، من دون ما تعملي حساب لحد، طب لما عملنا

الزتونة حالًا . عملتي حساب ليه؟ ربنا؟"

- "أنت أبوك مات وجاي تتجنن علينا؟"

- " ردي ع السؤال يا . مش سناء برضو؟ تصدقي مش فاكر اسمك . "

- " شكلك سكران بجد! "

- " مممممم، لا . أنا كنت سكران ليا سنين، ودلوقتي فُقت . .
خلينا فيكي انتي يا جميل "

وراح ينفث الدخان عاليًا، وقد اعتادت عليه رثاه.

- " أيوة، بعمل حساب ليه . "

- " وبتعصيه؟ "

- " ربك غفور رحيم . "

- " لا يا شيخة، على حسب ما كنت حافظ: " الزاني لا ينكح
إلا زانيةً أو مشركةً والزانيةُ لا ينكحُها إلا زانٍ أو مشرك " وفي نفس
السورة " الزانيةُ والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مئةَ جلدٍ ولا
تأخذكم بهما رأفةٌ " . . يعني ١٠٠ جلدة على ظهرك الملبن ده "

- " أنت عايز إيه؟ "

- " إحنا بنتناقش مش أكثر . "

- " أيوة، برضو عايز إيه من ورا النقاش ده؟ "

نهض عن السرير، وراح في اتجاه الشُرفة بعد أن وضع الستائر
جانبًا ثم ألقى بالسيجارة:

- " ما تيجي نلحد؟ "

- " استغفر الله العظيم . "

أجابها مستنكرًا:

- " لا يا شيخة؟ متعمليليش شريفة مكة "

- " شكلك اتبهلت فعقلك عشان أبوك مات ياد أنت "

- " توء، زي ما قتلتك . أنا فُقت. صدقيني مفيش دليل ملموس على وجود ربنا. بجانب قراءاتي للفقهِ والشريعة، كنت بقرأ في الفلسفة والعلوم، حاجة يخربيت كده، واكتشفت حاجات كتير بس كنت بكذب نفسي. سجائر LM معفنة فعلاً، عندك Marlboro؟ يقولو أنظف "

أشارت له صامته للخزانة خلفه، توجه لها بثبات وقام بفتحها، وجد خانة ملأى بالكيف، كل ما يدعو لغياب العقل، كل ما يدعو الروح لتحلّق في ملكوت الضياع والخفة. وعلى أقسى اليمين، وجد علب مستطيلة لسجائر من شتى الأنواع. فأخذ منها علبة Marlboro حمراء وقال:

- " هاخذ العلبة دي. "

ونظر إلى القدّاحة، كانت قدّاحة فريدة من نوعها، فضية، على طولها أفعى ينتهى رأسها عند الغطاء أعلى القدّاحة. شعر أنها تمثّله. . قال:

- " حلوة الولاة دي. "

- " خدها. "

- " ده أساسي، على الأقلّ تمن عذريتي الي راحت بسببك دي. "

وراح يضحك عاليًا، كان ضحكًا يدعو للبكاء. ظلّت سناء تحدق به أسفًة. . ولا تدري ما يُقال. لكنه رفع عنها حرج الكلام وقال:

- " نرجع لموضوعنا. "

وجلس قبالتها، واسترسل في حديثه قائلاً:

- "انتي خريجة إيه لا مؤاخدة؟"

- "معايا دبلون تجارة. "

- "دبلون. ؟ جميل، بتقرأي؟"

- "طبعاً بعرف أقرأ"

- "بقولك إيه يا سوسو ركزي معايا. بقولك بتقرأي؟ يعني

قراءاتك إيه؟ بتحبي تقرأي لمين؟"

- "آآآآه. لا مش بقرأ. مليش خُلق"

- "أنا بقا يا ستي هنورك. "

سحب نفساً طويلاً، وقال:

- "بُصي، في حاجات في الكون ده، ملهاش تفسير، حتّى القرآن

مجا بلهاش تفسير، مجرد حاجات كونية موجودة عشان تحيرنا. .

ومن الحيرة دي، كان عندنا فريقين، فريق مع وفريق ضد. فريق

انصاع، وفريق خالف، بس اللي وحّد الفريقين دول. إحساس

بالمناطق واللامنطق"

كانت أمارات الحيرة بادية على وجهها، لكن أمراً منعها من

سؤاله عمّا يقصد فقالت:

- "هو أنت أأحدث بجد؟ وكل ده عشان قريتلك كلمتين هنا

وهناك؟"

- "لا. خالص. . . بُصي. "

وراح يحكي لها عمّا تسوّّل له نفسه، أخبرها أنّ الملحدّين لا يتخذوا جميعهم الموقف ذاته من وجود الإله، بعد أن أخبرها أنّ الإلحاد ما هو إلا حركة ظهرت فيما مضى بسبب غياب الأدلة على وجوده في علاه. وكانت الحجج تختلف باختلاف حلقة النقاش، فهنالكَ حُجج لها بُعد فلسفي، وأخرى لها بُعد علمي واجتماعي. . وتاريخي. وراح يُلقِي عليها بالحجج، ولا تنطق. فإذا بها شاخصَةً أبصارها، مذهولة. . أقوم بعرض الحجج عليك عزيزي القارئ؟ إذ أنني أحب تسليط الضوء عليك بين الحين والآخر، رغبة مني في إشعال حيرة أو إخمادها. فننقل، أن سناء سلّمت بأمرها، وأعلنت عصيانتًا هي الأخرى. . يختلف منظور العصيان من شخص لآخر، قد يفعل أحدهم أمرًا ما يكون في نظر آخر عصيان أو معصية، والعكس صحيح. . كلُّ بأمره دار. . كلُّ بأمره مُلم. لكنّها مسألة الآخر التي تُورق الفكر، وتجعله عبدًا لمراقبة الآخرين، متجاهلاً نفسه، سواء أكان على صواب أم خطأ. الآخر هو المُعضلة المجتمعية الآن. ولكن إن وقفنا عند كلمة عصيان، أو معصية. . فبحق من يكون ذاك العصيان؟ أو لنقل. . من المعصي؟ وباسم ماذا هو هذا التمرد، هذا الانقلاب. . أو هذه الثورة. ؟

اسئلة عامة في فضاء الشك واليقين. . وللشك أهل، كما لليقين أهل. . فمن أي الأهلين أنت؟؟



وصلت إلى سيارتها أمام مبنى الإذاعة والتلفزيون، وجلست في مقعدها مُحمّلة بشقائها وهي تنفث الوجدع عاليًا بانتظار أيتن وكريم، نظرت يمينها سهوً، لتجده يستند على سيارة مجاورة وهو ينظر إليها باسمًا.

شعرت بدقات قلبها تصيح نبضًا، كانت نبضات موجعة، قاتلة، مذعورة، خرجت من سيارتها.

فرح هي إحدى المؤمنات بأنّ الخوف قوة، كانت تعجب لأمر خوفها الذي يدفعها إلى هاوية الانتصار، وكيف يكون الانتصار هاوية؟؟ حين يقوده الخوف. وهاك خوفها يقودها إليه، ياسر. راحت خطواتها تتسارع نحوه، وهو لا يزال واقفًا بانتظار هجوم.

- "أنت بتعمل إيه هنا يا حيوان؟"

وراحت تشده من قميصه بغضب، فبادرها بضحكة فاجرة. انطلقت صرخاتها وهي تضربه بيديها وهو يتحاشاها حينًا وتمسه ضرباتها الموجوعة حينًا.

لحظات وأحاطهم رجال الأمن قُرب المبنى من كل جهة، وها هو كريم وأيتن يصلان، فاختطفاها من وسط الحشود التي تجمّعت حولهما وقد انهارت باكيةً وأدخلاها إلى سيارتها وقد جلست أيتن معها في المقاعد الخلفية وتولى كريم القيادة.

- "أنا مش فاهم الحيوان ده بيعمل إيه هنا؟ انتي مش عايزة تبليغي عنه ليه؟ أنا أعرف ناس ممكن يلبسوه بلاوي سودة"

لم تجبه فرح، واستندت برأسها على كتف أيتن القاسية، القاسية روحًا لا بنيانًا. ولكن لا مأوى لفرح، لا مأوى تستظل به، وقد أدركت ذلك مُنذُ فقدت والداها، وأحبت عمّتها لبنى ذلك الفاجر، من يصغرها بعشر أعوام.

أخرجت هاتفها، وقامت بالاتصال عليها تطمئن:

- "انتى كويسة؟"

- "آه. . فى إيه؟؟ قلقتيني؟؟"

- "شفت ياسر من شوية"

.....-

- "هو جالك يا لولو؟"

.....-

- "متردى عليا. . جالالك؟؟"

- "ملكيش دعوة"

وأنهت المكالمة. .

وبعد لحظات شاردة، قال كريم:

- "أنا مش فاهم عمّتك بصراحة، بس مليش دعوة بيها، أنا ليا دعوة بيكي انتي، انتي النجمة وأي حاجة بتعملها دلوقتي إنتي محاسبة عليها، ومحدش هيتحاسب عليها غيرك"

لكن فرح لم تجبه. . فقالت أيتن:

- "كريم، خدنا لأي حطة نقعد فيها ونغير جو"

خرج ثلاثتهم من السيارة، كان جسد فرح لا يزال يرتجف أماً. كانت لا تزال تستند على أيتن وكأنَّ ما يُعيق سيرها بمفردها هو قلبها المبتور ذاك.

- "اقفلي شنطتك يا آنسة. ."

نظرت أيتن وفرح صوبَ امرأةٍ وجَّهت كلامها لأيتن. أقفلت أيتن حقبتها وقالت للمرأة:

- "شكرًا. ."

فأجابت المرأة قبل أن تتابع المسير:

- "في نفس المكان ده من يومين، بنت اتسرقت شنطتها وكان جواها ٢٠ ألف جنيه"

ثم تابعت مسيرها صامتة دون أن تنظر للفتاتين. انضم إليهما كريم وقد قام بصفِّ السيارة في مكان مناسب يبعد مسافة ٣ دقائق عن سلنترو فرع الدقي.

قالت أيتن لفرح:

- "يا عيني. . يا ترى البنت دي جralها إيه دلوقتي؟"

أجاب كريم:

- "بنت مين؟"

ودخل ثلاثتهم إلى سلنترو.

استكانت فرح، لكن روحها ظلت عالقة في انتظار تحرير يليق بصرها.

إنَّ ياسرًا لم يكن بإنسيًا، بل كان جنياً أقرب إلى الأبالسة، بل إنَّ إبليس مقارنة به هو مخلوق ربيعي، جميل الأوصاف.

- " ٣ تشيز كيك، و ٣ موكا لو سمحت "

قالها كريم للنادل الذي انسحب من بينهم باسمًا ليحضر الطلب، ثم أردف قائلاً:

- " ما تروق بقا يا جميل، ليه يوم ابن الواطي ده. فُكيها بقى "

أومات فرح برأسها باسمة، لكن الوجد يحكي حكاياه. يحكى أن ياسرًا أوهمها يومًا بالحب، حين كان قلبها في المهد صبيًا. ولكنه كان يريد جسدًا في المُقابل، فأبت على ذلك الجسد، من تلك الشِّفاه والجسد. ياسر هو الآخر لا يشتهي سوى الجسد، ملعون أمره هو ذاك القلب.

- " روقي بقا يا فوفي. . هو بيستفزك مش أكرت "

- " محدش فيكو فاهم حاجة "

أجابته فرح باستياء. .

- " طب ما تفهمينا؟ "

أجابتها أيتن في حين رن هاتف كريم بأغنية شعبية صاحبة:

هاتي بوسة يا بت. . هاتي حتة يا بت. .

فلمعت عينا كريم وهو يجيب:

- " برنس البرانيس. . وحشتنا القعدة معاك يا كبير. . "

وراح يقهقه بصوت مرتفع ويجلل حتّى تظنه يحادث قديسًا.

تعجبت أيتن وفرح منه، ولكنّه هكذا دومًا.

- "مممممم إحنا في سلنترو الدقي. مستشفى إيه دي؟ آه. .
دي جمبنا هنا في الدقي. . طب يلا مستنينك"

وأنهى المكالمة، لكن الفتاتان لم يثر فضولهما القادم، فأصدقاء
كريم على حد سواء.

قال كريم:

- "هيجيلكو الي هيزبلكو الجو، إنتو شفتوه مرة واحدة
قبل كده بس أنا مكنتش فايق الصراحة أقعد اعرفكوا ببعض
قوي"

نظرت فرح صوبه، وبدأ فضولها الأنيق يمشي على استحياء. قالت:
- "يزن؟"

- "إيه ده؟ عرفتي ازاي؟"

- "واضح قوي من كلامك"

والحقُّ أنّها ألقَتْ بشباكِ الشك، فصادتُ يقين.

قال:

- "مممممم. . أيوة. . صديقي الصدوق جاي"

أجابت فرح مستنكرة:

- "إزاي مجبتش سيرته قبل كده ولا مرة؟"

- "لا . دي قصة طويلة قوي. بس اللي لازم تعرفيه، إني أفديه بدمي. تعرفي، هو السبب في تنويري"

- "تنويرك؟"

- "آه . أنا واملدعوقة اللي جمبك دي. زي ما تقولي نورني، وبعد كده أنا نورت أيتن"

لحظات مرّت بعقلها الجميل ليدرك معنى "التنوير" .

شهقت بخفة:

- "يااااااا . هو يزن مُلحد؟"

- "لو قصدك باللفظ "مُلحد" إنه مش مؤمن بربنا . ف آه"

- "أومال هيكون قصدي إي يعني بملحد؟"

سألته بسخرية.

فقال أيتن وهي تطالع هاتفها بعد أن أخذت صورة "سيلفي" لها ومطت شفيتها أمام الكاميرا كامرأة تحتاج التأديب والتهذيب:

- "انتي فاهمة الدنيا غلط يا فرح ."

- "بلاش انتي والنبى يا أيتن، متكلمنيش عن الصح والغلط"

أسكتتها فرح، فقال كريم:

- "يزن هو أعظم مُلحد مُمكن تقابليه، إنسان متعلم، قارئ،

فيلسوف، مفكر، وحافظ للقرآن الكريم"

فراحت فرح تضحك بسخرية غير مصدقة ما يتلى على أذنيها

من عبث الحديث، قالت:

- "حافظ للقرآن ومُلحد؟ ينفع أشتم؟؟"

فقال كريم محاولاً تهدئتها:

- "يزن كان أزهرى، وطبعًا انتي عارفة خريجي الأزهر حافظين القرآن"

- "عارفة إيه وقرف إيه؟ وألحد ليه إن شاء الله؟"

- "ممكن تقولي، سرح في الملكوت ووصل لإدراك معين خلاه يوصل لحقيقة ثابتة، إن مفيش إله. زي فريديك نشته. قريتي كتابه ومهاجمته للكيان المسيحي؟"

فأجابت فرح بسخرية:

- "نشته؟ نشته برضو؟؟ اسمه نيتشه يا جاهل. عارف يا كريم، طول عمري عارفة إنك مُلحد موضة، بس كنت بكذب نفسي"

- "يعني إيه مُلحد موضة لا مؤاخذة؟"

- "يعني مُلحد عشان يتقال عليك مُلحد وتعمل بروباجندا وشو حوالين نفسك. عشان تنفش ريشك زي الطاووس وكأن إلحادك فخر ليك ولمظهرك قدام الناس"

ثم نظرت لأيتن وقالت:

- "إحنا أصحاب آه، بس انتي بتقولي إنك مُلحدة عشان محدش يحاسبك ع اللي بتعمليه من خطايا، عشان تعومي في الغلط براحتك، إلحادك ستر لخطاياكي. ومتقوليش عكس ده"

نظرت لها أيتن باسمهً وهي تشعل سيجارة دون أن تنبس بحرف.

وصل النادل بالحلوى والمشروب الساخن، حين أعلن يزن حضوره الطاغي.

وها هو يعاود إشعال حيرتها، جلس بينهم بعد أن ألقى السلام. .

- "إزيك يا فرح؟"

كان وقع اسمها عذبًا من بين شفاهه حتّى تظنه يُنادي حورية من قلب البحار السبع. كانت عيناها تلاحقانه سرًا، لكنهما لا تكشفان بوح الشوق.

كانت تصيها حيرةً اسمها "يزن"، وحيرةً أخرى اسمها "قلبها"، وكأنّهما يتحالفان سرًا لإيقاع كبرياتها المصون، ولاحتواء طفولتها المنسية التي عفا عليها الأمل.

يقال أن الحب يبدأ مشاكسًا مستعدًا للربيع، وحين يصبح ربيعًا كفاية، فإما أن يشدد عوده بما يكفي ليصارع الحياة، أو يخزّ صريعًا مهزومًا تغلبه الحياة.

فما ذاك الشيء الذي بدأ يشاكسها؟؟

أخرج علبة سجائره، وقبل أن يُشعلها أمد كريم وأيتن بواحدة لكنهما شكراه باسمين، كان يتعمّد أن يمد العلبة لفرح أخيرًا لكي يدرسها بصمت، لكي يهنأ بتفاصيلها بحرية.

- "سيجارة؟"

أخذت فرح واحدة بأناملها الصغيرة، ووضعتها في فمها بانتظار أن يُشعلها لها. أخرج لها إثمه القديم، تلك القدّاحة الفضية، ونهض عن مقعده ليشعلها لها.

أخذت نفسًا عميقًا وهي تطالعه، ونفثته عاليًا وهي تُدير برأسها عنه وكأنّ عينيها تصرخان: أنْ كفاك اقتحام.

- "إيه الدنيا؟"

اطلق سؤاله في الفضاء في انتظار مُجيب، أجابت أيتن وهي تتفحصه:

- "ليك وحشة والله يا يويو"

- "وانتي كمان يا أيتن، إيه جديدك؟"

- "مفيش، زي ما أنا. ماما بس بعافية شوية"

- "سلامتها"

- "الله يسلمك"

صمت قليلًا ثم قال. . :

- "آه. وأنت يا كريم أخبارك إيه؟"

- "أنا زي الفل، بحب جديد"

وراح ينظر إلى فرح بشوق. لاحظ يزن نظراته لها وقال:

- "لا بجد؟ من إمتى ده؟ أنت تحب؟ قول كلام غير ده يا

كوكو"

- "ومحبش ليه؟ أخيراً جت اللي تذهلني"

كان يجيبه وعيناه لا تفارق فرح.

نظر يزن إلى فرح وقال:

- "ممممممم جميل. بتاع مين التشيز كيك ده؟"

وكان يشير إلى طبق فرح، لكن أحدًا لم يجبه.

فأمال إلى الأمام قليلًا ووقف النصف وهو يميل ليأخذ طبقها

من أمامها عنوة ليضعه أمامه. صمت قليلًا ثم قال:

- "عايز شوكة"

ابتسمت فرح وهي تحارب ضحكاتهما ألا تتعالى، ووضعت

أصابعها الأربع على الشوكة وراحت تدفعها باتجاه يزن إلى أن

وصلت لمنتصف الطاولة. نظر إليها يزن باسمًا، لكنّه لم يأخذها،

بل أخذ الشوكة الخاصة بكريم، وراح يأكل بنهم. رفعت أيتن

حاجبًا، في حين توقفت فرح عن الابتسام. أمّا كريم فكان مغتاظًا

كفاية ليقول:

- "منور وربنا"

أجابه وهو يطالع فرح باسمًا:

- "منورة بيكو يا صاحبي"

لحظات مضت، ثم قال كريم موجّهًا كلامه ليزن:

- "أخبار تصميم الديكور إيه؟"

فإذا ييزن يجيبه قائلاً:

- "هيبهرك يا فرح"

كم بدا واثقًا وهو يتحدث.

شعرت أيتن أخيراً بخطبٍ ما، ثم قالت في محاولة لتغيير مسار الحديث:

- "الله . . التشيز كيك تحفة"

"هاتي بوسة يا بت . . هاتي حته يا بت"

نظر كريم لشاشة هاتفه بضجر، ثم قام بالرد.

تعالى صوته، وغضبه وهو على الهاتف، وسرعان ما أغلقه.

نظر لأيتن وقال غاضباً:

- "عايزني في الأستوديو أنا وإنتي يا أيتن"

ثم نظر لفرح وقال سريعاً:

- "وانتي يا فرح أكيد هتروّحي، انتي أحسن دلوقتي صح؟

روّحي بقا، متتعديش لوحدك"

أجابته فوراً:

- "لا أنا قاعدة هنا شوية"

نظر إليها ثم إلى يزن، وفهم ما في الأمر، وقال:

- "انتي تعبانة ولازم تريحي"

فأجاب يزن:

- "يلا يا شباب . . عايزين حاجة؟ أنا ماشي"

ونفض عن مقعده، فتهللت أسارير كريم، في حين امتقع وجه

فرح واشتعلت غيظاً على مقعدها دون أن تنبس بحرف.

ألقي سلام عليهم، وانصرف.

- "متيلا . ."

وجه كريم حديثه لفرح التي لا تزال غاضبة، وقالت:

- "مقولتك أنا قاعدة هنا شوية"

أشاح كريم لها بيده غاضبًا وقال:

- "يلا يا أيتن"

وانصرفا.

ظَلَّت فرح تفكر بأمر ذلك اليزن الذي لم يفهم مكرها الأثوي. وراحت تشعل سيجارة أخرى لشد ما هي غاضبة.

مضت خمسة عشر دقيقة، وهَمَّت بالنهوض، قبل أن تنظر لصحن التشيز كيك، لترسم على وجهها بسمة سريعة وقد تذكَّرت جنونه. أخذت الصحن أمامها، وراحت تُكمل النصف المتبقي منه باسمة.

ثم نهضت عن مقعدها، وهَمَّت بالرحيل.

راحت تسير باتجاه سيارتها تفكر بأمره، حين وجدته فجأة يسير إلى جوارها دون أن ينظر إليها قائلاً:

- "إيه يا فرح؟ كل ده عشان تخرجي. ؟ اتأخرتي عليًا"

ثم نظر إليها في حين ذهولها، وابتسم لها برقة، ثم عاد ينظر للطريق أمامه.

قالت فرحة:

- "أنت شكلك مجنون رسمي"



كان يجلس خلف مكتبه، يطالع الأعمال حينًا، ويرد على الهاتف حينًا. لكنّه ظل شاردًا يشتهي فرحًا، فراح بخياله يدق أبوابها تلك الجميلة، لتطلّ عليه بدرًا منيرًا، فحبها هو يسير على صراط فرح مستقيم.

أدرك متأخرًا كم يحبها، وكم روحه تتوق لنقاء كي تلائم روحها الصبية، تلك الطفلة. . يسرا.
- "أستاذ أحمد. ."

لكنه يخشى أن تكشف أمره، وماضيه المضرّج بالنساء. .
- "أستاذ أحمد. .؟؟"

ولكنه سرعان ما عاد يبتسم وهو يكتب لها على الفيس بوك
يشاكسها:

- ((إنني للنساء عاشق، والنساء في عرني فواكه. . أحبهن
أصناف. . فوارق. .

تلك مانجا. . وتلك موزة. . وتلك عنقود عنب شهوي، وتلك
رمانة تفتني صبري. .

لا أميلُ لفاكهةٍ كلِّ الميل، فيصيني كلُّ الرتبة. . ((
- "أستاذ أحمد؟ أنت سامعني؟"

والحق أنه أرسل لها ما أرسل وهو متألم، حتّى وإن كان مزاحًا
فحديثه يحتمل معنيين، المعنى القبيح منها لن تدركه طفولتها. .

أجابت:

- ((هِنَّ هَكَذَا النَّسَاءُ فِي عَيْنَيْكَ يَا مَشَاكْسَ، وَأَنَا "تَفَاحَتِكَ
الْمَحْرَمَةَ"، نَارُكَ وَجَنَّتِكَ. . فَاخْتَرِ مَا يَلِيقُ بِكَ. . مَا أَنْتَ بِنَاجِ
مَنِي. . فَأَنْتَ هَالِكٌ هَالِكٌ))

فراح يضحك عاليًا، كعاشق أحمق لا يبالي بحماقته.

- "يا أستاذ أحمد؟؟؟؟ حضرتك مش سامعني؟!"

تنبّه فجأة لوجودها وكأنّه غارق في حلم وقد استفاق، كانت
تلك سارة. . سارة التي أوجعها لأشهر. .

- "إيه ده؟ معلش يا سارة، ما اخدتش بالي إنك هنا، ملخوم
والله"

- "آدي الأوراق اللي حضرتك طلبتها مني. ."

قال لها وهو ينظر في شاشة الحاسوب أمامه:

- "ماشى، حطيها هنا. . شكرًا"

وضعتها أمامه، بصمت، وعلى شفاهها كلام لا يُقال. كانت
خرساء، تحاول أن تزيل خيوط الوجد عن شفاهها، لكن خشيت
على أملكها أن يسيل.

بقيت واقفة أمامه للحظات، وهو لا يُدرك وجودها، ثم قالت
أخيرًا:

- "أحمد. . ممكن أعرف بعدت عني ليه؟ أنت لا بترد على
مكالماتي، ولا عاملي اعتبار، أنت قلت إنك بتحبني"
رفع ناظره إليها، وشعر بأسف ينحر كيانه.

وراح يحدث نفسه:

- "يا لي من مجرم، أحلم بيسرا، وكأني قديس، وعمري كله
خطايا. . يا ويالي لو عرفت بأمري"

ثم قال بصوت مرتفع:

- "اقعدي يا سارة. ."

جلست سارة، لكن وجعها ظل واقفًا أمامها، لم يهدأ.

- "أنا عارف إني كنت حقير معاكي. وإني مهما اعتذرتلك، مش
هقدر أخفف عنك أي ألم شفتيه بسببي"

كانت تنظر إليه سارة، وهى مذهولة، إذ أنها لم تعتقد أن
جبروته قد يتحوّل لطفل صغير قد أجرم في حقها.

وراح يسترسل في حديثه قائلاً:

- "صدقيني أنا متعذب دلوقتي بقصة تانية، وخايف ربنا
ينتقم مني فيها"

- "بتحبها؟؟"

لم يكن متفاجئًا حين سألته، فهو يدري كم هو عارٍ من حبها،
ولا شيء يستره:

" ولا عمري هحب حد زيها، حاسس إن هي نصي النّظيف.
أنا آسف يا سارة. سامحيني بالله عليكي "

نهضت عن مقعدها باكيةً:

" أسامحك على إيه ولا إيه، أنا حبيتك بجد وقدمت لك كل
غالي، وكان تمني رخيص عندك "

" أنا ممكن أحطلك اللي إنتي عايزاه في حسابك بالبنك، بس
تسامحيني "

" بقولك حبيتك تقولي فلوس؟ أعمل إيه أنا بالفلوس؟
حسبي الله ونعم الوكيل "

وخرجت من المكتب تجر خطيئتها.

أما هو، فنهض عن مقعده، وراح يلف أرجاء المكتب. ثم
توجه لمكتب والده. وَجَدَهُ يُلاطف أخرى، ثم استقبله باسمًا، في
حين خرجت تلك الغزالة من المكتب.

" إزيك يا بوب؟ "

" أهلاً أهلاً. "

" هو أنت مش ناوي تعتزل ولا إيه يا بابا؟ "

فراح والده يقهقه عاليًا، ثم قال:

" لمّا تعتزل أنت الأول يا عيون بابا. "

" بفكر والله يا بوب. "

ثم جلس أمامه، نظر إليه والده مستعجبًا وقال:

- "بتفكر ف إيه؟ هو أنت لقيت مزة جديدة ولا إيه؟"
 - "لا يا بوب. المرادي بجد."
 - "إيه ده. مزة بجد؟!"
 - "لأ. حبيت بجد"

نظر إليه والده باسمًا، تلك البسمة التي لا تدرك معناها، ثم أخرج سيجارًا وراح يشعله وينفث دخانه عاليًا. وقال:

- "مين؟ استحالة تكون بنت من الشركة"
 - "لأ. مش من الشركة يا بوب"
 - "عرفتها فين؟"
 - "مش مهم دلوقتي. هي السّاعة عندك كام؟"
 - "١٢ وربع"
 - "حلو. يا دوب اطلع المقطم"
 - "هي هناك.؟"
 أجابه وفرحة عشق في عينيه:
 - "مدرستها هناك، هي هتتخرج من الثانوية السنادي"
 - "كتكوتة قوي، ثانوية.؟! "
 - "آه يا بوب"
 - "هي السنارة غمزت ولا إيه؟"
 - "غمزت جدًا يا بوب، وجابتنني الأرض"

أجابه أحمد باسمًا، وهو يهم بالرحيل.

خرج من الشُّركة، تحمله عناية الملائكة، واستقلَّ سيارته، وراح يقود باتجاه المقطم، وبه شوقٌ لها، تلك الجميلة.

وها هو يصل أمام مدرستها في مجمّع المدارس، في المقطم، كان يفعلها للمرة الثانية، ولكنّه قرر أن يفاجئها هذه المرة ويعلن عن وجوده.

ظل ينتظر وهو يحرق صوبَ الباب خروجها. لحظات انقضت، ثم وجدها تخرج من الباب برفقة صديقاتها. ابتسم فور رؤياها. ثم رنَّ هاتفه.

يزن يتصل بك. .

وإذا بروحه تنقبض فجأة، وضع الهاتف جانبًا، ثم خرج من السَّيارة، متوجهًا نحوها. ومعه باقة ورد أنيقة، وعلبة من الشوكولا الفاخرة.

راحت تودع البنات، إذ كُنَّ مشتركات في الحافلة المدرسية عكسها. وإذا بها تجده أمامها واقفًا، وخجل العشاق بادئًا على قسماوات وجهه الأنيقة.

تجمّدت مكانها للحظات، ثم قالت:

- "إنت. . إنت بتعمل إيه هنا؟"

وراحت تنظر حولها وهي تُهدّب خصلات شعرها بخجل، وإذا به يقول:

- "أل uniform هياكل منك حتة، شكلك قمر وأنتي بالضفاير"

فإذا بها تبتسم. . لكنها سرعان ما قالت:

- "أمشي من هنا. . جايلي شوكلية؟!"

فراح يضحك عاليًا وهو يدها بالورد والشوكولا. وقال:

- "تعالى أوصلك. ."

- "لا مينفعش"

- "ليه؟!"

- "عشان أخويا ميعرفش إنك هنا!"

- "طب وإيه يعني؟ ما أنا وصلتك ساعة لما كنا في المستشفى"

- "بالضبط، وهو كان عارف. . بس دلوقتي."

- "بحبك. ."

قاطعها فجأة. .

فغرقت في عينيه سهوة، وهو يشتعل عنوة.

- "أنا لازم أمشي. . مبسوفة إني شفتك. ."

- "بحبك. ."

- "وخلي بالك من نفسك، هبقا أكلمك فيس. ."

- "بحبك. ."

- "شكرًا على الشوكولاتة، الورد تحفة. ."

- "بحبك. ."

نظرت إليه مغلوبةً على عشقها. . :

- "وأنا كمان. "

ثم تركته وسارت مسرعة بعيدًا عنه، لتتركه باسمًا، يتمنى لو يخطفها إلى قلبه.

* * * * *

٢١

وقف قبالة باب الشُّقة ويده طبق حلويات. " بسبوسة، وكنافة، وهريسة، وصوابع زينب وزلابيا".

وراح يدق على الباب، ففتحت له امرأة خمسينية سمحة الوجه والطلّة، وكانت تلك كعادتها، سوسن، والدة أميرة.

- "سامو عليكو. "

- "وعليكم السلام ياخويا. . اتفضل"

دخل أمجد، ووضع طبق الحلويات جانبًا وقال:

- "واحشني السمك بتاعك يا حجة"

- "هي الريحة باينة قوي كده؟"

- "من أول الشارع وربنا. "

- "جعان؟"

- "سامعة عصاير بطني؟ أهي بتركزك"

فأجابته بضحكة طيبة، وقالت:

- "بتزكرك برضو؟ خش.. خش يا مدعوق، أقعد على بال ما أخلص"

- "أميرة عاملة إيه؟"

تنهدت سوسن تنهيدة طويلة ثم قالت:

- "أهي الحمد لله، أحسن من الأول. خش اقعد في الصالون على بال ما اندهالك"

فتوجّه بدوره حيث الصالون المتواضع جدًّا. كم يعشق أركان ذلك البيت ويحفظه شبرًا شبرًا. نظر إلى الطاولة أمامه فوجد صحن به جزر، يدري أن من عادة سوسن حين تطبخ أن تضع صحن به خضراوات على الطاولة في الصالون ليأكل منها الداخل والخارج.

- "ميجو.."

نظر صوب الصوت ليجد أميرة وهي ترتدي عباءة الصلاة متوجهة نحوه باسمه.

- "يا عيون روح ميجو.. إيه القمر ده؟ بس وشك خاسس.."

- "بس يا بكاش، عامل إيه؟"

- "وحشاني جدًّا والله تعالي اقعدني أحب فيكي شوية.."

- "ولد!!!"

ثم جلست جواره باسمه.. وسرعان ما اختفت بسماتها إذ قالت:

- "متأكد إنك مش زعلان مني عشان الفلوس اللي اتسرفت دي؟"

- "يووووه. . لزمتهأ إيه السيرة دي دلوقتي؟ الدنيا كلها فداكي يا أميرة، وربنا هيعوضنا إن شاء الله. ."

أجابته بانكسار:

- "إن شاء الله. ."

وأردفت قائلةً:

- "صحابك بأمانة وقفوا معايا وقفه رجالة، وكل يوم مكالمات بيظمنوا عليًا ويزن كتر خيريه هو اللي خرّجني من المستشفى وأنت في الشغل"

- "طبعا.. إحنا عشرة عمر يا بنتي.. وانتي غالية عندهم زي ما انتي غالية عندي بالضبط"

- "ادوني فلوس. ."

أجابها مدهوشًا:

- "نعم؟؟! إزاي وإمتى ده؟!"

- "عبدالله ويزن جمّعوا من بعض، وادوني ٥٠٠٠ جنيه. والدة عبدالله جت ادتهوملي الصبح، واقعدت تحلفني، ومرضيتش تمشي إلا لما اخدها منها"

صمت أمجد للحظات، وانسابت من بين شفاهه بسمة لا تعكس سوى قهر الحال، وقال:

- "ربنا يجزيهم الخير، إن شاء الله نعوضهاهم لما ربنا يفرجها"

- "طب ما تاكلي من طبق الحلويات اللي جبتة، استني
أجهولك"

ونهض عن مقعده باتجاه طبق الحلويات ليجلبه إليها، في
حين سمع صرخة تصدر عنها، نظر إليها مذعورًا فوجدها تولول
قائلة:

- "آآآآه. ."

ثم بصقت ما في فمها سريعًا في منديل، لتصرخ مجددًا وهي
تنظر صوبَ المنديل:

- "آآآآه، سنتي اتكسرت. . سنتي اتكسرت"

توجه إليها مذعورًا وقال:

- "أنهي سنة؟؟"

- "معرفش. ."

قالت باكية. .

ثم فتحت له فمها لثريه أسنانها وقالت:

- "أنهي سنة؟"

أجابها قائلاً:

- "أحييييييييييييه. ."

- "أنهي سنة متخضنيش"

- "دي اللي في الوش يا أميرة، ده نصها طار. . بتاكلي جزر

لييييييييييه؟ قتللك بتاكيه بغباء مصدقنيش. ."

قفزت أميرة صوب المرآه، لتفزع من هول المنظر:

- "أروح الشغل إزاي أنا دلوقت؟"

- "شغل إيه؟ وأنا خطيبك ذنب أمي إيه؟ بقيتي شبه أم

مسعد بسنتك المكسورة دي"

خرجت أمها على جدالهم:

- "في إيه بس؟ دوشتوني.."

- "بنتك كلت الجزرة وكسرت سنتها.."

- "يا خراي.. وريني يا موكوسة.."

فتفتحت أميرة لها فمها فشبهت أمها مذهولة:

- "يا نهار أزرق.."

- "اعمل إيه يا ماما دلوقتي؟ أروح الشغل إزاي بمنظري ده؟"

أجابها أمجد قائلاً:

- "برضو شغل؟ يا بنتي أنا عايز آخذ قطع الغيار سليمة، يا

أم سنة وربع انتي"

- "مش وقتك خالص دلوقتي يا أمجد.."

أجابته سوسن.

- "الأكل جهز؟ جعانا وطلع ميتين أهلي"

- "خش كل يلا ونقطنا بسكاتك"

وإذا بأميرة تقول:

- "تاكل إيه يا مفجوع وتسييني وأنا كده؟"

- "محدث قالك تفتربي الجزيرة كأنك عمرك ما كلتي قبل
كده"

وتركهم وتوجه إلى المطبخ ليأكل. . سمكة. في حين صياح أميرة:
- "أه سنتي. ."



٢٢

كان يسير قرابة النيل، يسرد إليه وجعًا، وشروذًا قد مسَّهُ
الشوق. الشوق لِمَ تحديداً؟ لا يدري، لكنه آخر، عابر سبيل،
يتوق ربما لراحة. . أو هلاك. . فلا يوجد بين البين. . إما شمسُ
مشرقة وسط سماء، أو سيف قاطع، يقطع مواويل الفرح
والشقاء، فتتسواى كل الأشياء.

وجد شيخًا يسير في اتجاهه يحمل مسبحة عدد حباتها يبدو
تسعة وتسعون حبة وذلك نظرًا لطولها، في الوجه سماحة، وعلى
الجبين طاعة، وعلى الشفاه رضاء. وجد روحه تستكين إليه، إلى
طيفه المُسالم. . وكأنه فاق السَّماء والنيلَ نقاءً.

راح يقترب إليه ذات الشيخ، وينظر إليه صوبَ العين وكأنه
لا يُبصر سواه، وكأنه خُلِقَ لكيلا يبصر سواه، فاقتربت المسافات،
وزادت السَّكينة في روح يزن العائمة في بحور اللاهوية، اللادين،
اللامنطق.

وحين أصبح على بعد خطوتين، امتلأت السماوات غرباً تنعق كالموت المبين، فنظر إلى الشيخ يتوق لسلام يراه في قَسَمات وجهه ليستكين، لكن الشيخ تحوّل وجهه إلى خنزير بغيض يرتدي جلباباً قذراً فاقح لونه. وإذا بالمسبحة تتحوّل لأفعى صغيرة يسبح بها لمعبود غير الله.

انتفض، وهو يركض عكس اتجاهه وهو يخلع ملابسه كلها ليصبح عارياً تماماً كما ولدته أمه، شعر بنفسه لا يهمله سوى الخلاص من ذلك الشبح ولم يبال لعُريه، وفجأة قفز هرباً للنيل المجاور الذي تلقفه وهو مليء بأفاعٍ تحترق بنارٍ ظنّها جهنّم الأشدّ حرّاً.

عاد ينتفض مجدداً، ليجد نفسه في المترو، نظر حوله فوجد شيخاً يطالعه يسير في اتجاهه يحمل مسبحة عدد حباتها يبدو تسعة وتسعون حبةً وذلك نظراً لطولها، في الوجه سماحة، وعلى الجبين طاعة، وعلى الشفاه رضاءً، وجلس إلى جواره.

ارتعدت أنفاسه، وشعر أنّ هلاكاً جلس إلى جواره، فخرج من المترو فور وقوفه قبل شبراً بمحطتين.

خرج يعانق أي هواء ستلقفه رثناه الموقودة وجعاً.

خرج ليجلس حيث ينتظر الركاب المترو، وأشعل سيجارة. كان قد مضى من الوقت ما مضى مُنذُ آخر مرة تواجد فيها في منزله حيث أمه وأخته. لكنه شعر بشوق حين قابلته يسرا في المشفى حين زاروا أميرة. شعر بحنين للديار، فهمّ يشدُّ الرِّحال نحوه.

لكنه شرد على مجلسه للحظات، يذكرها. فرح، علّها تنسيه حلمه المزعج.

مُنذُ ساعة. . أو أكثر بقليل، كان برفقتها يمتطي حلمًا مشاكسًا.

...

وجدته فجأة يسير إلى جوارها دون أن ينظر إليها قائلاً:

- "إيه يا فرح؟ كل ده عشان تخرجي. . ؟ اتأخرتي عليًا"

ثم نظر إليها في حين ذهولها، وابتسم لها برقة، ثم عاد ينظر للطريق أمامه.

قالت فرحة:

- "أنت شكلك مجنون رسمي"

ابتسم ضاحكًا من قولها:

- "ده أساسي، مولود على جيني مجنون"

- "أنا مش مصدقة نفسي. ."

- "مش مصدقة إيه؟"

- "الهيل اللي أنا بعمله ده. ."

- "هبل إيه؟"

- "نعم؟ كل ده ومش حاسس بهبل؟ أنا معاك بعمل إيه

دلوقتي ورايحين على فين؟ أنت ميبين أصلاً؟"

- "أنا يزن. . بتعرفي تجري؟"

- "إيه؟"

ودون سابق إنذار، أمسك يدها يجرها ليسابقا ريحًا عاشقة.

- "أنت بتعمل إيه؟!"

نظرت صوبه غاضبة . . وقالت تصيح به:

- "أيًا كان . . أنا بسافر وبروح بلاد عمرك ما شفتها، وبعرف
أسعد نفسي وأضحك وأسهر مع صحاي . ."

- "قولها ثاني كده . . محللين نفسيين"

- "لأ . ."

- "يلا ورايا . . ز . . ر . . ع . ."

وأطلق ضحكة عالية عانقت السحاب. فنظرت إليه بغضب
مجددًا، وقالت تحارب نفسها:

- "محللين نف . ."

ووقفت للحظات وهي تنظر أعلى اليمين تفكر . . :

- "نفسانيين"

فعاد لضحكاته العالية . . :

- "نفسانيين آه . ."

عقدت حاجبيها، لكنّها سرعان ما أطلقت ضحكاتها الغجرية،
حتّى تظنها موناليزا قد كفرت بسمتها الصامته لتسحر العالم
أجمع بضحكة جميلة يظهر فيها جميل ثغرها حتّى يظن
ليوناردو دافينشي أنه لم يرسم قط شيئًا.

وقف يطالع ضحكاتها التي آمن أنها منسية، هو الذي لا
يؤمن بشيء، وأحب أن يكفر بالأشياء. لكنّه . . مع ذلك . . أحبّ
الإيمان بها، والخشوع أمام عينيها . . ليسمع تراتيل قلبه، وقد
أحسنَ قلبه الترتيلا.

- "ضحكتك.. حلوة.."

صمتت فجأة وهي تمسح عن عينيها دمع الضحك، لتغرق في عينية.. ثم قالت:

- "أنا لازم أمشي.."

- "متهربيش.."

- "كفاية جنان يا يزن"

كان لوقع اسمه نغم جميل على مسامعه، لكنّه لم يجرؤ ليطلب منها أن تكرر اسمه مجددًا. فهو بوضع لا يسمح له أن يكون بموقف ضعيف، هو هكذا يحب أن يكون متحكمًا، قال:

- "براحتك.."

شعرت بنفسها المنتصرة. لكنه قال:

- "فين أقرب مترو؟"

- "تقريبًا خطوتين من هنا. امشي قدام حبة"

- "عايزة حاجة؟"

- "لأ"

- "سلام"

شعرت بجدية الأمر حين أدار وجهه عنها وسار بعيدًا، قالت بعد قليل من الصمت:

- "تحب أوصلك؟"

- "لأ.."

.....

- " يزن "

فأغمض عينيه وقد عشق اسمه فعلاً من شفافها الجميلة،
التفت إليها:

- " نعم؟ "

- " هشوفك تاني؟ "

- " آه . . طبعًا "

فاستكانت لرده، لكنه سرعان ما قال:

- " في الأستوديو طبعاً . . متأكد إن شغلي هيعجبك "

وانطلق يسير بعيداً عنها، تاركاً إياها في جعبة الشوق.

راح يعانق الشوارع يحيكي يُتمًا شديدًا باسم الحب، شيئاً
بداخله كان جارفاً، قوياً، جباراً.

#جبابرة..

الجبوت صفة إلهية نعم.. ولكن حين يصبح الإنسان جباراً
ذات يوم، فإنه يصبح جباراً بعد حروب طاحنة، لم يكن في
معظمها منتصر.. بل خائب الرجاء، مقتول.. يُعربد أماً.

إلى أن تتساوى كل الأشياء. . الحب والحرب. . الضحكات
والدموع، الحياة والموت. . فلا يكون هناك مناصًا. . إلا للجبروت. .
الجبابرة، كانوا فيما مضى أحسن خلق الله، ولكنهم ذاقوا
الوجع، فلم يعرفوا غيره. الجبابرة يكرهون الاحتراق قربًا، فيأثرون
البُعد، حيث أن الأشياء من بعيد أجمل.

يعشقون الوحدة، والليل، وشروق الليل. . لهم طقوسهم
الخاصة، "ممنوع الاقتراب يا هذا" . .

نحن لا نموت حين يخذلنا الحب، بل إننا نبقى أحياء بما فيه
الكفاية ليمسنا طاغوت الوجع خلف ستار الخذلان، أحياء بما
يكفي لتمر الدقيقة كألف سنة مما نَعُد.

فتحت يسرا الباب لترى من الطارق، وجدته أمامها مبتسمًا،
عاتبته قائلةً:

- "ينفع كده؟ ماما كل يوم بتنام معيطة"

ثم تركته وذهبت إلى غرفتها.

- "جايلك"

أجابها، ثم توجه ينادي أمه:

- "يا أمي. ."

لحظات ليسمع صوتها:

- "أاااااابني. . حبيبي"

وخرجت من غرفتها تحضنه، وتُقَبِّله وكأنه عاد من سفر
أعوام.

- "أهون عليك؟"

- "يا ماما أنا سافرت يومين ورجعت"

- "بس مشيت غضبان من البيت يا قلب أمك. . حصل إيه بس؟"

أجابها باسمًا:

- "محصلش حاجة يا ست الكل"

وراح يُقبّل رأسها، ثم قال:

- "جعان يا أمي"

أجابته بشغف أم تهوى إطعام طفلها:

- "حاضر. ."

وطارت إلى المطبخ.

في حين توجه يزن لغرفة يسرا ليصالحها. كانت تجلس على طرف السرير تطالع كتاب شعر لفاروق جويده، جلس بجوارها، في حين لم يهتز لها طرف. لحظات ثم كسرت الصمت قائلة:

- "أنا محبتش أخرجك ساعة المستشفى وحببت أبين أن الأمور

ميه ميه"

- "عارفة ليه؟"

نظرت إليه ثم أدارت وجهها، فقال:

- "عشان أنا أكبر منك سنًا. ."

فعدت تنظر إليه بحدّة، لكنّه استطرد حديثه قائلاً:

- "بس انتي دايمًا أكبر مني بقلبك وطيبتك"

فإذا بها تبتسم. . فقالت وهي تضع يدها على كتفه:

- " طول عمرك بكاش. . يا بكاش "

فأجابها بضحكة غلبت الخصام بينهما، وإذا بهاتفها يرن:

" رجعوني عنيك لأيامي اللي راحوا

علموني أندم على الماضي وجراحه

اللي شفته. . قبل ما تشوفك عنيه،

عمر ضايح يحسبوه إزاي عليا؟! "

فقال يزن:

- " إيه مش هتردي ولا إيه؟ ده حتّى الست تزعل. "

- " لأ، هي صاحبتى، اتصلت من شوية، وعايزاني اشرحلها

حاجة كده في الفلسفة بس أنا مش فاضية ناو وعندي صداع "

- " الأكل جااااهز يا عيون ماما "

كان ذلك صوت الأم تنادي من الخارج.

- " ممممم. . ماشي يا يسرا. هقوم آكل أنا. . جعان "

وربت على رأسها، ثم خرج.

في حين توجهت يسرا إلى هاتفها ودقات قلبها تنبض رعبًا

وخوفًا. كانت تلك هيام، أو لنقل. . أحمد العاشق، من هيّمها

وهيّمته.

أرسلت له:

- "أخويا رجع النهاردة، وكان قاعد معايا وكنت هروح فيها.
والنبي خلي بالك"

في حين على الطرف الآخر، تلقى أحمد الرسالة مذعورًا، وراح
يفكر مليًا: "يا ترى يحصل إيه لو يزن عرف؟"

* * * * *

٢٣

- "خلصنا يا ميس. ."

رفعت ليلي ناظرها إلى إحدى الطالبات وهي تنبهها بانتهائها
وزميلاتها من نقل الدرس من على السبورة. نهضت ليلي عن
الكرسي.

نظرت صوب السبورة، وكأنها تسترجع ماضيًا ليس ببعيد:

- "أنا هبدأ بشرح آخر بيت من القصيدة دي، وبعدها هنرجع
لأول بيت ونمشي بالتدرّيج، لحد ما نوصل لآخر بيت من تاني.
هعمل كده ليه؟ ممكن نقول يا بنات، إن ملخص القصيدة دي
كلها. . أو فكرتها الجوهرية. . تكمن في البيت الأخير ده: "أيها
الشاي وما بك داء. . كن جميلًا ترّ الوجود جميلًا"

وأردفت قائلةً:

- "إزاي قدر إيليا أبو ماضي تلخيص فلسفة الحياة في البيت
الجميل ده. . لو قدرنا نفهم البيت فهم كلّي، ممكن نوصل

لأسباب السعادة بمنتهى السهولة. بس الأول. . واحدة فيكو تقولي.
. فهمت إليه من البيت ده؟"

ثم نظرت صوب البنات بشغف. . وجدت قليلاً يرفعن
أيديهن، منهن من فعلنها بعدم ثقة. . فقالت:

- "طيب، هديكوا دقيقتين، تفكروا، والي هتبهري إجابتها،
ليها خمس درجات ضامنهم في أعمال السنة"

ثم توجهت نحو النافذة، تطالع اللاشيء، لحظات وسمعت
إحدى الطالبات تهمس لصديقتها:

- "وكان منزل صورته على الفيس بوك، قمر قمر قمر. ."

نظرت ليلي صوبها وقالت بصوت مرتفع:

- "هو انتي فاكرة نفسك في ملهى ليلي؟؟ انتي نسيتي إنك
في مدرسة وفي حصة يا بنت انتي؟ فيس بوك إيه وزفت إيه؟
اتفضلي قومي اقعدي ورا وإياك تكلمي حد. قال فيس بوك قال"
نهضت التلميذة بخوف، وتوجهت بخطى قلقة نحو المقعد
الخلفي حيث تعاقب ليلي طالباتها حين يضايقنها في الفصل.
وصلت إليه وقامت بالاعتذار قائلةً:

- "أنا آسفة يا ميس ليلي مش هتتكرر تاني. بلاش تقولي لماما
والنبي"

ثم جلست على مقعدها بعينين دامعتين، ولم يهتز ليلي
طرف من أمرها، وقالت:

- "ها يا بنات. . إيه شرح البيت اللي ع السبورة؟"

فوجدت أن معظم الفتيات تشجعن ورفعن أيديهن، عدا
ثلاثة، منهن آلاء، من تجلس في المقعد الخلفي.

- "آلاء . قومي اشرحي"

فتنبهت آلاء لصوت أستاذتها الصارم، ونهضت وهي تدري أنها
مُلاقية هلاكها إن لم تحسن التعبير. فسارت بخطوات مُتباطئة،
حتى ظننت نفسها على الصراط وأنها مُلاقية حسابها. ووصلت
إلى السبورة، الفتيات ينتظرن سخطاً عليها أو رضى. فقالت الفتاة
بقلق تردد البيت:

- "أيها الشاكي وما بك داء . كن جميلاً تر الوجود جميلاً .
يعني يا شاكي ."

وإذا بالطالبات ينفجرن ضاحكات من قولها. وظلت ليلي
تطالعها بصرامة، فالتفتت آلاء نحوها وقالت:

- "طيب ممكن يا ميس تسمحي لي متكلمش وأنا بشرح
بصيغة الغائب، وأوجه لحضرتك الكلام كأنه ليكي؟"

- "أي حاجة، خلصيني يا بتاعة الفيس بوك انتي ."

- "حضرتك بتشتكي ليه؟ إيه أكبر مأساة في حياتك اللي تمنعك
من إنك تفرحي وتنسطي وتعيشي سنك؟ وانت عارفة إن الحياة
يومين، وإن العمر اللي راح، هيوصل لمرحلة ويكون أكثر بكثير
من اللي جاي؟ أسباب السعادة كلها في إيدك إنتي، ضحكك في
إيدك إنتي، زي ما حلمك في إيدك إنتي. وممكن يكون البيت ده
تفكير بنعم ربنا عليكي، طالما مفيش داء يستلزم دواء؟ يبقى ليه
تكدري عمرك بنفسك وتعيشي محبوسة جوا سجن إنتي صنعته

بنفسك؟ الحياة جميلة، فكوني جميلة عشان تشوفي كل حاجة جميلة حواليلي. . وبيكي"

كانت ليلى تقف مذهولة بلا حراك، وهي لا تستوعب، أتقوم آلاء بشرح البيت أم أنها أزاحت ما يسترها عنها لتتركها تقف عاريةً من أمرها. ؟

لحظاتٍ أخرى مُربكة مضت، قبل أن تطلب ليلى منها العودة لمقعدها. توجهت الفتاة بصمت نحو المقعد الأخير، لكن ليلى قالت:

- "ارجعي مكانك خلاص يا آلاء"

ثم نظرت إلى الفتيات نظرة شابهت الانكسار في عزلته، والوحدة في انكسارها. كانت عيون الفتيات مليئة بالحيرة وكأنها تسألها عن أمرها؟ أو ما هو مصير آلاء من إجابتها. لحظات صامتة أخرى مضت. . ثم قالت:

- "ممتازة يا آلاء، بس مكنش في داعي تشرحي وكأنك بتوجهي كلامك لحد بشكل مباشر، اشرحي المرة الجاية بصيغة المجهول، أو ممكن وكأننا بنتكلم عن الإنسان نفسه. . فهماني؟"

فأومأت آلاء برأسها في حين دقَّ الجرس، وانتهت حصة اللغة العربية.

فنهضن الفتيات بنشاط صوبَ الباب ليستغلنَ الخمسة عشرة دقيقة في النسيمة، والوقوف أمام المرأة، وليأكلنَ وكأنهنَّ يأكلنَ مشاعرهنَّ.

- "تعالِي يا آلاء. ."

وحين تأكدت آلاء أنها تحادث أستاذة عشرينية، هي في الأصل طفلة قد ضلّت الطريق، جلبت مقعدًا وجلست إلى جوارها تشرح لها وتعلمها ما لا تعلم.

- "يعني ممكن أكتب آرائي بمنتهى الصراحة وكده ع الفيس ده؟"

- "آه. . بس بلاش آراء سياسية وكده. ."

فضحكت ليلى وقالت:

- "لأ. . سياسية إيه، محسوبتك ليلى. . ملحدة بالسياسة"

ثم تنهدت قليلًا. . وقالت:

- "ماشي. . يا لؤة. . صحيح، كنت عايضة أقولك، متزعليش عشان شخطت فيكي قدام البنات، بس انتي عارفة إني مش بحب الهرج والمرج خالص. يلا روعي قبل ما الجرس يرن، وياريت كلامي معايي يكون سر بينا"

- "حاضر يا ميس. ."

وانصرفت. .

في حين توجهت ليلى للإدارة توقع انصرافها باكراً لاستئذانها بالرحيل قبل انتهاء الدوام المدرسي بساعتين لتذهب إلى السوق، فلقد اقترب لقاء الحبيب. . محمدًا. . وحرّي بها أن تبتاع لبسًا جديدًا أو اثنين.

- "أنا في السوق"

أرسلت له مكانها، فهو الأمر، الناهي، وحتّى من بعيد. .
حتّى لو كان يعلم مُسبقًا أين وجهتها. يجب أن يعلم بأمر هذه
التقارير أولاً بأول. وإلا فكيف سيستحق لقب "رجل" في البطاقة؟

- "متأخريش. . ولو إني شايف إن الخروج دي ملهاش أي
تلاتين لزمة، بس ماشي. ."

قرأت رسالته، ثم وضعت الهاتف في حقيبتها. واستقلت سيارة
أجرة تأخذها للسوق. كانت تطالع الشوارع بلا حنين، وكأنّها
تنتظر الخروج من جدران المدينة، لتفر إلى كوكب القاهرة،
برفقة. . الحبيب. . محمداً.



٢٤

- "ناوليني الطفاية دي يا أما. ."

نظرت إليه والدته بامتعاض وهي تنهال على "اللب السوبر"
أكلاً حتّى تظنّها ستلاقي ربها إنّ لم تأكله، قالت:

- "آدي الي أنت فالح فيه، سجاير ولب وسوداني ومرقعة
مع الشلّة الفاسدة الي انت ماشي معاها ما عدا عبدالله طبعًا.

والاسم خاطب ليك خمس سنين، وعاييز تتجوز؟ جاتك وكسة
تاخذك"

فأجابها أمجد بزمجرة:

- "في إيه يا أما؟ هو الواحد مش عارف يرتاح حتّى في بيتو يا
جدعان؟ استكنيص فين أنا لو ملقتش الاستكنياص هنا؟"

أجابته وهي تمدّه بما طلب:

- "تست إيه؟ أخلاقك ليه مش زي الواد عبدالله؟ واد محترم
وذوق وعارف ربنا وبيبر أمه وأبوه. ."

- "بيبر. ؟ أهو بعد بيبر دي متتكلميش تاني يا أما. . أنا
خرمااااااان"

- "أنا بس نفسي أعرف البت أميرة بصتلك إزاي؟ هي بت
شلق آه.. بس تستاهل أحسن من كده. ."

وراحت تضحك بهرح. .

فأجابها بحس مسرحي حتّى تظنه يتأوّه وجعًا:

- "اعترفي يا أما. . أنا ابنك ولا ابن مصيلحي البواب. . إهيء
إهيء إهيء"

- "أتوكس يا موكوس. كنا هنخلص منك لولا ولاد الحرام الي
سرقوا شقاك أنت وأميرة. . وربي. . وربي وما أعبد قلبي مقهور"

- "والنبي حاسس إنك مقهورة، انتي بتقرقزي اللب كده ليه؟
عملك إيه؟ ربنا رازقني بولايا متوحشين. البت أكلت الجزرة
كسرت سنتها، وأمي بتاكل اللب كأثها فار متوحش"

- " معيش "
- " معكش إيه؟ "
- " معيش فلوس.. "
- " يا ساتر يارب.. أنا جاي أقف مع أبويا من دون أي مصالح،
الأبوبة يا حج.. الأبوبة.. "
- " أبوبة؟ أبوبة برضو يا حمار يا ابن الحمار؟ اسمها أبوة
يا جاهل "
- " معلش يا بابا.. وأهو على رأي الشرقاوي، التعليم المجاني
في دمي "
- " ياريتك فلحت.. مكنش ده بقا حالنا.. "
- " إيه يا حج الكلام ده.. ؟ ما اللي متخرج من تب ما هو
حالو واقف برضك.. "
- " تب؟ أعوذ بالله من غضب الله.. يا ابني أنا عندي
السكر والضغط "
- " ارضي بيا يا حج زي ما أنا راضي بيك.. ده أنا وحيد العائلة يابا "
ثم صمت قليلاً وقال:
- " آبااا.. أنا عايز عِدَّة حديثة عشان أواكب العصر "
- " أقسم بالله.. قلبي كان حاسس إنك بسحنة أمك دي عايز
مني حاجة "

- "طب وديني لقول لمي عن بتعة شعراوي وتبقى جلاجلكو
بفضيحة"

ثم خرج من الشُّرفة مُمتعضًا، ولكنّه مُتقبلاً لتلك الحال إذ
اعتاد على قصر قامة أحلامه. كان متوجهًا لِعُرفته حين نادته أمه:
- "تعالا."

- "عايزة إيه يا أما.؟"

- "بقولك تعالا."

فاقترب منها وكلمة "أف" على وشك أن تعانق الأجواء.

- "خد."

- "إيه دول؟"

- "٧٠٠ جنيه. . اجري هات العدة اللي أنت عايزها."

وإذا بوجهه ينقلب طفلاً صغيراً أهداه الزمن سهوةً "دُمية".
أخذها منها ولثم يديها بشفتيه وقال:

- "مش مصدق نفسي يا أم ميجو. . ربنا يخليكي ليًا وما
يحرمني منك أبدًا. أخيراً هيبقى عندي واستاب، مع إني مش
بجبه"

- "هيبقى عندك إيه؟!"

- "واستاب يا أما. . وبي إم إم وهقب على وش الدنيا"

- "طيب."

وراح يُقبّل رأسها ووجنتيها. . وهو يقول:

قال لنفسه بزمجرة.

خرجت إليه مجددًا وقد غطت شعرها:

- "خير يا ميجو. "

- "كنت عايز أقولك إني هبقا معاكي في الواست آب يا بت "

- "بجد؟ ؟ جبت موبايل جديد؟"

- "لا هجيب. . بس وأنا معاكي يا بت. عايزين نخرج خروجة

من بتاعت زمان دي "

- "لما نفسيتي تتحسن "

- "تتحسن إيه بس ما انتي زي القرد اهو. . بحبك أمك يا

بت. . ما تبعتي قطة ع الهوا كده "

- "اتعدل ياد "

- "البجامة هتاكل من أفاكي حتة "

- "وأنت شفت قفايا فين إن شاء الله؟"

- "من شوية وإنتي داخلة تجيبي الطرحة "

ثم ضحك بسعادة، في حين ضحكت هي بحب. قال:

- "هاقي بوسة يا بت. . لابسة إيه تحت البجامة يا قلبي؟"

ابتسمت له بحنان، ثم قالت:

- "هقولك لابسة إيه. . "

وبحركة سريعة صفعه نعل على وجهه ألقته عليه من حيث

لا يدري.

- "أنا يا مجنونة. وديني مانا جايلك قمصان
نوم تاني"

ثم خرج من الشرفة غاضبًا، في حين تعالت ضحكاتهما. . بشغفٍ
لغدٍ سيجمعها به في الحلال، ذات يوم.

* * * * *

٢٥

عادت لشقتها، والفرح أنيسٌ لها. لم تذهب للبنى تعاتبها
اتصالها بياسر، لم تشعل الحرائق، لم تقم الدنيا وتقعدها، بل
استسلمت. . استسلمت للفرح. . فرح.

- "أخلي أنيتا تحضرك الغدا؟"

سألت لبنى فرح التي أجابتها بنظرة عابرة تليها:

- "لأ. . مش جعانة"

- "إنتي كويسة؟"

فأجابتها قبل لحظتي صمت مقلق:

- "أها"

وانسحبت لغرفتها، ومن هناك نادت على أنيتا بأن تعد لها
القهوة، ففهمت لبنى من الخارج أن فرح لا تريد أي شيء قد يأتي

عن طريقها. والحق أن فرح لم ترد سوى السلام، السلام على أرض
ذاق الوجد بما يكفي، ليذيب الفرح.

ها هو يزن ينبش إنسانيتها الراكدة، ويحيي أنوثته عهدتها
مجرد جسد جميل تملكه، لكنّه بما يفعل يُحيي أنوثته قلبها خالي
النبض والروح، فيبعث فيه النبض، وترقص على نبضاته الروح.
أمسكت هاتفها، وقد تبادلا أرقام الهواتف رسمياً. . . وجدته
على برنامج الواتس آب، يضع صورة لفتاة شعرها قرمزي اللون،
وعينيها خضراوين، وعلى وجنتيها نمش نثره الحُسن بدلال هنا
وهناك على امتداد وجهها عرضياً. بدا وجهها قريباً جداً منها،
احتفظت بالصورة عندها باسمه. . ثم أرسلت له:

" حلوة الصورة دي. "

" شبهك صح؟ "

" بصراحة. . آه. "

" بس هي أحلى. "

قرأت الرسالة مراراً وتكراراً، وقبل أن تُجيب، وجدته يتصل
بها، فأجابت سريعاً:

" ألو. "

" وحشتيني. "

فقالَت تغَيَّر مجرى الحديث:

" There is no God? - وكاتبها ع الواتس بصراحة كده؟ "

- " وفيها إيه؟ أنا إنسان صريح. "

- " هو أنت بجد مُلحد؟ "

- " اشمعنا؟ "

- " رد على سؤالي. "

- " مش هتحبيني لو مُلحد؟ "

- " إيه؟ "

- " إلحادي هيكون سبب في إنكارك إنك بتحبيني؟ "

- " بحبك؟ أنت أكيد اتبهلت. . أنا معرفكش عشان أحبك. "

- " وده اللي مجننك. . متعرفنيش. . بس حبيتيني. . اعترفي،

الإنكار مش هيفيدك "

- " النهاردة كان جميل. "

فابتسم من قولها، وقد أدرك كم هي عاشقة هاربة، فقال:

- " أشكرك لأنك كنتي سبب في سعادي النهاردة، خرجتيني من

قرف كثير "

والحق أنها كانت تريد أن تقول له المثل، وربما أكثر، لكنها

آثرت أن تقول:

- " قرف كثير؟ قرف إيه وأنت مُلحد ومكبر دماغك من كل

حاجة حواليك "

- " طيب طالما عارفة إني مُلحد، ومتأكدة. . بتسألني ليه؟ "

والحق أنه لم يدر أنها أرادت أن تتعلق بقشة أمل تخبرها أنه
موحّد بالله. . . وحين سفك بريق ذلك الأمل قالت:

- "كنت بتأكد بس، أصل شكلك مش مُلحد"

وإذا به يضحك عاليًا ثم يقول:

- "ليه هو الملحدين لازم يكونلهم شكل معين؟ إحنا بشر زينا
زيكو مش فضائين ولا حاجة"

- "مش القصد، أصلي عندي حاسة كده، بتخليني أحس
بأحاسيس معينة من ناحية كل حد ملحد بعرفوا"

- "ممممممم. . . بمعنى. . ."

- "يعني مثلاً، كريم، مُلحد موضة. عشان يتقال عليه مُلحد،
هو لا قارئ ولا مثقف ولا حاجة. يعني أي بطيخ"

- "جميل. . . وأيتن؟"

- "والله كنت قايلالها تحليلي ده قبل ما شوفك النهاردة، أيتن
بتنام مع ولاد كتير، وإلحادها ستر ليها، عشان محدش يتكلم
عليها، وأقرب كلمة تتقال (مُلحدة)"

- "تحليلك مُقنع، وبشكل أو بآخر، بوافقك عليه. . . طب وأنا؟"

- "ممممممم. . ."

ثم صمتت قليلاً، وقالت:

- "سيبها للأيام، لسة مكونتش فكرة عنك"

- "هشوفك تاني إمتي؟"

- " في الأستوديو "

فابتسم لمكرها وقال:

- " بشوقك . . فرح "

- " نعم؟ "

- " هبعتلك صورة ع الواتس بعد ما نقفل "

- " صورة إيه . . ؟ "

- " متعرفي لِمَا تشوفيها . . وبجد، وشك أجمل مية مرة من
دون مكياج، عارفة ليه؟ "

فظنته سيقول شعرًا في عينيها وجمال طلتها، لكنّه قال:

- " عشان مش بيستر أملك، بشوف أملك وهو عريان "

فاضطربت أطرافها، وشعرت بلسعة خفيفة خلف رقبتها لشد
ما بعثر أعصابها، لأنه قاب قوسين أو أدنى من كشف الستر عن
الوجع . . حقًا. قالت:

- " أنا لازم أقفل دلوقتي . . "

- " بتهربي مني ليه؟ "

- " مش بهرب . . لازم أقفل "

- " ليه؟ "

- " مشغولة . . "

- " ممممممم . . طيب . . سلام "

- " سلام "

وألقت بالهاتف جانبًا، ودارت في أرجاء الغرفة، في حين وصول أنيتا والقهوة والتي أخذتها منها على عجل، وأخذت رشفة سريعة فأحرقت شفيتها ولسانها وكاد أن يسقط الفنجان من بين يديها. فوضعت جانبًا حين استمعت لنغمة الواتساب تنبئها بوصول رسالة من يزن:

- "الصورة ع الباب. . مش هنا"

ظَلَّت تحدد في الرسالة غير مستوعبة لفحواها، ورنَّ جرس الباب، وظَلَّت واقفة لا يهتز لها طرف، في حين انتفضت فجأة وحلَّقت نحو الباب. فتحته سريعًا، لكنَّها لم تجد طيفًا لأحد. ووجدت قرب الباب، جسم مستطيل، كبير الحجم، مُغلف بأوراق زينة أنيقة. ففهمت فورًا ولو متأخرًا، أنَّها لوحة.

حملتها ودخلت إلى الداخل في حين لحقتها عينا لبنى ولكنَّها لم تعقب. دخلت إلى غرفتها، ووضعت اللوحة على السرير وقامت بإزالة غلاف الزينة عنها، فوجدت أن اللوحة مُغلّفة بورق أبيض مكتوب أعلاه بخط ملائكي:

- "هتعجبك. . لو كنتي مجنونة كفاية"

وجدت نفسها تأخذ نفسًا عميقًا وهي تقرأ هذه الجملة، وراحت تسمع ضجيج قلبها قبيل أن تزيل الورق الأبيض عن اللوحة. . . لتجد جنونًا، شابه العشق، واللذة:

وجدت نفسها تقف قرب شجرةٍ تستند بيدها اليمنى عليها، ملائكية، لا يستر جزئها السفلي سوى قماشة بدت على ما يبدو حريرية، وجزئها العلوي بدا نجمًا لا يخش الليالي. وشعرها

القرمزي يغطي كتفيها القمريين. . بدا هنالك ألم صارخ على
قسمات وجهها الجميل، ففهمت ماذا يعني بالألم العاري.

وعينيها يشعان اخضرارًا كزمردةٍ نادرة، كانت عينيها الناعستين
في اللوحة تدعوك للهيام في ملكوتها، لكن عينيها على أرض
الواقع آنذاك كانتا ذاهلتين وقد شاهدتا كيف رسم نهديها
بتلك الاحترافية حتّى تساءلت ما إذا رآها عارية الصدر يوما في
حياة سابقة، أو في كون موازٍ لا تدري عنه. . كان نهديها الشمس
والقمر، فوجدت حولها وعلى جانبها الأيسر نجومًا وليلاً. . وعلى
جانبها الأيمن، وجدت شمسًا وطيورًا تحلّق في سماءات. وكأنّها
إلهة للشمس والقمر معًا. . وهكذا جمع الشمس والقمر، الليل
والصباح. . في نهديها، وبهذا هي الكون كلّه!

شعرت برجفة، ورغبة عارمة في الصراخ. أخذت اللوحة
ووضعتها أسفل خزانتها، وأمست الهاتف ترسل له:

- "أنت قليل الأدب وحيوان، إزاي ترسمني وأنا كده؟؟"

ليأتيها رده سريعًا:

- "يبقى مش مجنونة كفاية"



تناول مضرب الجولف، وأخذ قسطاً مناسباً من الهواء، وتموضع جيداً ليسقط الكرة الصغيرة في الفوهة وسط الحشائش الخضراء في منتزه خلف الفيلا خاصته. كان يرتدي قميصاً أحمرًا، و "شورتاً" قصيراً أبيض اللون، وقبعة بيضاء. أنيقاً أسرهُ الهم، فأصبحت أناقته حدادًا، لحظات حاسمة. . وضربها ضربة خفيفة، تظنها القاضية، ولكنها لم تكن بقاضية، فتركيزه لم يسعفه كفاية، فتجاوزت الكرة الفوهة، ومرت قربها تغيظها عدم سقوطها فيها. فركل الهواء بقدمه. وأعطى المضرب لحامله بغضب، وأخرج هاتفه يتصل بها علّه يهدأ ويستكين:

- "يسرا. . يا ترى أخوكي هيرضى بيّ لو اتقدمت لك؟"

وإذا به يسمع ضحكاتهما وهي تقول:

- "أنت على طول حامي كده؟ مفيش إزيك عاملة إيه؟"

- "معلش يا يسرا، جاوبيني على سؤالي، أخوكي هيرضى بيّا؟"

- "وميرضاش بيك ليه؟ أنتو عشرة عمر. . وهو بيحبك قوي زي أخوه، أنا عارفة ده كويس، أنت أقرب الناس ليه والله يا أحمد، بس الموضوع عايز تخطيط كويس قوي"

- "يا يسرا. . في حاجات كتير إنتي متعرفيهاش عني. ."

- "عشان كنت بتعرف بنات كتير؟ طب وإيه يعني؟"

والحق أن طفولتها لم تتجاوز أكبر من تلك الفكرة، ظنته كان
يحدث الكثيرات، ويخرج برفقتهن، وضحك وسهر وصخب فقط،
لكنها لم يمر بخاطرها مطلقاً أنه نازلهنّ على الأسرة، والمضاجع.

- "انتي مش فاهمة يا يسرا. . أصل. ."

- "لا أصل ولا فصل، أنا قبلاك زي ما أنت. . ده أنت منّي يا
أحمد"

فصمت قليلاً أمام هذا العبارة، واستوقفته بعشقها، فأجابها
خاشعاً لحبها:

- "ربنا يخليكي ليّ يا يسرا، ويجمعنا في الحلال يارب. إنتي
غيرتي فيّا كتير"

عجيب أمرٌ هذا الحب، وكما جرّه للحرام ذات يوم، ها هو
يقوده للحلال مُغمض العينين، خاشع الروح والبصيرة، حتّى ظنّ
نفسه تائباً باسمه، كما كان عابثاً باسمه فيما مضى. أصبح الآن
سجيناً للأمس والحاضر والغد. فأمسه مُضرج بخطاياها، وحاضره
يتوق لمغفرة وبداية جديدة معاً، وأمّا غده، فقد ارتدى رداء
رمادي اللون وراح يتبختر أمام ماضيه وحاضره، ليتركهم حيارى. .

فيما مضى كان يحب أن يحتسي الخمر، ولكنه لم يدعها أبداً أن
تسكره، يحبها عابرة، كرشة عطر أنيقة، ولكنه اليوم يحتسيها قلقاً
حتّى تذهب بكامل عقله وروحه، فقال فجأة:

- "أنا بشرب. . وكتير كمان لدرجة إني مش بكون حاسس
بنفسي"

لفظها سريعًا وقد أثقلت فاه، ألقاها كقنبلة اعترافية وكأنه جندي خائب الرجاء يلقيها قرب الحبيب وهو لا يدري إن كانت ستنفجر أم لا. لحظات صمتٍ مدويّة، وصبرٌ مُراق على أعتاب قلق، حين لفظت أخيرًا:

- "هتبطل شرب، ومن النهاردة أنا معاك لحد ما تسبيه خالص، وأنا عارفة إنك قدها وقود. مهما قلت يا أحمد مش هسيبك"

لم يكن عنده ردًا مناسبًا يُجيب به، شعر بدموع تنساب من عينيه، هو الذي لا يبكي قط. ذهل من قواها السحرية على وجوده وكيانه، أدرك كم يحبها، أدرك أنّها رثة ثالثة، أدرك أنّها الحياة.

- "ساكت ليه؟"

- "أنا بحبك قوي يا يسرا. مش هعرف أعيش من غيرك، احتمالية إن أخوكي يقف في طريقنا مجناني. "

- "متقلقش.. مش هسيبك. "

فاطمئنت نفسه، وهدأت صراعاته، فقال:

- "عايز بنوثة شبهك. "

صمتت قليلًا ليسمعها تقول لاحقًا بهرح:

- "بتكسف. "

- "بعشق كسوفك. "

فأجابته سريعًا وقد خطف أريج صوتها القلق:

- "بقولك إيه . . سلام ناو . . أخويا جه . ."

وانقطع الحلم الجميل فجأة، كان يشعر أحمد بمرارة الحب حين يكون مختبئاً خلف خوف وظلمة، لكن ذلك لم يزدّه إلا إصراراً للاستعداد لمواجهة الحياة . . معها . . تلك الجميلة .
أما تلك الجميلة . .

فتوجهت لمفكرتها وقد غابت عنها، لتسرد حبها:

((إلى من يريق صبري، ليعود يجمعه إلي حباً، ثم يعود ينثره علي أمنية . .

إليك هذا السطر المعطر بالهوى، هاك ترتيلي وشوقي، وهاك طفولتي .

قلبي منك يغتاب الشوق، وروحي من أمرك غائبة في انتظار أن تهتدي، فتعال اهديني خير الحياة فالهدى كله أنت .

أقف قبالتك، ولا يسعني إلا البوح سراً، كم أشتاقك وكم تشتاق إليك خطوط يدي، وأصابعي الصغيرة لتعانق أصابعك الكبيرة التي أحب . . ورائحتك الزكية تلك التي تزيد اشتياقي، ولا تمديني سوى بالحنين . . لكنني مهما اختبأت خلف البوح، فعيناي وضحكاتي يتحالفون معك ضدي . فأرفع رايات الشوق كطفلة أحبّت الاستسلام، والانهمام حباً . وآه من أمرك . . خشيت التوحد فيك مسبقاً، ولكنني توحدت فيك حد الالتصاق، وما عدت أبصر يوماً لا أجد فيه طيفك يمرح والهوى . فماذا فعلت بي؟ وأي لعنة تلوتها في الأسحار لكي تأسرنى؟

أسيرتك . . وكم أحب أسرك لي . . سيدي . .

لا أقولها "سيدي" إجلالاً . ولا تكريمًا لمقامك دون مقامي، ولا أقولها ضعفًا، ولا أقولها هيبة . ولا أقولها انكسارًا أو ذلاً، أقولها حبًا . وكُلِّي حب، لشخصك الذي لا ينفك يذهلني.

أنت .

أيها الكائن الأروع،

يا سيدي في الحب

كما الهوى .

أود حفظك، في كتاب مقدس . ليتلوه العشاق يومًا، ويحسنوا

مع حروفي الترتيلا))

نظرت لما كتبه لتوها باسمه، في حين دخل يزن غرفتها إذ كان

الباب مواربًا، قال لها باسمًا:

- "بتذاكري؟"

- "لأ"

- "أومال بتعملي إيه؟"

- "كنت بكتب ."

- "خواطر برضو؟"

فضحكت باضطراب وقالت:

- "خواطر برضو ."

فاقترب منها وقال باسمًا:

- "أشوف كده ."

وإذا بها تنتفض من خوفها وقالت وهي تأخذ مفكرتها قبل أن يأخذها:

- "لا . مينفعش . دي كتابات خاصة، وأتكسف أوريهاك جدًّا"

فتعجب من أمرها ومن رد فعلها الهجومي القلق. فقال لها باسمًا:

- "ماشي يا خاصة"

قالت في محاولة لتغيير مسار الحديث:

- "أميرة عاملة إيه؟"

- "متقلقيش عليها زي القرد، كويسة وزى الفل، ونزلت شغلها

كمان"

- "طيب الحمدلله.."

- "هروح أكل أنا بقى"

ثم استدار ليخرج من الغرفة قبل أن تستوقفه علبة شوكولا على المنضدة، أخذ منها قطعة كبيرة وقال لها وفمه مليء بها:

- "ممممم، لذيذة قوي الشوكولاته دي . جاياها منين؟"

- "دي صاحبتى جاياها لي من سويسرا، باباها باعتها لها من

سويسرا . وادتهالي"

- "ممممم أنا برضو بقول الحاجات النظيفة دي مش من

عندنا.."

وراح يضحك بمرح، وخرج من الغرفة. وسار في الصالة لعدة خطوات ثم عاد إليها وكأنه استذكر أمرًا ليقوله لها ووقف قرب الباب حين سمعها تهمس على الهاتف:

- "هكلمك بعدين... كنت هروح في داهية"

توقف عقله لبرهة، ثم انقسمت خواطره قسمين، ولكل قسم حديث وحدث:

القسم الأول: "يا ترى بتكلم مين؟ اللي أعرفه أنها أحياناً بتكلم زمايلها عادي من المدرسة... تلاقيه أي عيل رزل من مدرستها"

القسم الثاني: "إيه كنت هروح في داهية دي؟ يسرا ليها فترة مش مضبوطة... وحركاتها غريبة..."

وإذا بخواطره تنجبُ له قسما ثالثًا: "طب وأنا مالي؟ هي عارفة الصح من الغلط، وكل واحد حر في تصرفاته"
واستدار ليعطي غرفتها ظهره ولامبالاته، وذهب ليتناول الطعام.



٢٧

جلست أسفل قدميه بعد أن وضعت وعاءً كبيراً مربع الحجم مليء بالماء المالح على الأرض. خلعت حذاءه وجواربه، وحملت قدمه ووضعتها في الماء، ثم الأخرى وضعتها كذلك وكأنها تحمل قدمًا كريستالية تخشى عليها من الكسر والخدش، قالت بصوت يسترضي مسامحه:

- "عارف يا حج . لو خدمتك من هنا لمية سنة قدام، ما
هعرف أعبرلك عن مكانك الكبير في قلبي"

نظر أبو ليلى إلى قسمات وجهها الخمسينية. وقال لها باسمًا:
- "انتي قدم السعد عليًا"

فراحت تفرك قدميه بإخلاص، وتمسك كل إصبع على حدة،
تضغط بحب عليه وكأنها تزيل عنه آثار الجهد والتعب، ثم
تضغط على أصابعه بإبهامها، ثم تأتي وتفعل المثل بإبهاميهما
من منتصف قدمه من الأسفل وصولًا إلى الكعب، ثم أمسكت
قدحًا به ماء ساخن، وراحت تسكب منه بحذر في الوعاء، إلى أن
تعتاد قدميه على درجة الحرارة المرتفعة، شيئًا فشيئًا، ثم قاست
درجة حرارة الماء بذراعها، ووضعت القدح جانبًا حين تأكدت
من ملاءمة درجة حرارة المياه لقدميه.

وفي حين انهماكها بإرضائه كما اعتادت دومًا وأبدًا، رنَّ هاتفه
فأجاب عليه كالجبابرة:

- "أيوة . أيوة . ياا ألف نهار أبيض . الحمد لله الحمد لله .
ساعة وأكون عندكو"

رفعت أمينة ناظرها إليه باسمه:

- "خير يا حج . وشك جه عليه النور . بشرني ."

أجابها راضيًا مرضيًّا:

- "مش بقولك إنتي قدم السعد علي . ؟ جالي ولد . جالي
ولد . هكون أبو ياسر بجد يا أم ليلى ."

لحظات ظلت تنظر إليه غير مستوعبة لما تلاه على مسامعها، تنظر إليه كطفلة بلهاء لا تدرك حالها أمرها. قالت كأنها تسأله كيف الحال:

- "ليه هو أنت كنت اتجوزت عليا يا حج؟"

يا للمفارقة. ناداها بأمر ليلي حين أتاه الولد، ناداها بوصمها، وعارها، حين ظن أن رجولته اسعفته أخيراً في رحم أخرى. نهض بنشاط، وأخرج قدميه بسعادة من الماء، قال:

- "أيوه، من تسع شهور، لازم يكون عندي ولد يا مره. وانتي شايلة معايا شغلي وشايفة إن الراجل اللي معندوش ولد، بيعيش ظهره مقسوم، وأنا عشت بظهر مقسوم ٢٢ سنة يا أم ليلي.."

فقال تكتم الدمع:

- "أنا اسمي أم ياسر يا حج وهفضل طول عمري أم ياسر"

- "انتي أم الهنا كله، أنا لازم أمشي حالاً"

وراح يرفع يديه مهلاً:

- "يا فرج الله، يا فرج الله.."

وخرج.

ألقت أمينة بجثتها على الأريكة، وكانت ليلي تنظر صوبها ودمعٌ يخرسها، ثم سرعان ما ركضت نحوها تُقبّل يدها باكيةً:

- "سامحيني يأمًا . سامحيني . ياريتني كنت واد ولا شفت
كسرة نفسك دي. بكرة تشوفي ولادي، هملاك البيت ده كله
صيان من محمد. وهجيلك ياسر يا أم ياسر"
نظرت أمينة صوبَ ابنتها بجمود، وسحبت يدها بقسوة من
بين يديها وشفتيها الباكية، وقالت:

- "جيبني واد، وإلا هيدفنوكي حية، زي ما دفنوني حية ٢٢ سنة"
ثم نهضت عن مقعدها، وقالت تحادث نفسها بصوت مرتفع:

- "بس أنا مقصرتش في حاجة، أنا كنت زاي الراجل في مجالس
الرجالة وأنا بقضيله شغل الأراضي والفدادين. أنا عوضته عن
ياسر لما جبتك. وحلفت ما أحسسوا بنقص ولا حاجة، وصبرت
واتصرت. . أنا مقصرتش في حاجة"

ودخلت الأم غرفتها في حين اعترى فؤاد ليلي قبح الأزمنة،
وحماقة الغايات.

وعادت ليلي لسجن جدران أربع، ولم يكن لها ونيس ولا
صديق. أتتصل بمحمد؟ . لا. . لن يجيبها، وإن فعل فصوته جاف
كخريف بائس. لم تشعر يومًا أنه سند لها، ومع ذلك تحبه حبًا
جهنميًا خالصًا، حبًا لم يكن بالنسبة لها مفهومًا كليًا، إلا أنها
متيقنة أنه قدرتي مصيري حدّ الحقيقة حينما لا يُعرف غيرها.
دخلت غرفتها، حاولت أن تشغل نفسها بتصحيح دفاتر
الطالبات، لكنّها لم تستطع، وتركتهم جانبًا. استلقت على السرير
تسترجي النوم، لكنّه لم يشفع لها وطار. فأمسكت الهاتف تقلّب

برامجه بضجر، إلى أن تذكّرت حديثها مع طالبتها آلاء عن ذاك العالم الأزرق.

ولم يكن صعبًا عليها اتباع الخطوات اللازمة لإنشاء حساب جديد، ولأنّها تشرّبت العادات والتقاليد وتعلمت أن اسم ليلى لا يزال بعضه "عورة"، فأنشأت حسابًا باسم "حورية بحر". فالحوريات يسبحن بحرية، دون قلق. في قلب البحور الزرقاء وقد عشقن جموحه وأسراره.

"محمد الشيخ"، كتبت اسم خطيبها في خانة البحث، لكنّها لم تكن لترسل له طلب صداقة مطلقًا، فإن عرف أنها أصبحت مستخدمة فيس بوك، لرمى عليها يمين الهجر قبل أن تصبح ملكه. كانت تريد أن ترى نشاطه خلف الشاشات فقط، من بعيد. كما تحبه. من بعيد. فالأشياء دومًا من بعيد أجمل. لكنّها لم تجده، ولأنّ حسابها كان خاويًا. راحت تتصفح صفحات الفيس بوك بضجر، وتُبدي إعجابها هنا وهناك. وإذا بمحمد يتصل.

ارتعد قلبها من هول المفاجأة، فهو نادرا ما يتصل. وشعرت بحنين إلى صوته:

- "الو"

- "أيوه. . خليكى معايا ثانية"

- "حاضر"

وبقيت صامتة على الهاتف تتنفس بحذر وشوق على مقربة من أنفاسه القاسية.

- "حورية بحر...".

لفظها كأمين شرطة، في حين فقدت ليلى قدرتها على الكلام، وظلّت صامتة في انتظار بطشه، وإنّ بطشه لشديد. استكمل حديثه قائلاً، وهو يسألها ويجيب عن سؤاله في نفس الوقت:

- "استأذنتيني إنك تعملي أكاونت على الفيس بوك؟ لأ..
اتكلمتي أصلاً معايا في الموضوع ده قبل كده؟ لأ..".

.....-

- "طبعًا حضرتك عملتي الأكاونت برقم موبايلك فظهرلي، وبالصدفة عرفت إنك عملتيه من..".

ثم صمت قليلاً وقال:

- "ساعة إلا ربع.. وسبتك تعملي اللي تعمله لأني دخلت على الأكاونت بسهولة لما توقععت إنك عملتي كلمة السر عيد ميلادي..".

.....-

- "حورية بحر، والصورة الشخصية بنت بتبص للسما.. بداية مبشرة فعلاً. الأكاونت يتقفل حالاً وإلا هتشوفي اللي عمرك ما شفتيه. على آخر الزمن الاقيكي ع الفيس. انتي تخليكي في بيتك وشغلك في المدرسة وبس"

- "حاضر.. حاضر.. أنا آسفة"

- "أسفك مرفوض، عملتيه ليه؟"

.....-

- "ردي"

- "أصلي كنت قاعدة وملائنة، وقلت أشوف الدنيا فيها إيه."

- "تشوفي الدنيا فيها إيه؟؟ جميل. إنتي شكلك مش هتعمري معايا"

- "لا. لا والنبي يا ابن عمي. توبة، والله ما هتحصل تاني، ولا هعمل أي حاجة من وراك تاني"

- "اللي يعمل حاجة من ورايا مرة، يعملها مية مرة"

- "أنا آسفة، كنت مضغوظة. أبويا طلح متجوز على أمي ومراته الثانية خلفت"

- "إيه ده هي انتصار لحقت؟"

- "انتصار؟؟ هو أنت كنت عارف يا ابن عمي؟"

- "طبعا. مش أبوكي حمايا؟"

- "ومقولتليش؟"

- "بنت انتي. اتعدلي معايا. أقولك بأمانة إيه؟ إيه شغل النسوان ده؟ أنا بتصل عشان أقولك إنك تراقبي تصرفاتك ومتستهيليش. ورقك كله مكشوف قدامي"

صمتت قليلاً ثم قالت بانكسار:

- "حاضر يا ابن عمي"

- "انتو جايبين إمتي؟"

- "قريب إن شاء الله"

- "طيب.. سلام"

وأنهى المكالمة..

هي الآن قاب قوسين أو أدنى من أن تكره جنس الرجال،
ولكن..

كيف تكره محمداً؟؟ وقد شغفها حباً؟

* * * * *

٢٨

- "أنا تحت.."

- "تحت فين؟"

كان ذلك أمجد يجيب الشّقاوي الذي قال له بحدة:

- "هيكون فين يعني.. ؟ تحت عمارتكو على أول الحارة. انزل"

- "مين مات؟"

- "يا ساتر يارب.. ليه بتقول كده؟"

- "أصلك جيتلي مرتين قبل كده، مرّة لما ستي ماتت، ومرّة

لما رحنا نعزي في الشيخ عامر أبو الملحد وجيتلي أنت والواد
عبدالله عشان نروحلو"

- "محدث مات. . انزلي وانجز يا أمجد. . عايزك في مشوار.
أميرة وعبدالله معايا"

- "معاك فين عدم اللامؤاخذة. ."

- "في العربية يا باي ع الغباء"

أربع ثواني مضت، لينتفض أمجد عن مقعده، ويهرول سريعاً
إلى الأسفل وشيطانه قد أتقن رسم مخططاته في عقله وروحه.
فماذا تفعل أميرة برفقة الكازانوف. يثق بشيطانه نعم، ولكنه لا
يثق بشيطان الشرقاوي المبجل. ونسى لشد ما هو قلق وجود
عبدالله كمحرم بينهما.

كان يركض في الحارة كالمجانين، وهو يرتدي ثوباً رياضياً و
"ششب". إلى أن وصل إلى السيارة وهو يلهث، في حين خرج
الأنيق أحمد من السيارة وقال باسمًا:

- "اركب ورا جنب أميرة"

نظر أمجد صوب مقاعد السيارة فوجد بالفعل أميرة تجلس
في الخلف وعبدالله يجلس قرب الشرقاوي. أخذ نفساً عميقاً وراح
يجلس قرب الأميرة، قال لها:

- "كنت هفجرك. ."

فأجابت تهمس:

- "استحالة كنت اركب معاه لوحدي. . وبعدين الشرقاوي

محترم"

- "هو بس عايزنا نتقابل في مكان خاص عشان يكلمنا في موضوع مهم"

- "طب ومالها الأماكن العامة؟ بقولك إيه يا شرقاوي وربنا ما مستريحلك"

فأجابه الشرقاوي قائلاً:

- "اصبر على رزقك"

وراح يستكمل القيادة باسمًا، وهو يخرج علبة سجائر ويعطيها
لأمجد الذي أخذها بسرور وقال:

- "أجنبي ده؟"

فضحك الشرقاوي وقال:

- "أجنبي ده.."

وإذا بأميرة توجه حديثها لعبدالله قائلةً:

- "سامحنا يا سيدنا الشيخ"

فأدار عبدالله وجهه لها باسمًا ثم قال:

- "إنتو ليه فاكرني متشدد قوي كده؟ أنا شيخ كول والله وإلا

مكنتش صاحبت الشرقاوي ويزن وأمجد.."

فأجابته مستنكرة:

- "ماله أمجد؟ بتاع بنات؟ بزمتكو عملتوا إيه في شرم؟"

فأدار عبدالله وجهه لأمجد مجددًا وقال بمكر:

- "أقول؟"

وفي لحظة اشتعلت أميرة غضبًا وقامت بلكم أمجد على كتفه
قائلة :

" والمصحف أنا ما كنت مرتاحة لخروجة شرم دي، انطق
عملت إيه؟"

" والمصحف ما عملت حاجة. . ما توحّد الله يا عبدالله،
وعدي الليلة دي على خير"

فأجابه عبدالله بضحكة ماكرة، وقال أحمد وهو ينظر لأميرة
وأمجد من خلال المرآة:

" انتو لازقين في بعض كده ليه؟ العربية دي طاهرة وهتفضل
طول عمرها طاهرة"
أجابه أمجد قائلاً:

" لا كده كثير. . انتو جاين تتسلّوا على دماغ أمي النهاردة،
والمصحف مش مستريحلكو. ."

لكن الشّرقاوي لم يجب. . وقام بتشغيل nostalgia ليائي. .
ضاحكًا.

وأخيرًا، وصل الأصدقاء إلى المكان المنشود. وترجل جميعهم من
السّيارة، في حين ترأسهم الشّرقاوي الذي ألقى السلام على حارس
المبنى. أما أمجد فكانت الحيرة تأكل خلايا دماغه، حين اقترب
من الحارس، فما الذي سيظنه الحارس عنهما هو وأميرة.؟ وما
إنّ اقترب من الحارس حتّى قال وهو يشير لأميرة:

" خطيبتي وربنا"

فأجابه الحارس باسمًا:

- "تنورونا يا بيه"

واستقل الأصدقاء المصعد الكهربائي، إلى أن وصلوا للطابق الخامس.

وكانت شقة أنيقة مفرطة الترتيب، غرفة معيشة كبيرة، وألوان عاجية، وأخرى بنكهة الشوكولا. وأرضية تلمع إشراقًا. أما الأثاث، فكان حلمًا آخر.

كانت الأماني تتراقص على أنغام حسرة بداخل أميرة، أما أمجد، فشعر كم أن رجولته ضئيلة، كم أنه عاجز، كم أن أحلامه جميعها مبتورة الأمل.

وجلس قريبا مطأطئ الحلم، وقال:

- "الشقة فخيمة آخر حاجة."

فأجاب الشرقاوي وهو يخرج لهم مشروبات غازية من البراد:

- "ذوقي.. إيه رأيكو؟"

فأجابت أميرة:

- "تحفة يخرب عقلك"

أما عبدالله فقال:

- "ربنا يزيدك يا شرقاوي"

فقال أمجد:

- "أهو الحقد اشتغل"

فألقي عبدالله وسادة الأريكة على أمجد الذي تلقفها ضاحكًا.

انضم إليهم الشَّرقاوي وقال:

- "منورين. ."

- "ده نور الشَّقة بصراحة. ."

أجابه أمجد، فقال الشَّرقاوي:

- "طيب هخش في الموضوع على طول"

لم يجبه أحد، كانت أعينهم تتوق إلى الحقيقة. فقال باسمًا:

- "مبدئيًا كده. . أنا بحب. . ومحتاج مساعدتكم في إني أتقدم

للبنيت اللي بحبها"

فرفع ثلاثهم حاجبًا، وقالت أميرة ضاحكة:

- "معايًا ربع جنيه في البنك وميجو خمسة وسبعين قرش

وموبايلين سامسونج اتنين شريحة، وعبود معاه مصاحف وسبحة.

. أوامر. ."

فقال أمجد:

- "تتجوز؟ يا بني أنا أصدق إن فرعون اتقلب موسى ولا

أصدق إنك تتجوز بجد. ."

أما عبدالله فقال:

- "استنوا بس يا جماعة. . الموضوع شكله بجد. ."

فقال الشَّرقاوي:

- "أنا مش هعرف أعمل حاجة من غيركم، ولا ليًا حد

استشيروا غيركم. ."

أجاب أمجد:

"لو الخبر ده بجد.. أنك بتحب بجد وناوي تتجوز.. ههدبح
أرنب وأفرقوا في الحارة.."

"بس يا ابني.. خلينا نسمعه.."

كان ذلك عبدالله ينهره..

تنهد الشُّرقاوي، كان يسحب ما يكفيه من الهواء ليسرد حيرته:

"أنا عارف إنكم فاكرين إني شخص سيء.. وفاكرين ليه؟ أنا
فعلاً شخص سيء وعملت كل حاجة غلط في الدنيا، بس بتغير،
وبتغير علشانها للأفضل. البنت دي قدرت تغيرني بطريقة سحرية.
أنا بحبها بجنون.. وناوي اتجوزها.. أنا تبت على إيديها، زي
ما حبيت على إيديها"

اعتنق الجميع الصمت، في انتظار اعترافاته:

"طبعا أنا من السهل أتجوز أي بنت أنا عايزاها.. وده طبعا
في دماغكوا.. لأني غني وبتاع، بس صدقوني المرادي الموضوع مش
سهل ولو بفلوس الدنيا كلها. عشان كده أنا جمعتكو النهارده"
- "إيه الصعب طيب..؟"

سألته أميرة..

فأجابها:

"أخوها مستحيل يوافق عليا.. أنا عارف ده من قبل ما
اعترفله.."

فقال عبدالله:

- "يا ابني اتوكل على الله، ومتبقاش رهينة الممكن. "

وقال أمجد:

- "أنا رأيي من رأي عبدالله. هو يزن ليه مش معنا صحيح؟
الواد تفكيره جن وهيساعدك جدًّا في الموضوع ده"

فوافقه عبدالله وأميرة قوله، فقال الشُّرقاوي:

- "أنتو أغيبا فعلاً. مع احترامي. اشربوا. اشربوا الحاجة
الساقعة"

قال أمجد:

- "أحييييييييييييييييييه. "

فقال الشُّرقاوي:

- "Big "أحيه"

- "أنت بتتكلم بجد؟"

- "وعمري ما كنت جد زي النهاردة. "

فقالت أميرة:

- "أنا مش فاهمة حاجة"

وقال عبدالله:

- "ولا أنا. "

فنهض الشُّرقاوي عن مقعده، وقال:

- "أنا ناوي اتجوز يسرا عامر. أخت يزن عامر. "

وساد صمت المفاجئات. .

ثم بعدها قال أمجد:

- "والله مش عارف يا أحمد، يزن حبيبك وكل حاجة، بس تفتكر هيوافق إنك تتجوز أخته؟"

أجاب عبدالله:

- "مظننش.. صاحب حاجة، وإنه يوافق إنه يتجوز أخته حاجة تانية خالص."

قالت أميرة:

- "ليه إن شاء الله..؟ وماله الشَّرقاوي..؟"

التفت إليها الأخير باسمًا:

- "قلبك أبيض يا أميرة.. يا أميرة أنا كنت بروح عند الغلط وأقوله شببك لبيك كياني بين إيديك. ويزن عارف كل حاجة عني. أكيد مش هيرضى لأخته بحد قذر زيي.."

فقال عبدالله:

- "يا أخي عفا الله عما سلف، وبعدين مش هو عاملي فيها مُلحد ومُتحرر وبتاع، هيكون فيها إيه لو يسرا ارتببت بواحد زيك..؟"

كان تصریحًا قاسيًا جدًّا. فأدرك عبدالله قسوته، وقال سريعًا:

- "مش قصدي والله.. أنا آسف.."

قال الشَّرقاوي منكسرًا:

- "مفيش داعي للأسف والله.. عندك حق.. بس يا ترى هيعفو يزن عمًا سلف معايا؟ ويديني فرصة تانية؟؟"

قالت أميرة:

- "أيوة. . . وبعدين باين من كلامك إنك فعلاً بتحبها بجد. .
فحارب علشانها يا أحمد، ومتفطش فيها. . يسرا بنت جدعة
وتتحب الصراحة. . وأنتو الإثنين لايقين على بعض"
عاد الشرقاوي يجلس بينهم وعقله يسافر في الدقيقة ألف
سنة. قال:

- "مش عارف الصراحة، أنا تعبت. ومحدث هيساعدني زيكو."
فقال أمجد:

- "نساعدك ونقف جمبك ونظبطك آخر حاجة، انت بس
قول يارب. . ."

أجاب الشرقاوي وقد تسللت أطياف أمل لصوته:
- "يارب. . ."

ثم نهض مجدداً بنشاط عن مقعده، وقال:
- "عجبتكو الشقة؟"

قال أمجد:

- "ما قلنا تحفة. . هو إحنا اللي هنعيده نزيده؟"
- "دي هدية جوازكوا. . اعتبروها مني ومن يسرا. ."
فضحكت أميرة وأمجد في نفس واحد، أمجد الذي قال:
- "لا حلوة النكتة دي. ."

ثم وجه حديثه للشرقاوي وقال:

- "الكلام ده حقيقي ولا بجد؟"

- "حقيقي وبجد"

أجابه الشرقاوي ضاحكًا، ثم قال:

- "أنا عايز ربنا يكرمني. . ربنا يوفقوا يارب. . ويكرمكوا بالذرية الصالحة"

فقال عبدالله ضاحكًا:

- "أنت قلبت شيخ ولا إيه يا مشخية. . ؟ بس بصراحة. . ربنا يجزيك كل خير يا أحمد. . بجد أنت أذهلتني. ."

أما أميرة، فراحت تبكي فرحًا، وتشكر الله، أما أمجد، فنهض عن مقعده نحو أحمد، وابتسم له ممتنًا وقام بحضنه فرحًا وهمس في أذنه:

- "ربنا يسترك زي ما سترتني أنا وأميرة. . ربنا يكرم أصلك يا أحمد. ."

فأجابه أحمد قائلاً:

- "آمين. . تستاهلوا كل خير. ."

ومن الحب ما يجعلنا قديسين، ومن الحب ما أحيا. .



- "إيه يا نجمة مين اللي مزعلك بس؟"

كان ذلك محيي يخاطب فرح وهو يضع لها مستحضرات التجميل المناسبة لحلقة اليوم.

- "مفيش . القهوة بتاعتي فين؟"

- "دقايق وتكون عندك يا جميل . في إيه بس مالك؟"

- "ما قلنا مفيش حاجة يا محيي . هتزعلني بالعافية . مش زعلانة يا سيدي مش زعلانة!!"

والحق أنها كانت تشتعل من حيرة اسمها يزن، إذ لم يتصل بها مُنذُ أن أرسل لها اللوحة، وحتَّى لم يكلف نفسه عناء إرسال رسالة واحدة، يسأل عنها أو يهاودها فيها. ولكنّه لو اتصل بها فعليًا لكانت أَلقت عليه يمين الغضب والسخط، وأخرجته من عصمة رضاها.

وأما تلك اللوحة الكارثية، فظَلَّت مدفونة أسفل الخزانة تنتظر أن تشهد شمسًا وقمرًا، ولكن الظلمة كانت مأواها.

شعرتها تطاولًا على أنوثتها وكبريائها. ولكن غضبها كان جائعًا إليه، ذلك اليزن، من تجاوز الحدود بآلاف الأميال، وتركها مُعلّقة . بين غضب وحيرة، بين غضب وآلافٍ من الأسئلة التي لم تجد لها إجابات شافية، وهي بدورها تكره أنصاف الأشياء، والحقائق.

انضم إليهما كريم باسمًا، وقد وضع قبلتيه على خديها
القمريين وقال في حين انصراف محيي:

- "عامل إيه يا جميل..؟"

فأجابته باستنكار:

- "هو أنا عشان سمحتلك مرة ولا اتنين إنك تسلم عليًا
بالشكل ده، فخلاص كل مرة لازم تعمل كده؟"

- "في إيه يا موز؟ بطلي رجعية بقى. . وفيها إيه مَّا أعمل
كده؟ بعاملك زي ما الفرنسيين بيعاملوا بعض. . أشيك أنواع
السلام، بوس الخدين ع السريع"

فأجابته بتعال:

Et qu'est ce que vous connaissez de la France et leur

- "mode de vie?"

فأجابها بعد لحظة صمت أدرك على أثرها كم جاهل هو:

- "هااااااه؟!!"

- "بقولك وأنت تعرف إيه عن فرنسا والعيشة فيها؟"

- "هو أنتي نسيتي سفريتنا آخر مرة مع بعض ولا إيه؟"

نعم سافرا معًا ذات شتاء، وهرب هو إلى أحضانهن الفرنسية،
وفرت هي لذاك المقهى أسفل برج إيفل. . لتتعم بالسلام
الباريسي على نخب الشوكولا الدافئة.

- "لا منستش. . بأمارة إنك سبتني ورحت لبيوت الإحم إحم ."

- "عم مؤمن.."

ثم صمتت قليلاً وكأنها تفكر بكذبة ما، فقالت:

- "عم مؤمن تعبان ومجاش النهاردة.."

- "إيه ده بجد؟! غريبة.. أصلو لما بيتعب بيتصل بيَّا يبلغني

إنه مش جاي.. السكر علي عليه بردو؟"

- "إيه..؟! آه.. آه علي عليه.."

أخذت القهوة منها، وسرقت رشفة.. وسرعان ما بصقتها

مجددًا في الكوب:

- "يع بجد.. قهوة دي ولا إيه بالضبط، خليههم يجيبولي كركديه

ولا ده صعب كمان؟"

- "البث كمان عشر دقائق.."

- "أصبحنا وأصبح الملك لله.. اليوم باين من أوله"

توجهت فرح إلى غرفة البث.. لتجد ما لم تتوقعه. تغيرت

الغرفة كليًا، أصبح المكان بنكهة حلم على شاطئ كاربيبي، وكأن

جنّية قد حولت المكان بلمسة من عصاها السحرية، أو أنه جنّي

قام بذلك قبل أن يرتد إليها طرفها.

وجدت كريم هناك جالسًا على أريكة لا تقل سحرًا عن

المكان، وعلى وجهه ابتسامة ظفر:

- "إيه رأيك؟؟ مفاجأة مش كده؟ مكنتيش متوقعة إن ده

يحصل بالسرعة دي"

كان يتحدث وكأنه ينسب العمل إلى نفسه.

- "تحفة.."

أجابته مذهولة، ثم قالت:

- "هو فين؟؟"

- "هو مين ده؟!"

- "يزن؟"

حينها امتقع وجهه، وتلوّن وشعر إنه مهدد من ذلك الذي أصبح ساذجًا بنظره، قال مستنكرًا:

- "وأنا إيش عرفني؟ هو إيه اللي هيجيبو هنا أساسًا؟ عمل شغله وخذ فلوسه وانتهى.. هيجي هنا يعمل إيه؟"

أجابته بمكر:

- "مش ده صديقك الصدوق برضو؟ دلوقتي بقى وحش طالما مش في أمر يخص الإلحاد.."

وراحت تضحك، وكانت تلك ضحكتها الصباحية الأولى، فأدركت كم هو جميل ذكره.

راحت تتجول بعينها في أرجاء المكان، اختار الألوان بعناية، والتصاميم احترف تنفيذها. كل ما في الجدران والأسقف والأرضية والأثاث كان مُعدًّا إعدادًا كاملاً لإبراز وجودها. فرح.. كان ثمة ما في المكان.. يدعوها للفرح بفرح..

شعرت أنّ لها رئةً ثالثة استبدالها المكان برئيتها الخاويتين من الحياة، كما الحب.

جلست على الأريكة المخصصة لها وشعرت بنشاط غير مسبوق، وضيقة الحلقة تأتي لتجلس أمامها، كانت مُراهقة في الرابعة عشرة تستطيع القيام بأي عملية حسابية كانت وخلال لحظات ودون استخدام الآلة الحاسبة، وكانت تعاني من التوحّد ولديها من الأحلام ما يكفي لسد جوع قارة.

كانت تحادثها فرح بشغف، ولم تلتزم بالأسئلة الموجودة في الورقة التي أعطاها إيها كريم، ممّا أغاظه. وجدت نفسها تسير على صراط مستقيم آخر، اسمه الإبداع. راحت تتفنن في إدارة الحوار وإمداد الضيفة بالجو المناسب للحديث براحة وانسيابية. إلى أن لحظته. . يتسلل خلف الكاميرا، والحقُّ أن العتمة تكون هي السائدة خلف الكاميرا، ولكنه عطره. . ساومها عطره، وطالب بحق إطاحتها. . فوقفت عاجزة، والقلب يُبعث من جديد.

للحظات اختلّ اتزانها، واضطربت أطرافها، لكنّها استعادت عافية تركيزها وعادت للحوار بشراسة، وكأنّها تثبت له أنه غير مهم. . وأنها جد ناجحة في عملها. وانتتهت الحلقة. .

ونهدت فوراً تبحث عنه، وتسال عطره. . عنه. .

كانت الرائحة نفاذة وراحت تستنشقها وكأنّه الطعام وقت السّحر، وكأنّها تملأ أنفاسها به، حتّى تستطيع الصمود حين تصوم عنها، ويختفي أريجها.

ظلت تبحث عنه. . ولكن بلا جدوى، اختفى، مرّ بها كالنّسيم، ولم يترك لها مجالاً ليهداً فضولها. .

قام بقلب الموازين، وكان كشهريار الذي جعل شهرزاده تشقى، جعلها ظمانة إليه، ولم يروها كل الري. . والأمكر، استغنى عن حكاياها.

توجهت إلى غرفتها غاضبة، أرادت أن تشعل الكثير من السجائر ضريبة لما حدث. جلست أمام مرآتها وهي تشعل واحدة. ووجدت ورقة مطوية على وردة حمراء جافة. . :

- "وحشتيني. ."

لم تفهم ماذا حدث، أمسكت الورقة وضعتها على مقربة من أنفاسها ليصيبها إثم عطره، فأيقنت أن في عطره نشوة وانتشاء ستلعن بهما دوماً وأبداً. .

أمسكت الوردة الجافة، وراحت تنظر لوريقاتها الحمراء الخريفية، لم يربه قد يهديها وردة جافة لا روح فيها سوى الوجع؟

لِمَ لم يهدا إياها والحياة تنبض فيها؟

ولكن بالرغم من خلو الحياة فيها، إلا أنها بدت جميلة، ثمّة أمر ساحر بين وريقاتها. هو يريد أن يرسل لها رسالة من خلالها. لكنّها لم تستطع أن تصل لأمرٍ معلوم. .

فألقي بها في يم من الحيرة مجدداً.

أمسكت الورقة والوردة بامتنان، ووضعتها داخل مفكرة أخرجتها من حقيبتها. . ثم أعادتها إليها مجدداً، وسرعان ما ارتسمت بسمّة حب على شفيتها. . بسمّة حب بطعم الكرز وحمض الليمون.

أمسكت هاتفها، واتصلت به:

- "هشوفك إمتى؟"

- "مش إنتي لسة شايفاني؟ ونفذتلك اللي انتي عايزاه؟"

- "إيه اللي أنا عايزاه إن شاء الله..؟"

- "مش إنتي في آخر مرة اتكلمنا فيها، لما سألتك هشوفك إمتى.. قلتيلي في الأستوديو؟ حصل ولا محصلش إني شفتك في الأستوديو؟"

- "نعم؟؟"

- "ردي ع السؤال.."

- "حصل.."

- "بس كده خلاص.."

وإذا بها.. تضحك والحب عاليًا..

* * * * *

٣٠

((شيء ما خلف عتمة الفرح يناديني.. شيء ما))

كتبتها على ساحة الفيس بوك، لتصلها أول "لايك" من الشرقاوي، تليها رسالة سريعة على الخاص:

- "أنا!!!"

كيف استطاعت يسرا أن تُحيي بداخله ذلك الطفل البريء!
يُقال أن الحب يجعلنا أطفالاً في حديقته الكبيرة، وإذا بالأمني
كلها تصبح حلوى، ودُمي، وعرائس محبوكةً بالشوق، على مَراسي
الهوى.

فأي مرسى هو مرساها. . تلك الجميلة؟

أسندت ظهرها على السرير، وقد فرَّ النوم فور ظهور حبيبها،
وتبسَّمت، وتدلَّلت وراحت تشاكسه:

"صاحي يعني؟! حرام عليك السهر ده. . شغلك يا حبيبي"

"كل مرّة بتقوليلي يا حبيبي. . بتنفض في مكاني. . عملتي فيا
إيه؟" -

- "حبيتك"

مرّت لحظات، وإذا به يتصل بها، نظرت مذعورة للساعة إذ
أنها لا تفضل مهاتفته لها متأخراً، لكن الشوق غلبها فأجابت:

- "يا مجنون"

"مجنون بيكي يا يسرا. . أنا صليت النهاردة، ودعيت وأنا
ساجد، إن ربنا يكرمني بيكي" -

- "ربنا يجمعنا مع بعض على خير، ما تتخيلش سعادتي لما
بتقولي إنك صليت. . عقبال ما أشوف أخويا بيسجد من تاني
أصله سايب الصلاة ليه فترة. ."

- "ربنا يهديه"

تنهدت قائلة:

- " يارب "

وإذا بالباب يفتح على مصراعيه، فانتفضت يسرا، لتجد أمها أمامها تستعد على ما يبدو لصلاة الفجر.

- " وبعدين؟! "

قالتها أمها بضجر. . وأردفت قائلة:

- " أحمد برضو؟ "

فابتسمت يسرا بخجل وأومأت برأسها أن نعم. .

فاقتربت منها وأخذت منها الهاتف ووضعتة على أذنيها:

- " يا ابني أبوس إيدك اتكلموا آه بس مش متأخر كده. أخوها لو قفشها هيطينها علينا كلنا. اهدوا بس اليومين دول لحد ما نلاقي طريقة نفاتحوا بيها بالموضوع "

فأجاب الشُّرقاوي:

- " حماتي "

وإذا بأم يسرا تضحك عاليًا وتقول:

- " خلاص بقيت حماتك، ياد اختشي!! "

- " اختشيت "

ثم صمتَ قليلاً وقال:

- " يا حماتي "

كانت يسرا تنظر لأمها باسمه، وقد شعرت برضى على وجهها، وقد آثرت الصغيرة أن تُخبر أمها بكل شيء أولاً بأول، فلقد ربتها

أمها على ألا تكون خائنة، وأن تكون للعهد حافظة، وللوعد مُراعيةً.

واكتفت بأن تختبئ خلف ستار الوقت والحب قليلاً، إلى أن يأذن شفيح الحب. . للأقدار أن تتحقق، فيعانق حبهما الشمس والقمر.

تمت الأم ليلة هندية لهما، وصلت الفجر هي وإياها ونامت وهي تدري أن يسرا هي ابنة رجال بحق.

وقبل أن تتوجه يسرا لغرفتها لتنام هي الأخرى، وجدت نور غرفة أخيها قيد الإضاءة. . طرقت الباب. . فلم يجبه أحد، ثم بعينها راحت تنظر إليه من فتحة الباب الصغيرة لتجده مستيقظاً، لكنه لم يسمعها فقامت بفتح الباب حين تنبه لوجودها:

- "سهران يعني؟"

فأجابها باسمًا:

- "تعالِي"

فجلست على مقربة منه وقالت:

- "كنت بصلي الفجر"

رفع ناظره إليها:

- "آه. . طيب!"

"وأنت؟! مش هتقوم تصلي انت كمان؟"

- "عاملة إيه في مذاكرتك؟"

صمت للحظات، ثم أجابت بحرج:

- "بخير الحمد لله"

حين لفظت "الحمد لله"، كان هنالك تشديداً على حروف الكلمة، وكأنها تؤكد له أن الحمد والأمر كله لله. لكنه لم يعر ذلك اهتماماً.

وإذا بها تقول فجأة:

- "أنا لو أُلحِدت. . هتزعل"

استطاعت بسؤالها أن تأخذه من نفسه، لكنه بدا وكأنه لم يهتز له طرف وكأنه لا يآبه ولا يكثرث قال:

- "الموضوع مش بالسهولة دي. . بس إنتي عارفة إني مش بعارض الحريات، اللي إنتي شايفاه صح أعمليه. . أنا وصلت للي أنا وصلته بعد دراسات وتعمق كبير قوي في الحياة، وبكره أي عيل من عيال اليومين دول يجي ويقولك إنه مُلحد، وهو أصلاً مش فاهم حاجة أساساً. .

- "وأنت إيه اللي فاهمه؟ أنت أخويا حبيبي. . وعيازك تنورني. أنا عايضة أُلحد"

كانت تنظر إليه بتحدٍ يشوبه الخوف، لكنّها كانت عنيدة جداً، وتلك صفة مشتركة بينهما. كان قلبها الصغير الأنيق يرتجف بين ضلوعها، وهي تتفوه بالجنون المُطلق، جنون مسّه الخوف كذلك. قالت:

- "إيه رأيك في الجنس قبل الجواز؟"

كان يزن ينظر إليها بذات الثبات المسبق، لكن القلق رُبما، راح يحوم حوله. . ربما. قال:

- "شيء جميل.. بس لو كان حب من أجل الحب.. يعني أنا مثلا، ضد الدعارة، شايف إن فيها إهانة لجنس المرأة، أنا مع تكريم المرأة قلبًا وقالبًا ومش شايف....."

فقاطعته يسرا قائلة:

- "يعني ترضالي لو حبيت.. أنام مع حبيبي من دون جواز باسم الحب من أجل الحب؟؟"

وإذا بحرب صامته تدور بين عينيها، والطلقات بصر ثاقب، وبصيرة مُتزعزعة

قال:

- "معنديش مانع، بس ده ضد اللي اتريتي عليه، إحنا لسة في مجتمع شرقي متخلف، موصلناش للرقى المطلوب اللي يكفل جميع الحريات، الحُر حُر، ما لم يضر، زي ما بيقولوا"
أجابت بتحدُّ:

- "يعني أنزل ناو من بيتنا وأختار أي حد من الشارع أنام معاه كده عادي وأنت معندكش مانع؟"

- "إنتي قلتي لو حبيتي هتعملي كده.. إنما اللي بتقولي عليه ده ناو.. اسمه دعارة زي ما قتلتك.. وأنا ضدها تمامًا."

- "طيب يا سيدي يعني لما أحب أنام معاه قبل الجواز عادي؟"

وإذا بطيف أحمد يمر بفؤادها فأصابها الدَّمع، وراحت تبكي وقد خافت عصيان الله ولو لفظًا أو خيالًا.. وأردفت قائلةً:

- "أنت مين؟!"

تنهد مطوِّلاً، وقال باسمًا:

- "أنا يزن. . يزن عامر. . خُشِّي نامي يا يسرا. . واقفلي الباب وراكي"

- "رُدْ على سؤالي، عادي عندك!!"

فقال من حيث لا تحتسب:

- "آه. . عادي، بس لما أتأكد إنه يستحقك. . بس هنكون قدام معضلة ثانية: اللي اترييتي عليه، والمجتمع. . وماما. . محدش هيفهم لسه، إحنا محتاجين ألف سنة عشان ننهض"

خرجت يسرا تجر خبيتها، وقد شعرت بفشلها إذ لم تستطع استفزازه كما يجب. وخلدت إلى النوم باكية، فأواها مخدعها والوسادة.

في حين استلقى يزن على سريرهِ وهو يشعل سيجارة، لم يدع حديثه مع يسرا يشغل تفكيره، هو يدري أن أخته ليست ممتهورة، أو لها فكر أرعن. هي مراهقة كغيرها من المراهقات العنيدات اللاتي يحاولن احتواء الأخ الأكبر بقلب هو أكبر منه نبْضًا وشأنًا. لم يعترف بذلك تلك الليلة، بل كفر به"

وراح يتقلب على السرير يمنةً ويسرى، وقد أنهى السيجارة، ثم ينظر للسقف. . ثم إلى تفاصيل الغرفة. . ثم إلى اللاشيء. .

فأخرج هاتفه يتحقق من برنامج الواتس آب. .

كان آخر ظهور لفرح مُنذُ ساعتين على البرنامج، فأدرك أنّها نائمة، ثم قام بالدخول على صورتها الشخصية الجديدة، تأملها قليلاً وابتسم، ثم قام بحفظها في هاتفه.

لا يزال يذكر حرصها في رسالتها الأخيرة على ألا يقوم بالحديث عن اللوحة التي رسمها لها مطلقاً، لأنها قامت بحرقها، أو هكذا تقول. لكنه على يقين بأنّها لم تحرقها ولن تحرقها.

أغلق عينيه، وراح يستحضر روحها وقلبها وجسدها. . . ولحظات وسمع صوت عويل من الخارج صادر عن أمه، نهض فزعاً إليها وقد اعتراه الخوف والقلق، توجه إلى الصالون سريعاً. ليجد أمه تمسك بشعر يسرا وتجرّه إلى الأسفل وهي تحاول أن تستر عريها.

وجد باب الشّقة مفتوحاً وأمّه تصرخ قائلة:

- "عملتيها يا فاجرة؟ مين الكلب الي جرى ده؟ جبتي راسي وشرفي وشرف أخوكي وأبوكي في الطين. . عملتي كده ليه؟ عملتي كده ليه؟"

لم يكن ليسرا أي رد فعل، إلا حينما لحظت أباها يقف ذاهلاً لا يقدر على الكلام، فقالت:

- "الي جري من شوية ده، أهو واقف قدامك. . اسأليه"

وإذا بيزن يجد نفسه عارياً تماماً مثلها، ولا يقدر أن يوارى سوءةً، وإذا بفمه مُغلق بإحكام بخيوط متينة فلم يقدر على الكلام والصراخ.

ويسرا . راحت تضحك عاليًا، وتنظر لسوءته، في حين تجمّدت
الأم مكانها وكأنّه توقف بها الزمن، وظلت واقفة بينهما . بلا
حرك، تحديق بالسراب ولا تحديق بسواه.

انتفض يزن، وظلّت عيناه تدوران في أرجاء الغرفة وكأنّه
مسكونٌ بجني خبيث، إلى أن اطمأنت نفسه، إنه مجرد . . كابوس
آخر . .



٣١

جلست قُرب نافذة القطار وقربها أختها الصغرى شمس.
وأمامها جلست والدتها بعد أن صفت الحقائب في الخانة
المخصصة لها أعلى المقاعد. ثم وضعت حقيبة أسفلها، بها أرغفة
القول والطعمية والبيض، وبعض المخللات، والعصائر الطازجة لكي
يتناولوا الإفطار سوية.

اعتنقت الأم الصمت حين علمت بزواج زوجها، وقد أخرسها
"الولد" الذي أنجبته الأخرى، حتّى آمنت أنها أنجبت إثمين، ليلي
وشمس.

أخرجت ليلي هاتفها وقد صاح القطار: أن رحيل. وأرسلت
لمحمد رسالة نصية تخبره فيها أنّ القطار قد تحرك وأنهم في
طريقهم إليه.

ثم أعادت الهاتف إلى حقيبتها وقد نظرت إلى علبة الهدية التي جلبتها له بداخلها، وتبسم قلبها شوقاً. وأغلقت الحقيبة. ثم نظرت لأمها التي بدأ شرودها مع النافذة. ونهضت لتجلس إلى جوارها:

- "أمي.."

لكن أمها لم تجب. . فمع الشرود يبدأ غيابنا، فيصبح الجسد خاوي الروح، أو هو روح بلا جسد، معادلة واحدة العقل خارجها.

- "أمي.."

كررتها مجدداً حين التفتت إليها الأم أخيراً. فقالت:

- "عايزة إيه؟"

- "هو انتي غضبانة من أبويا؟"

- "إيه الكلام الأهبل ده؟ ليه بتقولي كده؟"

فقالت ليلى:

- "معاد سفرنا مكنش النهاردة، كان كمان أسبوع. وإنتي خلتيه النهاردة"

- "طب وفيها إيه؟ قدّمت السفر عادي"

- "يامّه إنتي عرفتني خبر جوازه من هنا وقدّمتي السفر من هنا. قلبك مطاوعكيش إنك تروحي لبيت أهلك؟ وتغضبي صح؟"

- "أغضب إيه ياللي مبتختشيش؟ روعي اقعدني مكانك أحسن لك دلوقتي"

ليلى تفهم الكلام على شفاه أمها دون أن تنبس به، لديها
مقدرة على قراءة الوجد والخوف، ولكنها تُفَضِّل أن تتراجع حين
يتطلب الموقف حنانها، فأما دومًا ما تصدها. وعادت لمقعدها،
حين أرسل لها محمد:

- " طَيِّب "

" طَيِّب " لا تأتي عن طيب خاطر، جافة، قاسية، لا تُسمن ولا
تُغني من حُب. لكن ليلي راضية وصابرة واكتفت بها وقلبها
يتأرجح فرحًا.

هو بلا شك يوم عيد لها، يوم لقياء، حبيبها الذي تلقاه كل
ثلاثة أو أربع أشهر، أحيانًا تسافر له وعائلتها، وأحيانًا يفعل هو
وعائلته ويسافرون لهم.

ارتدت له فستانًا أزرق فضفاض، وأعلاه سُترة طويلة تستر من
جسدها ما تستر، وحجاب طويل يغطي ظهرها و" صدرها " كما
يحب. وتعطرت بالمسك، وتكحلت..

" البيضاء إذا تكحلت جاورت القمر

والسمراء إذا تكحلت أخفت وجوده

ومن لم يعشق السمراء..

ما زال عن جمال الدنيا لا يرى "

وها هي السمراء في طريقها إليه، محبوبها. .

فأسندت رأسها على نافذة القطار، وفرت إلى مخبأها الدفين،
ذلك الذي لا يدري عنه أحد، أو يدرون، لكنهم لن يتنبؤوا أبدًا

بما فيه، ظناً منهم أن سياجهم الشائكة حوله. فرّت إلى خيالها،
تحيك فيه الحكايا، حكايا لقائها القريب به.

سيراها، وسيبتسم بحزم، ويلحظ كم الأزرق جميل عليها وهو
يغطيها، وسيقول كذلك بحزم:

- "أهلاً يا ليلي.. اتفضلي.."

ثم سينظر إليها ويقول:

- "حلو اللي لابساه، منطّق لون عنيكي العسلي، ومبين جمالك.
زي القمر يا ليلي"

لكنّها لم تشعر بالرضا وهي تتخيل ما سيقوله، فمحمد بطبعه
لا يقول عن الجميل جميل، فقامت بإعادة السيناريو قليلاً إلى
الوراء..

"كلاييت ثاني مرة"

فرّت إلى خيالها، تحيك فيه الحكايا، حكايا لقائها القريب به.

سيراها، وسيبتسم بحزم، ويلحظ كم الأزرق جميل عليها وهو
يغطيها، وسيقول كذلك بحزم:

- "أهلاً يا ليلي"

وسيمد يده يصافحه، فتعانق يداها يداها. وسيقول:

- "اتفضلي.. حلو اللي لابساه ده.."

هنا، تبسّمت ليلي وكأنّها شعرت برضى عمّا سوّلت إليها
أفكارها.

ستجلس أمامه في حين انشغال أمها وشمس مع أهل بيته. و
سيملاها خجل الصبايا والعاشقات.

- "عاملة إيه؟"

- "بخير يا ابن العم. . وأنت؟"

- "بخير. . نورتي القاهرة"

- "ده نوركوا والله. . أخبار شغلك إيه؟"

- "كله تمام ((حبيبي))"

لا. لا. تبدو كلمة "حبيبي" غير مُقنعة هنا، فمحمد لن
يتفوه بها مطلقًا. .

- "كله تمام يا ليلي. ."

نعم، هكذا تبدو أفضل.

فتقول له:

- "جبتلك هدية بسيطة كده. ."

- "بجد؟! طب وتعبتي نفسك ليه؟"

- "لا تعب ولا حاجة. ."

ثم باسمه تخرجها له من حقيبتها وتنهض عن مقعدها
وتمدها له، حين يمد يده لها هو الآخر فتتعانق أطراف الأنامل
كعالمين من الجليد والنار. .

سيأخذها منها بنصف ابتسامة، وسيقول:

- "تسلم إيدك يا لولو. ."

لولو!؟!

لا.. لا نظن..

- "تسلم إيدك يا ليلي.."

هكذا أعقل..

ستعود لمقعدها وهي تتمنى لو لديها عين سحرية تراه بها حين تُدير ظهرها للحظات عنه، أو أنّ لديها عُنق كعُنق البوم، تدور دوران ٣٦٠ درجة في ثانية.

جلست أخيراً وكانت عيناها تلحقان حركات جسمه ووجهه. قام بقطع الغلاف برقة وفتح العلبة لتعلو وجهه ابتسامة كاملة، ويقول:

- "ربنا يخليكي ليا يا ليلي، جميلة قوي.. ربنا يخليكي ليا."

لم يستطع خيالها أن يحذف الجملة الأخيرة، وتركها كما قيلت وكأنّها تؤكد حقيقة: استحق منه كلمة طيبة تأخذني لسماءٍ ثامنة. استحق أنّ أسعد وأحيا من كلمة أو كلمتين تنطقها شفاهه التي أحب بصوته الذي أعشق.

ولكن حينها كان عليها أن تعود للواقع قليلاً حين أدخلت على خيالها انضمام أهليهما إليهما، واكتفت بتلك الدقائق من الجنة. سيتناولون الطعام سوية، وستسرق النظر كما شاءت، وراحت تسأل نفسها: هل سيسترق النظر كما أفعل؟ هل سيبعثني بعينيه.. رُبما سيفعل.. أبدو جميلة اليوم.

ثم بحركة سريعة، أخرجت مرآتها للتحقق من هيئتها، فأخبرتها مرآتها أنها جميلة ذاك الصباح وألاً يصيبها قلق العاشقين.

ثم عادت سريعًا تستكمل الحكايا باسمه، وقامت بتقديم السيناريو قليلًا إلى الأمام حيث تتحدث العائلتان ويتضحكون ويتسامرون وقامت بحذفه حتى تصل إلى ذلك المشهد حين تجلس في الشرفة تحتسي الشاي بمفردها، فيطل الحبيب يؤانسها. أكيد سيفعل ذلك، فهما لا يزالان يدرسان بعضهما البعض. . حتى لو كانت الدراسة بالنسبة لها "عشقًا" أكثر منها دراسة. غريب كيف جها له يزيد دون وقود عشقي. هو هكذا، خلق ليكبر بداخلها، بلا أسباب واضحة كانت، حب فطري، كذاك الأمومي. .

- "هتقعدها عندنا أد إيه؟"

- "أسبوع. ."

- "مش قليل؟"

- "معلش يادوب أخذت أجازة من الشغل"

- "وأخبار المدرسة والبنات إيه؟ حد بيضايقك؟"

هنا ابتسمت ليلى في كلا خيالها وواقعها معًا. هل يخاف ويخاف عليها حقًا؟ . . ولكن ليس لديها وقت للأسئلة الآن. .

- "المدرسة تمام التمام والبنات كويسين، مطلّعين عيني آه بس ولاد حلال. ولأ مفيش حد بيضايقني"

- "بأمانة. .!!"

هنا سبتسم له وتقول:

- "بأمانة. ."

- "بت!!!"

ولسخرية القدر، كانت تلك أمّها، أمها على الواقع تناديها:

- "بتضحكي زي الهبلة ومنتحة كده ليه؟ ما تضحكيني معاكي"

- "هاه..؟ لا يا أمي.. مفيش.. افتكرت حاجة كده من المدرسة.."

- "طب يلا.. يلا يا ختي كلي"

وأمدتها برغيف فول وطعمية.. ثمار خيالها الملتهب.



٣٢

- "هنركب تاكسي.."

ثم قام بإصدار صافرة عالية: "تاكس!!"

- "إيه؟ ومن إمتى بتركب تكوسة يا أمجد؟"

سألته أميرة مذهولة وهي تُدرك أن حبيبها كافر بسيارات الأجرة، ودومًا ما يستقل الباصات ما ظهر منها وما بطن.

- "اتركني انتي بس كده على جمب ومتبوظيش المفجأة"

ثم اقترب من نافذة السائق وقال له بصوت منخفض:

" سلينترو الدقي يا اسطى بس والنبي ما تجيب سيرة وإحنا راكبين عشان عامل مفاجأة لمراقي المستكبلية، يرضيك تبوظ المستكبلية؟"

فأجابه السائق ضاحكاً حتّى ظهر صف أسنانه العلوي والسُّفلي كله:

" لأ إزاي؟ وفين سلنترو دي بالضبط في الدقي؟"

" أششش أششششششششش الله يكرمك، بصوت واطي الله لا سيئك. . عارف ماكنولندز؟ المطعم الأمريكاني ده؟"

" قصدك ماكدونلذز"

" الله ينور. . هو جمبيه على طول. والنبي ما تفضحني ربنا يسترك"

فعاد السائق لضحكاته وقال:

" اركب يا وحش. ."

فاستقل أمجد وأميرة سيارة الأجرة وقال لها وهو يخرج ربطة عنق مُهترئة من جيبيه:

" يلا غطي عينيكي. ."

وإذا بأميرة تجيب بدهشة مستنكرة:

" نعم!!"

فأجابها وهو يغطي عينيها بربطة العنق وبعنف:

" يلا بقا. ."

- "أوعى تكون هتشممني حاجة أصفرا"

وإذا بالسائق يضحك عاليًا من قولها وقال:

- "حاجة أصفرا إيه يا مازمازيل؟ ده عايز يفاجئك وربنا"

- "والنبي قولها يا اسطى. . أنا مرارتي اتفقت لمرارات صغيرة
وبقتش نافع"

فقالت:

- "رايحين على فين؟"

- "أكيد مش المقابر. اسكتي بقا يا أميرة. . قوليلي بقا، أخبار
شغلك إيه؟"

- "آه اللي جبتني منه على ملا وشي؟ تمام يا ميجو. مش
عارفة اتنفس!!"

- "أنا مش مغمي إلا عنيكي، مش جاي جمب مراخيرك"

- "برضو مش عارفة اتنفس!"

- "عنيكي مآثرة على مراخيرك؟"

- "آه. ."

- "الصبر من عندك يارب. ."

وإذا بالسائق يضحك مجددًا ويقول:

- "أحلى فترة ما بين أي اتنين، فترة الخطوبة، ياااااااااااه على
دي أيام. . ربنا يرزقوا بالذرية الصالحة"

وإذا بأمجد يقول:

- "أنت نطيت من فترة الخطوبة للذرية الصالحة ليه؟
بتقفلني ليه؟ أخوها الصغير كرهني في الخلفة. سوق. . سوق يا
سطى سوق. ."

فأجابه السائق:

- "سوق على مهلك سوووووووق. . خلي الدنيا تروق تارارا"

فنظر إليه أمجد باشمئزاز عن طريق نافذة السائق وقال
هامسًا للأميرة:

- "عايز أقوله كلمة عيب بس محترم وجودك"

مضت ساعة إلا ربع ووصلنا أخيرًا إلى المكان المنشود، وخرجنا
من السيارة فقال أمجد لها:

- "إياك تشيلي الغطا. ."

- "مش هشيله. . الأجرة كم؟"

نظر أمجد إلى عداد الأجرة وقال لها ضاحكًا:

- "٣٢ جنيه الله يحرقك"

- "بقا كده؟؟؟؟!! هو أنا اللي قلتك نركب تاكسي؟"

- "فداكي فلوس الدنيا كلها. ."

ثم صمت قليلًا. . وقال بعد تنهيدة تشي بخطاب مهم:

- "بصي بقا يا ميرو، أنا جبتك هنا من دون تفكير قوي

يعني، هي فكرة خطرت في بالي ونفذتها كده على طول. ممكن

تعتبريها بداية جديدة نكسر بيها أي حاجز. افتحي عينيكي"

فأزالت أميرة الغطاء عن عينيها لتتسعا فجأة وهي غير مستوعبة لما يجري، وقالت:

- "جايني هنا ليه؟ أنت اتبهلت في عقلك؟"

- "عمري ما هنسى لما قلتيلي ساعة ما كنتي في المستشفى إنك ياريتك ما جيتي هنا ساعة الجمعية. وإنك حملتي نفسك مسؤولية اللي حصل. بس برضو لو مكنتش الفلوس اتسرفت، مكنتش ربنا عوضنا بمساعدة الشُّرقاوي لينا. , يعني ربنا عوَّض صبرنا خير!!"

فترقق الدمع في عينيها وقالت:

- "نفسى أحضنك قوي"

- "أحضنيني أبوس إيدك"

- "لما نتجوز يا واطي"

- "ولأن الحلال أجمل.. سأنتظر"

ثم قادها إلى سلنترو وهو يقول:

- "نفسى هافة على شست كيك"

- "شست؟ اسمها تشيز كيك يا روجي. "

- "تصدقي صح.. شست دي اللي هي عند الشُّرقاوي ويروحلها

الجيم ابن المحظوظة. الواد ده لما بقف جمبه بحس إني فرخة"

ودخلا إلى سلنترو سوية.

كانت أميرة مذهولة وحببيها يقوم باصطحابها إلى سلنترو لأول مرة، فمن عادته اصطحابها إلى قلعة صلاح الدين أو يسيران

سوية على الكورنيش أو حديقة الأزهر وذلك لأنه عاشق متواضع الأحلام، ولكن هذه المرة بدا حلمه شاهقاً لدرجة اضطراب محبوبته.

جلسا قرب بعضهما البعض، كانت أميرة سعيدة للغاية إلى جواره.

عانق يديها بيديه، قبل أن ينتفض ويقول فجأة:

- "ينفع كده؟ كنت هنسى الدكتور"

ثم نهض وسار باتجاه النادل الذي استقبله بابتسامة وكأنه يعرفه مسبقاً، وانسحب سريعاً، ثم عاد إليه بحقيبة كرتونية أنيقة حمراء فاقع لونها.

- "خدي يا حبيبي. كل سنة وإنتي معايا"

فابتسمت أميرة له بدلال وقالت:

- "ولو إننا كنا متفقين إننا هنحتفل آخر اليوم بس إنت اللي

صممت. كل سنة وإنت حبيبي يا حبيبي"

ثم أمسكت حقيبتها وأخرجت علبة مربعة ووضعتها أمامه، وقالت:

- "هشوف هديتي من بعد ما تشوف هديتك"

- "لا والله ما يحصل. من بعدك يا دكتورة"

- "إيه حكاية دكتورة معاك النهاردة؟"

سألته وهي تنظر في داخل الكيس، وإذا بعينيها تتسعان من هول المفاجأة:

- "إيه اللي إنت جايه ده . هي حصلت؟"

- "بزمك مش تحفة؟"

- "ده إيه ده أساساً؟"

- "ده بقا اللي هتلبسيه ليلة الدخلة . قميص إنما إيه، أبيض مع خطوط حمراء، وطاقيه دكاترة . لا وإيه . وسماعات دكاترة كمان. الطقم جامد جدًا وهياكل من أبوكي حته"
- "استحالة البس الكلام ده ."

- "كلام إيه بس ده أنا شفت بلاوي، دخلتك المحل لقيتك صاحبتة جايلي ووشها ده فيه خبرة ربانية كده. ف الأول اتكسفت بعد كده لقيتها بتشدني من إيدي اتفرج، لقيتك دكاترة، وبوليس، وقطط، وعساكر، وأساتذة، وخدامين كمان. ده أنا شفت العجب. آه والله"

كان وجه أميرة يكاد ينفجر من الغيظ حين قالت:

- "وتشدك من إيدك ليه ست الحسن؟ وأنت سايلها نفسك كده عادي؟"

- "بتغير عليًا يا صبحي؟"

- "أنا مبهررش . . افتح هديتك"

فأجابها بضحكة طويلة وهو يقوم بفتح الهدية حين وجدها عطرًا أنيقًا، فراح يشمه ويضع منه على إبطه مباشرة وهو يقول:

- "هاااا . . ريحتو حلوة قوي وباين عليه أصلي . يا أصلي إنت . . ولا حد يملى عيني غيرك"

فتبسمت أميرة من قوله، وقالت:

- "متثبتنيش"

حينها انضم إليهما النادل واضعًا أمامهم قائمة المأكولات والمشروبات. لكن أمجد لم يفتحها وقال سريعًا حتى لا يتراجع:

- "أتنين تشيز كيك بالفراولة وأي عصير فريش"

أومأ النادل برأسه باسمًا لهما وانصرف. فعاد أمجد يعانق يدها بحب. وقال:

- "متتخليش بحب أمك قد إيه"

وراح يحرك قدميه باتجاه معاكس كطفل عاشق في الخامسة. ثم قال:

- "ألا سلنترو يعني إيه؟"

صمتت أميرة قليلًا ثم قالت:

- "تصدق معرفش؟"

- "طب استني كده أشوف في الكاموس اللي نزلته ع الموبايل
عشان أواكب العصر"

فغمزت أميرة له بعينها وهي تقول:

- "أيوه بقا. مين قدك. ؟"

فابتسم وقال:

- "اشتجيهالي عشان اكتبها"

- "CILANTRO"

لحظات وإذا به يقول:

- "أحجج . يبيبييه"

- "معناها إيه؟"

- "معناها كزبرة يا ختي. ."

- "لا بجد معناها إيه؟"

- "كزبرة ورحمة النعمة. . بقا أنا أقعد في مكان اسمه كزبرة؟
مالها قهاوي محمد نجيب ووسط البلد؟"

وإذا بأميرة تفهقه عاليًا في حين انضمام النادل إليهما بما طلب
أمجد.

وراح العاشقان يتحدثان عن الحياة، وعن اقتراب موعد
زفافهما، وعن عمر وأميمة، أسامي أطفالهما حين يأذن الله.
شعرا معًا برفق الحياة بهما قليلًا، شعرا بنسيم الفرج من روح
الإله. كان يومًا جميلًا بين اثنين أقام الحب بينهما رحالهُ.

وصل النادل إليهما بالفاتورة، أخذها منه أمجد وانتظر
انصرافه وقام بفتح المجلد:

- "١٦٣ جنيه. . أحيه أحيه أحيه"

- "بتحب تذلمي ليه؟ أذفع أنا؟"

- "اتكتمي يا ولية. شايفاني فرخة؟"

- "حاشا وباشا."

- "كملي تشيز كيكك. ."

- "شبع"

- "هاتي أكمله أنا"

ثم قام بالتهام التشيز كيك وكأنه ينتقم من الأزمان، ثم برشفة واحدة شرب ما تبقى من عصيره. كل هذا وهو لا يزال يحرك قدميه باتجاهين معاكسين. نظر إلى الصحنين وكوي العصير وقد تأكد من خلوهما. ونظر إلى أكياس السكر الصغيرة وقال: "الباكيتات البيضاء دي، سكر. إيه بقا الباكيتات البني دي؟ فلفل؟"

فقال أميرة:

- "سكر بني"

- "شغال"

ثم بحركة سريعة أخذ ما يقرب من عشرين مغلف سكر ووضعهم في حقيبة أميرة. وقال:

- "كزبرة مش هتيجي عليا بالخسارة، قالك سلنترو قال"

ضحكت أميرة وقالت:

- "إنت هببت إيه؟ هو أنت بجد أخذت السكر؟"

- "زي ما شفتي.. يلا بينا من هنا عشان متهورش وأخذ

المناديل كمان وابقى عرّة"

- "هو أنت لسة هتبقى عرّة؟"

- "قصدك إيه يا دكتورة؟ يا مداوية جروحي أنا"

نهضت باسمه ثم أخرجت لسانها له. وسبقته إلى الخارج، في حين أن قال:

- "بعشق مجانص أمها"



٣٣

- "يعني أنا بس نفسي أفهم. عم مؤمن فين كل ده؟ مش معقولة كده. حد يتصل بيه، يحاول يوصله. بجد يومي بيبقى زي الزفت لما مش بيجي. ولا حد في المكان ده يقدر يضبط قهوتي زيه"

ثم أمسكت منديلاً مُبللاً، وراحت تزيل المكياج عن وجهها إثر انتهاء حلقتها الصباحية بنجاح. محيي كان جامداً يتساقط العرق من على جبينه، بالرغم من وجود المكيف الهوائي. سألته:

- "ما ترد علياً؟"

- "في الحقيقة.."

ثم صمت قليلاً. وقال لها وقد تذكر أنها ستبدأ إجازتها التي ستمتد لأسبوع، إذ أنها من عاداتها أن تفعل ذلك، لتأخذ قسطاً من الراحة من كل شيء. فراحت نفسه تحادثه:

" الحمد لله إن هي هتبدأ أجازة وإلا كانت ليلتنا طين
ومعرفناش نشتغل "

- " في الحقيقة إيه؟ "

قاطعته فرح وهي تنظر إليه بحدّة من خلال انعكاس المرآة.

صمتت قليلاً قبل أن يعاجلها بقوله:

- " عم مؤمن، تعيشي إنتي "

- " إيه؟؟! "

شهقت فرح مذهولة، إذ وقع عليها الخبر كالرعد الساخط،
وشلّ لسانها بثقل الوجع.

لم نسلط الضوء من البداية على عم مؤمن، فلم قد نفعل
ومصيره الموت. ؟ ممممم. . فلنقل أي قتله الآن، كي لا تحبوه
لاحقاً! أليس بيدي أن أقتل وأترك من أشياء حيّاً على الورق؟ دام
الورق ملكوتي؟؟ . .

عم مؤمن، هو والد فرح الروحاني. ذلك البلسم الطيب،
الذي يشفي الروح ويهدئ من روع وغضب الفؤاد. تقرب لها
إثر وفاة أبيها. وأصبح لها الأب والأم. كان كريمًا معها بلا مُقابل.
لكنّها لم تستطع أن تعبر يومًا عن مدى امتنانها لوجوده، فكانت
تكتفي بذلك المرتب الشهري ترسله له وأهله في القليوبية. وكأنّها
مسؤولة منه، كما هو مسؤول منها. وكان يقبل عطاياها على
استحياء، فالحاجة تكسر ظهور الرجال وتحرق رجولتهم.

كان أبًا لخمسة بنات، وكانت فرح سادستهم. ساهمت فرح في تزويج أربع وتعليم الصغيرتين. لكنها لم تشعر يوماً أن ما تقدمه كافيًا لتلك الأبوة والبنوة العجيبة بينهما.

ربما قد تسألون من أين لها بهذا المال كله؟ فلنقل أن أبيها لم يتركها وراءهما إلا المال، وذاكرة تحترق باستمرار في قلبها المشتعل.

- "سيبني دلوقتي"

خرج محيي دون أن ينبس بحرف، وأغلق الباب بحذر. كان الألم صارخًا لدرجة أنها لم تبكي. كانت تحرق بالمرآة وهي تزيل باقي مستحضرات التجميل وجسدها يبكي ألف مرة.

هكذا هو الموت، يحكي حكاياه في أجسادنا، يمدنا بما يكفي من الموت، دون إحداث موت كلي.

خرجت فرح من مبنى الإذاعة والتلفزيون، تجر جسدها جراً نحو وجهة غير معلومة. وصور الموتى تمر أمامها سريعاً هي والذكريات. أم بقلب وطن، وأب بروح منفي. وصديقة ثورجية قتلها السخط في الميدان. وأخيراً. . عم مؤمن.

ألقت بجثتها على مقعد السيارة. لتجد المسبحة التي أهداها إليها عم مؤمن مُعلّقة على المرآة. شعرت بتيسر حاد في القناة الدمعية.

يُقال أن الألم حين يبلغ مبلغه، تصبح الدموع بلا جدوى، بل إنها لا تتناسب طردياً مع الدموع.

أدارت المقود تسابق الوجع، الذي دوماً يسبقها بأميال ويقف حين خط النهاية، يشاهد هزيمتها النكراء.

أمسكت هاتفها لا شعورياً تتصل بيزن:

- " هو أنا ينفع أشوفك؟ "

شيء ما باهتزازات صوتها نبأه بخطب ما. قال:

- " انتي فين؟ "

- " معرفش "

- " يعني إيه معرفش؟ "

- " بسوق ودخلت وخرجت من كذا شارع. معرفش معرفش "

- " اهدي "

هدأت واستكانت، لكن الوجد لم يهدأ قط.

وأردف قائلاً:

- " مش انتي كان عندك حلقة النهاردة؟ ارجعي المبني تاني

وأنا هجيلك. أكيد مبعديش "

وانتهت المكالمة. عادت من تخلو من الفرغ إلى حيث كانت،

ولا تدري كيف عادت أو متى عادت. كان الوقت به زخماً وتخمة

من الوجد حتى تساوت الأشياء جميعها.

مضى من الوقت ما مضى، ساعة ربما، ساعتين، أو أقل بكثير،

حين أعلمها يزن بوجوده عندما قام بطرق نافذة السيارة حيث

تجلس. انتبهت لوجوده وترجلت من السيارة.

مدّت يدها تصافحه لكنه لم يتنبّه لذلك وأمرها بالجلوس في

المقعد المجاور لأنه سيتولى القيادة. رضخت لأمره دون أن تنبس

بكلمة. وجلست باستسلام إلى جواره، في حين تولى هو القيادة.

- "مين مات؟"

نظرت إليه فرح بغضب إذ ظنته يمزح لكنه بدا جاداً وهو ينظر إليها، قالت بانهازم:

- "إيه اللي خلاك تقول كده؟"

- "الموت باين في عنيكي"

- "الموت مبيتقريش"

- "كل حاجة في الدنيا دي بتتقري، حد من المقربين؟"

- "محدث مات. أنا بس مخنوقة شوية"

نظر إليها نظرة عابرة. ثم عاد بنظره للطريق أمامه. مرّت دقيقة فقالت:

- "عم مؤمن"

وما إن لفظتها حتّى مدّ يميناه لتعانق يسراها. أمسك يدها وراح يضغط عليها بقوة وكأنّه يواسي خطوط يديها. كانت منبهرة، لكنها لم تقم بأي رد فعل يظهر ارتباكها.

هل شعرت بالأمان حقاً بقرب ذاك الغريب؟ هل شعرت بانتماء لوجهه يبعث الدفء في جسدها الهالك؟

قال:

- "عمر مديد وسعادة وصحة بتمناهم ليكي"

فأجابت سريعاً:

- "مش قادر تقول البقاء لله؟ أو ربنا يرحمه؟"

- " ده ضد معتقاداتي "

- " هو أنت عندك معتقدات أصلاً؟ "

لم يجبها، فهي أنثى غاضبة، حريٌّ به أن يخاطب طفولتها الآن:

- " وحشتيني "

كانت تلك المرة الأولى التي يلفظها أمامها، استطاعت أن تحفظ
قسمات وجهه وشفاهه الجميلة تتلفظ بها. ابتسمت روحها. ثم
أسندت رأسها على النافذة ويدها لا تزال معانقة ليدته.

نعم. . شعرت بالأمان. . وخيمَّ النوم على عينيها الجميلتين.

استيقظت بعدها على صوته يناديها. وجدت نفسها أمام
مبنى يبدو حديث الإنشاء. لم تنطق في انتظار أن يفسر لها الأمر،
قال بعد تنهيدة:

- " فرح. . المكان ده ميعرفهوش مخلوق إلا صديق عزيز، أنا
كنت هاخداك في أي حنة نقعد فيها. بس لقيت نفسي بشكل
تلقائي بفكر إني أجيبك هنا. ومن دون تفكير أكثر، جبتك. عارف
إنها مخاطرة، بس محدش يستاهل إنه يجي هنا قدك. دي
شقتي الخاصة سري الكبير! "

بقيت فرح صامته للحظات في محاولة منها لاستيعاب ما قاله
للتو، ثم قالت بغضب:

- " أنت أكيد مجنون؟ إنت فاكرني إيه؟؟! "

- " أنا رسمتك فوق "

أسكتها وقد تذكرت أمر تلك اللوحة القاتلة. أعدلت من
جلستها وقالت بنبرة أشد غضبًا:

- "لو سمحت اطلع أنت شقتك، أنا دلوقتي أحسن"

وإذا به يخرج باسمًا من السيارة مفسحًا لها المجال. ومن
الخارج أومأ لها برأسه وألقى بيمينه السلام. لم يبد مغتاضًا أو
مُنزعجًا من طردها إياه بذوق. لم يساومها كما توقعته، لم يحاول
حتّى إقناعها. انصرف بهدوء جميل كحضوره الجميل. ولم تفارق
تلك البسمة شفاهه. كانت تنظر إليه بحيرة ودهشة، قبل أن
تفيق منهما وتقفز إلى مقعد السائق، وتعود بسرعة إلى الخلف،
ويختفي أثرها الجميل.

صعد يزن إلى شقته، أخرج المفاتيح، وعطر فرح لا يزال يملأ
أنفاسه. فتح الباب ثم أضاء الأنوار جميعها. ألقى بنظره سريعًا
على عرينه الجميل وجلس يستريح على إحدى المقاعد. في حين
أتاه صوت جميل من الخلف:

- "ذوقك حلو، كل حاجة هنا شبهك"

عادت ابتسامته على وجهه، نهض عن مقعده وقال بثقة
حين رآها تقف قبالة الباب وهو متوجّه إليها:

- "بيوتنا لازم تشبهنا، وإلا متبقاش بيوت، كانت سجون"

صمت قليلًا حين وقف على مقربة منها "جدًا"، وقال:

- "كنت متأكد إنك هتيجي"

- "كنت متأكد إزاي يا فهميم؟"

لكنه لم يجبها ورفع يده اليمنى وأمسك ذقنها شديدة الاستدارة، وأسند ذقنها من الأسفل بسبابته، ولامس بإبهامه ذقنها من الواجهة، واقترب من شفاهها:

- "شفايفك جميلة.."

وبحركة خاطفة، سريعة قَبَل شفاها السفلية قُبَلَةً كالنَّسِيم بشفاهه العلوية، ولامست شفاهه السفلية ذقنها وكأنَّه يكتفي بتلك القطعة من الجِنَّة.

ثم عاد ينظر إلى عينيها كمن فاق من سُكر أو غرق.. كانت عينيها تملأها دهشة العاشقات. من قال أن قُبَلَةَ الحياة لمن غرقوا؟ هي للأحياء كذلك!

عاد يمسكها من يديها وقد أغلق الباب، واتجهها إلى غرفة المعيشة.

- "رسمتني فين؟"

ابتسم من سؤالها. واتجه نحو باب زجاجي كبير جرَّار. فتحه إلى آخره. حينها فتحت فرح ثغرها من الدهشة وكأنَّها تقنع نفسها أنَّه لم يُقبَّلها فعليا. وكانت تلك مملكته بحق، كل الأشياء مُبعثرة بشكل مُنظم.

قالت:

- "رسمك تحفة"

- "عجبتك رسمتكم؟"

- "لأ.. ليه مكملتش في مجال الرسم؟ واخترت الهندسة؟"

- "عشان إحنا في مصر"

نظرت إلى وجهه الذي بدا مسالماً بشكل يثير الوجد.

ولم تعقب. اقترب منها مجدداً، وقف قبالتها، سألها:

- "جيتي تاني ليه؟"

- "عشان أنا مش جبانة"

- "مقولتش إنك جبانة"

- "شفت ده في عنيك، لأن كل حاجة في الدنيا دي بتتقري"

إذن اتفقا سوية على أن يفهما عين الآخر دون حماقات الكلام

والشرح. قال:

- "إنتي عاملة إيه؟"

تنهدت وقالت:

- "أنا تمام الحمد لله.."

- "إنتي عاملة إيه؟"

ضحكت باضطراب في محاولة لفهم مزحته وقالت:

- "تمام الحمد لله"

- "إنتي عاملة إيه؟"

أجابت دون أن تضحك هذه المرة:

- "تمام.. الحمد لله"

- "إنتي.. عاملة.. إيه؟"

نظرت مباشرة صوبَ عينيه دون أن تنطق، وكأنها تدعوه لأن

يقرأ عُريها. وقالت وكأنها تعاند نفسها:

- "أنا تمام الحمد لله.."

مرّت ثانية، وانفجرت باكية.

دعاها يزن للتجرد من نفسها بالدموع، هو يؤمن إيمانًا مطلقًا أنّ الدموع تُحرر النفس حين تظهر أمام الآخر، دعاها للبكاء ولكن ليس على عم مؤمن فعليًا، أو من ماتوا ولم يدر عنهم كليًا، بل بكاء من أجل البكاء، كالحب من أجل الحب.

كان يقف جامدًا أمامها وهي تبكي وتنظر أسفلها، تبكي بكاءً مريّرًا كطفلة مقهورة في الخامسة. كان بكاءً أشبه بأنين الروح، امتلأ وجهها بالدموع حتّى تظنها أغرقته في المياه. كانت تبكي كمن لم تبكي من قبل. تصرخ باكية، ثم تعود لأنينها الصامت. وكلما أرادت أن تمسح دموعها بيديها، منعها يزن. وكأنّه يقول لها ألا تمسح ألمها، بل تدعه ينساب على وجهها الحزين، فتمتصه مسامها مجددًا. فالحزن لا يرحل، إلا إذا شاءت روحها. وفي نظر يزن، روحها لم تشأ بعد.

مرّت ثلاث دقائق بمثابة ثلاث دهور كاملة، حين أنعم عليها بذراعيه يلفهما حولها وقد أسند رأسها إلى صدره.

قال:

- "طفلتي الصغيرة"

صمتت فجأة، وقالت:

- "أنا آسفة.."

نظر إليها وقال:

- "على إيه يا أم قويق.؟"

وسرعان ما انفجرت ضاحكة، ضحك يخالطه البكاء. قالت
سريعًا وكأنَّها استفقت من الحلم:

- "لازم أمشي..".

وكعادته، لم يمانعها.

وقالت قبل خروجها:

- "الأسبوع ده كله أجازة، لازم أشوفك!"

- "مش لازم قوي يعني"

وضحكا. .

خرجت من الشُّقة، وقد شعرت أن روحها ترفرف في الملكوت.
عادت لشقتها، فتحت خزانها، وأخرجت اللوحة تطالعها بحب،
وقد نفضت عنها حفيف الغبار، وعلَّقتها بتحدُّ على الحائط،
وكانَّها لا تمانع عُريها.



٣٤

جلست مُضطربةً في أحد كافيها مدينة نصر. تترقب
الوجوه الشاردة والغائبة، الوجوه الغاضبة، وتلك التي لا معالم
لها. وتتمنى لو تصبح الحياة أقل تعقيدًا لطفولتها. كان وجودها
مُلفتًا للنظر، فماذا تفعل ابنة الثامنة عشر بزيها المدرسي في هذا
المقهى؟. كانت تسمع دعابات سخيفة من الموجودين حولها

بسبب وجودها. فكانت تحرك قدميها باضطراب في انتظار ظهور الشرقاوي.

عادة لا تقابله في مثل هذه الظروف، عادة لا تتسلل من المدرسة مبكرًا. لكن أمرًا سرق راحتها، وجعلها تشعر بغصة الوجد حين تحتل الروح، فراحت تبحث عن مأواها. أحمد الشرقاوي. طلّ الأخير والقلق بادياً على وجهه، سحب كرسيه قربها سريعًا وقال بعد أن وضع مفاتيح سيارته على الطاولة:

- "مالك حبيبي؟؟ قلقتيني؟ انتي كويسة؟"

- "لأ. "

وسرعان ما انفجرت باكية. راح يهدئها ويهدئ من روعها. كم أحرقتة دموعها تلك الجميلة، لم يستطع أن يضع يده على كتفها، أو يمسح دموعها، شعر بعجز العاشقين وهو لا يستطيع أن يفهم ما سر كل هذا الحزن!

مسحت دموعها أخيرًا، وتنهدت تنهيدة لا تزيد روحها إلا وجعًا. نظرت صوبه وقالت:

- "أخويا ملحد. . أخويا ملحد ليه فترة، من ساعة ما بابا مات. خايفة عليه من اللي هو فيه"

كانت نظرات أحمد إليها كلها أسي، قال:

- "مرحلة وهتعدي"

نظرت إليه ذاهلةً، وقالت:

- "أنت. . أنت كنت عارف؟؟"

بيؤمن بالتححرر الفكري اللي بيتعارض مع ناس كثير هنا. بس
مش معنى ده إنه هيرضالك أي شيء سيء "

- "مش قادرة استوعب. . ولو سمحت متبرلوش"

ودفنت وجهها براحة كفيها في حين وصول النادل يسألها
ماذا سيطلبان، فتكفل الشرقاوي بتلك المهمة.

لحظات صامته انقضت، وعادت يسرا تنظر لحبيبتها تسأله:

- "هو. . هو عمل حاجة قبل كده حرام مع بنات؟"

انتفض الشرقاوي لسؤالها المباغت الذي لم يمر بخاطره مرور
الكرام، بل أشعل ما يكفي من الحرائق، سؤالها لم يكن سوى:

- "هو أنت عملت حاجة قبل كده حرام مع بنات؟"

نعم، شعر بسؤالها موجّه له ولرجولته التي لم يصن. قال
وشفاهه تضطرب:

- "معرفش. . مظنش"

- "قلبي بيقولني إنه عمل" (قلبي بيقولني إنك عملت).

وأردفت قائلةً بنبرة حزينة:

- "هيكسر ظهري لو فعلاً عمل كده وخاني" (هتكسر ظهري

لو فعلاً عملت كده وخنتني). .

- "خلينا في كفره بربنا الأول بعد كده نشوف الأمور الثانوية

دي".

وراحت ضربات قلبه تتزايد، كم تمنى أن يعود طفلاً لا خطايا

له، كم تمنى أن يكون طفلها الذي ستستره بحنانها وطبيعتها.

وصل النادل بعصير برتقال طازج، رشفت منه يسرا رشفتين
وقالت:

- "لازم أمشي.."

- "لسة بدري.."

- "لا يا أحمد معلش، أنا أتأخرت وماما عايزاني معاها النهاردة
ضروري. ومقولتلهاش إني هقابلك. معلش، خليها مرة ثانية"
ونهدت عن مقعدها في حين نهوض أحمد الذي قال:

- "هوصلك قريب من البيت"

فأجابت:

- "لأ.. مش هينفع. أخويا النهاردة هناك. معلش يا أحمد،
خلينا في السليم"

ومدت يدها تصافحه بوجع، فصافحها وروحه تشتت عناق
روحها. وخرجت من المقهى.. وكانت عيناه تتبعانها إلى أن عبرت
الشارع في انتظار حافلة تأخذها وجهتها..

وإذا بعينا يزن تلحظانها وصدفة من العيار الثقيل. لم يفعل،
لم يركض إليها غاضبًا يسألها عمّا تفعله في مدينة نصر. بل انتظر
ركوبها الحافلة، وتوجه بدوره إلى المقهى الذي رآها تخرج منه.

هناك حيث تفرّس وجوه من فيه وجهًا وجهًا. وجد
مجموعتي شباب يجلسون على طاولتين، وامرأة أربعينية تنفث
دخان الشيعة. فكر في أن يسأل النادل عن الفتاة التي خرجت
لتوها، وعن ما إذا كان أحدهم برفقتها، لكنه عدل عن قراره
وخرج من المقهى، في حين خروج الشُّرقاوي من حمام المقهى.

هكذا هي الصدف، تأتي أحيانًا كنعمة بنكهة حلم، أو نقمة بنكهة كارثة.

وصلت يسرا لمنزلها، وقبّلت جبين أمّها، ودخلت غرفتها بانهازام، تغيرّ ثيابها. عشر دقائق مضت، ووصل يزن خلفها. لم يلق السلام، ولم يجب أمه حين رحبت بوصوله. بل دخل مباشرة إلى غرفة يسرا. وأغلق الباب.

كانت يسرا تقف أمام مكتبها الصغيرة، تحديق به وبوجهه الجميل. شعرت بلا حميمية مفرطة اتجاهه وكأنّها تلومه على تصرّحاته الأخيرة.

جلس على مقعد مجاور، ودعاها أن تقترب. فاقتربت منه بحذر فقال بهدوء:

- "أخبار كتاباتك إيه؟"

- "تمام. ."

فسألها سؤال ما هو إلا طلقة رصاص من مسدس كاتم للصوت:

- "كنتي بتعملي إيه في مدينة نصر؟"

تلقت بدورها رصاصته بثبات، وجلست قبّالته. . وقالت:

- "بشم هوا"

- "مع؟"

سألها سريعًا وبثبات أشد. .

أجابت بتحد:

- "مع حبيبي. "

يُقال أن القهر أحيانًا ينزع منا الخوف، ينزع عنا عصابات الصمت التي ظنناها أبدية، وكأنه البهار المطلوب لانفجار البركان من فوهة الصبر.

- "اللي هو مين؟"

- "اللي هو بوجه حب صادق هيخليك متمانعش إني أسلمله نفسي وجسمي وأنت مرتاح"

- "يلا يا يسرا تعالي حضري معايا الغدا مفيش وقت. "

كان ذلك صوت أمها تناديهما من المطبخ. نهضت يسرا عن مقعدها، وقالت باسمه:

- "عن إذنك. هروح أساعد ماما"

وخرجت من الغرفة وهي تسأل أين ذهب خوفها؟ ولا تصدق أنها من ساعة مَضت كانت تقول للشرقاوي أنه حريُّ بها ألا تتأخر، وألا يوصلها إلى المنزل حتّى لا يراهما يزن. والآن هي بذاتها قاب قوسين أو أدنى، من أن تكشف كل شيء.

أما يزن، فكان لا يزال جالسًا يحاول تحليل الأشياء بشكل فلسفي تارة، وعقلاني تارة أخرى. ثم يعود للمنطق واللامنطق، ثم يستغني عن كل ذلك. ويصبح رهينة ل "ماذا لو؟" ..

نهض عن مقعده أخيرًا. وقبل خروجه رمى بناظره على مكتبته، ليجد كتاب مذكراتها، لم يتردد حين أخذه، وكأنّ لديه الحق المطلق في فعل ما يشاء. قام بفتح أول صفحة. . وجد

رسومات أنيقة تشي بمراهقة عاشقة وفي المنتصف كتبت بخط لا
يقل أناقة:

((الحب للشجعان..))

رفع حاجبًا وقد أدرك طيف قباني يدندن في الجوار.. وسرعان
ما أقفله، وتوجه إلى غرفته يخبئه كي يتفرغ له لاحقًا، رغبةً في
كشف الخبايا. رغبةً في التحقق من شجاعة أخته يسرا.

* * * * *

٣٥

هنا القاهرة.. وهناك حبيبها.. محمد..

وصلت ليلي أخيرًا، وكانت تشعر بحنين أم لابنها، ومغترب
لوطنه، معشوقة لمعشوقها.

وكانت السّاعة تعانق الرابعة عصرًا، وهي في سيارة الأجرة
برفقة أمّها وأختها. راحت تتفحص الأزقة القاهرية، تُعاین وجوه
أبنائها، تعد الفروق الشاسعة، تحصي الاختلافات، وكأنّها زارت
أرضًا غير أرضها، ورأت بشرًا غير البشر.. كانت القاهرة بالنسبة
إليها، كما للكثيرين "مصر" ..

- "حلوة قوي مصر يا ليلي.."

قالت لها شمس باسمه، فأجابتها ليلى ببسمة أجمل، وعادت تحديق في النافذة، تحاول الشعور بالألفة على أرض مصر..

قال الله تعالى في كتابه:

"ادخلوا مصرَ إن شاء الله آمين". .

وها هي ليلى تدخلها آمنة مطمئنة، فهي أرض الحبيب محمداً.

كانت ترجو لو تحلّق بها الأرض لكي تصل سريعاً إليه، أخرجت مرآتها مجدداً تتحقق من هيئتها مرة أخيرة، ولم تخذلها مرآتها. . ولا عيون المارة.

وكلما اقترب وصولها، زاد في قلبها البهجة والقلق.

ومرّت ساعة إلا قليلاً. . ووصلت ليلى على أرض قيس.

ترجلت من سيارة الأجرة سريعاً وهي تنظر صوب المبنى المنشود، وتطالع النافذة وكأنّها لا تريد أحداً من الأعلى أن يراها، وكأنّها مفاجأة. قالت لأمها التي كانت منهمكة مع السائق وحمل الحقائب:

- "ماما أنا هنادي ابن عمي ينزل يساعد"

ولكنها لم تنتظر ردّاً أو تكرر ما قالت حتّى لا ترفض أمها، بل نظرت لشمس باسمه وكأنّها تدعوها للفرح لها عشقاً، ودخلت إلى المبنى سريعاً.

كانت تصعد السلم مهرولة وكأنّها لا تريد أن تقضي ثانية أخرى بعيدة عنه. وصلت إلى الشّقة، وراحت ترجو الهواء ألاّ يخذلها وتختنق من قلّته.

ثم قامت برن الجرس وهي بالكاد تسرق أنفاسها .
وفتح محمد الباب، وظلّ يطالعها صامتًا وهو مُمسك بمقبض
الباب . . قالت:

- "السلام عليكم يا محمد . . إزيك؟ عامل إيه؟ . ."
ثم ابتسمت . . فقال:

- "ما قلنا مية مرة بلاش محمد دي . . اسمي يزن . . يزن . .
غيرته وبقا في البطاقة يزن عامر الشيخ"

التقط أنفاسه في حين التقاطها أنفاسها المضطربة، ثم قال:

- "أهلاً وسهلاً، نورتوا القاهرة . . فين مرات عمي؟ وشمس؟"
- "تحت . ."

- "طب أنا نازلهم . . خشي . ."

ونظر إليها من أسفل قدمها إلى أعلى رأسها، ولكنه لم يعقب،
وأقفل الباب بحدّة.

وكانت أنثى لا تزال تمارس فعل الانتظار على أعتاب رجل
يمارس فعل الغياب، وما بين الانتظار والغياب، صبر مُراق وقلب
قد أحلّ الوجع.

وضعت حقيبتها على طاولة الطعام وهي تتمنى لو أن لديها
عصاة سحرية تُعيد بها الزمن إلى الوراء، ليتها نادته بيزن كما
يحب . . ولكنها تحب اسم محمد، فتنسى. خرجت يسرا من
المطبخ إلى غرفة المعيشة لتحضر شيئاً لأمها، وإذا بها تتفاجئ
بوصول ليلي، صاحت فرحة:

- "ليلي.. إنتو جيتوا؟"

أجابتها الأخيرة ضاحكة وهي تمد لها ذراعيها:

- "تخلي؟"

ليلي تحب يسرا حبين.. حُب ليسرا ذاتها، وحُب لكونها أخت محمد.. أقصد يزن.

تسامرتا قليلاً، في حين انضمم الأم نوال إليهما ضاحكة مستبشرة. مرّت دقائق ورناً جرس الباب، فاندفعت ليلي تفتحه ليزن.. وكأنها تدعوه ليقول لها أي شيء عن مظهرها أو اشتياقه لها.

لكنه كان منهمكاً بجر الحقائق والترحيب بزوجة عمّه كما يجب.

دخلت أمينة بلامح جامدة تعانق نوال وابنتها.. وتساءل عن الحال والأحوال، فتجيبها نوال بحذر، هما يجبان بعضهما، ولكن بحذر.

قالت:

- "جبتلك سمن وبط وفطير مشلتت وخضار طازة من الأرض يا دوب مجمعيه"

فأجابتها نوال:

- "يسلمولي الحبايب، نورتوا القاهرة وناسها. فينو جوزك أمال؟ ليه وحشة"

فتغير وجه أمينة وامتعت روحها، فقالت:

- إنتي عارفة الشغل والمشغل.

أما ليلى، فكانت تنظر إليه خلسة، بين الشوق والآخر، يمر بها ولا يدري أنّ قلبها على أعتابه يدق في اليوم ألف عام، ومرت الآهات، فلم تكن سوى أنثى تسترق الحب.. خلسة!

تناولوا جميعاً غداءً شهياً.. انهمكت معهم ليلى في تنظيف الصحن وجلبة الغداء، في حين انهماك عقلها معه.

خرجت من المطبخ أخيراً وهي تمسح يديها المبلولتين بفستانها. وعينيها تبحثان عنه. كان يجلس في الصالون يطالع التلفاز.

اقتربت منه، قالت:

- "إزي الحال يا محم.. يا يزن؟"

نظر إليها وقد لحظ وقوعها في الخطأ ذاته مرتين وتداركها إياه بسرعة.

قال:

- "تمام.. اقعدي.."

فراحت تنظر صوبَ المطبخ والغرف الداخلية وكأنها تخشى خروجهم. وإذا بيزن يقول:

- "اقعدي.. مالك في إيه؟"

وقبل أن تجلس أخذت حقيبتها، وجلست قربه على استحياء.

قالت:

- "إزّي دنيتك؟ وشغلك؟"

- "كله تمام.. وإنتي؟"

- " الحمد لله بخير طول ما أمورك بخير "

كان عيناه ما بين قنوات التلفاز ووجهها، والحق أنه كان أكرم مع التلفاز.

كانت ليلى تحاول أن تحقق أي شيء من ذلك الخيال الذي خطفها في القطار، قالت:

- " يزن . جبتلك هدية بسيطة كده "

- " بجد؟ "

- " آه . "

ثم أخرجت له الهدية من حقيبتها، أخذها منها سريعًا وكأنه يأخذ صحن فاكهة، قام بنزع الغلاف سريعًا بعد أن نزع الشريط القماشي. نظر إلى المحتوى قليلًا . وقال:

- " الحاجات دي بتتباع عندكو في البلد؟ شكلها ماركة "

أجابته ضاحكة:

- " كل حاجة دلوقتى عندنا في البلد "

قال:

- " لذيذة السّاعة، تسلمي "

وأخرجها من العلبة وارتداها.

كانت تنظر إليه بامتنان، ولا تصدق ما فعل، ذلك لم يكن بخيالها قط، أقلها أن يرتديها أمامها.

- " تشرب شاي؟ "

سألته بفرح. .

فأوما لها برأسه: أن نعم.

فنهضت تحضر له الشاي، شعورها نحوه كان زوجياً، كان زوجياً مُنذُ أكثر من عشر أعوام.

دخلت إلى المطبخ، فانضمت شمس إلى ابن عمّها، قالت طفولتها:

- "إزيك يا محمد؟"

كان بصدد أن يصحح لها الاسم مجدداً كما فعل مع أختها الكبرى، فقال وقد ابتلع غضبه:

- "بخير يا شمس، عاملة إيه في المدرسة؟"

- "كويسة الحمدلله. ."

نظر صوبها، وكأنه متردد في سؤالها عن شيء ما.

قال:

- "من فترة كانت ليلى كلمتني في حوار كده عنك، وقالت لي

إنه متمش. مفيش جديد؟"

- "حوار إيه؟"

فأدرك أنه لم يتم شيء. وأن الفتاة لم يتم ختانها بعد. انقضت دقائق وعادت ليلى بكوبي شاي.

نهضت شمس في اتجاه الشُرفة تلعب، في حين أمدت ليلى محبوبها بكوب الشاي. وما إن جلست حتّى ظهرت أمها أمينة:

- " بنت . "

فانتفضت ليلي ونهضت بسرعة:

- " أيوة يا أمي . "

- " يلا خشي ارتاحي شوية "

- " هشرب الشاي يا أمي . "

- " يتشرب جوا "

فأمسكت ليلي كوبها وقد أدركت انتهاء الحلم عند ذلك
القدر. وانسحبت إلى غرفة يسرا.

انضمت إليه أمينة بخُطى سريعة، تتفحص وجه ابنتها
المستقبلي:

- " كإنك خاسس، إنت مبتاكلش ولا إيه؟ أكل القاهرة ميحيش
حاجة جمب أكل البلد "

أجابها ضاحكًا:

- " من الناحية دي عندك حق "

- " مش هتيجي تشوف الشقة بقي؟ "

- " ملوش لزوم "

- " يا نهاري؟ ملوش لزوم إزاي يا ولا؟ "

- " ما حضرتك عارفة إننا كده كده مش هنستقر هناك. على "

آخر السنة دي هكون جبتلي شقة هنا على قدنا "

- "بقولك إيه. . أنا مليش في شغل حضرتك وما حضرتك ده.
كلمني زي ما بكلمك"

- "طب ما أنا بكلمك أهو. ."

- "بص يا ابني، متتعفش قلبي. البنت كبرت خلاص وأنت
كل شوية عمّال تأجّل في الفرّح. يا ابني عايّزة أفرّح بيها وبيك
وأشوفلكو حتة عيل قبل ما أموت"

- "تموتي إيه بس. . عمرك مديد يا حاجة"

- "إن شاء الله يا خويا، بس إنت انجز"

نظرت أمينة صوبَ العُرف وكأَنَّها تريد أن تخبر يزن أمراً قبل
ظهور أحدهم:

- "يرضيك اللي عمله عمّك؟"

سألته بكبرياء عارٍ من الكبرياء. عدّل يزن من جلسته وهو
يدري أن حديثها معه ما هو إلا بوابة لكشف ألمها.

- "وإنتي بغضبك هتعملي إيه؟"

كانت بصدد أن تنهره وتدافع عن نفسها أنّها لم تغضب وتترك
البيت، لكن الفرس بداخلها استكانت للوجع، قالت:

- "خلي الغندورة تنفّعه"

- "بالضبط. . ندميه"

نظرت إليه مدهوشة:

- "ولد!!"

- "أنا مقولتش حاجة غلط، يا عمتي إنتي ناقص تجييلو نجوم السما تحطيها تحت رجليه، شبعتيه منك. . جوعيه"

- "ياد اختشي"

- "أنا راجل وعارف الرجالة بتفكر إزاي. هاتيله ولد"

فشهقت قائلة:

- "يخرب عقلك عيل بجح بصحيح"

أجابها بضحكة وهو يرشف الشاي رشفة واحدة، ويشعل سيجارة:

- "إنتي لسة شباب. . هاتي الولد، وساعتها حطي شروطك"

- "وافرض جبت بت؟"

فابتسم من انصياعها لمكره وقال:

- "هتجيبي واد"

كان واثقاً وكأنَّ حجاباً من سماء ثامنة مرفوع عنه.

- "يلا بقا عشان تتابعي معايا آراب جوت تالنت. قال إيه. ."

العرب عندهم مواهب"

وراح يقهقه عاليًا، وقد عبث برأس زوجة عمّه كفاية.

وإذا بأمه تنضم إليهما:

- "البرنامج جه يا ابني؟"

- "تعالى يا ماما"

- "زارنا النبي"

لفظتها أمه حين انضمت إليهم..

فراح يسرح بجملته أمه الأخيرة، "زارنا النبي"، فانتفضت روحه.
أما في غرفة يسرا، فكانت الفتاتان تتحدثان ويعوضان ما
فاتهما، في حين تنبّهت يسرا أن مفكرتها مفقودة.

٣٦

جلس على الأريكة المتهالكة، أمام صندوق التلفاز الصغير،
وبيمينه دخانه، وبيساره شاي أحمر بالنعناع. شيء في جلسته
يعكس الصبر وقلة الحيلة. يُقال أن الصبر وقلة الحيلة إن اجتمعا
معًا يكون الشقاء ثالثهما. وهكذا هو أمجد. شقي بطبعه، لكنّه
اعتاد.

رشفة شاي وأخرى، أمام صافيناز الراقصة، وهي تتمايل بغنج
شيطاني، حتّى تظنّها هي الأنثى والباقي بقايا إناث، أو أنهنّ بقايا.
راح يطالع حركاتها بشغف، ويساءل نفسه عمّا إذا كانت أميرة
تستطيع الرقص مثلها. حريّ بها أن تستطيع. راح يتخيلها ترقص
له بما ابتاعه لها من قمصان نوم حريرية، وهو يرتدي جلبابًا
ويحمل عصا كمصطفى شعبان في أحد المسلسلات الرمضانية.

كم هو مشتاق لأميرته، أن يجتمع وإياها في بيت واحد. على
نخب حياة!

- "آدي الي أنت فالج فيه"

أتاه صوت والده وهو يقف بجوار التلفاز، نظر إليه أمجد
نظرة عابرة، لكنه سرعان ما عاد لتلك الاهتزازات الجسدية.

فأردف أبوه قائلاً:

- "يا فاشل يا عديم الرباية"

وإذا بأمجد يجيب ودون أن ينظر إليه:

- "منور يا حج"

- "قاعد النهارده ليه يا خبيتها؟ مش وراك شغل؟"

- "البنك قافل النهاردة، وكمان تعبان موت"

- "ليه يا خويا؟ هو معادها ولا إيه؟"

- "معاد إيه يا بابا؟ عيب الكلام ده يا حج"

- "واللي أنت بتعمله ده إيه؟ مش عيب؟ ركنت يعني بعد

ما صاحبك اتصدق عليك بالشُّقة"

حاول أمجد أن يتجاهل ثقل ما تلفظ به والده لتوّه وقال:

- "يتصدّق؟! ما أنا هدفعله كل شهر. ."

- "بزمتهك. . بزمتهك أنت راجل أنت؟"

- "عايز إيه يا حج السعادي؟"

أجابه أمجد غاضبًا بعد أن دفن سيجارته في قلب الطاولة

الخشبية، وأخذ كوب الشاي وتوجه إلى الشُّرفة.

جلس مغتاطًا على كرسي خشبي، يطالع شُرفة أميرة التي لا

تزال في عملها. ثم يطالع السَّماء يسألها جناحين. لكن السَّماء لا

تجيب، السَّماء حُلِقَتْ بلا عمد، لنطالع سحابها الهارب، وسحابها

الشَّارد، وهو يسير في وجهةٍ واحدة، على ترانيم الملائكة.

"اللهم إني أشكو إليك ضعفي وقلة حيلتي" . . . هكذا همست روحه للإله، وهمس الروح سرًا، هو وجع على وجع. لكنّه مع هذا، يدري أنّ الله رحيم، وأنه يسمع همسات روحه.

أمجد لم يكن يومًا سعيدًا كما ظنّ حين أهده صديقه الشُّقة. شعر بأنه يرفض هذه النعمة القادمة على طبق من ماس. شعر برجولته تنتفض، ولكنها رجولة بلا حيلة. فعاد يطلب من السَّماء جناحين، لكنها ظلت صامتة، لا تُجيب، بل تغيظه بكبرها وتفوقها عليه زُرقةً ونقاءً.

شرب الشاي رشفة واحدة، في حين لحاق والده به مجددًا:

- "في الثانوية وفشلت، وفي الجامعة وفشلت. ومش فالح ألاً تقعد ع التلفزيون وتروح على قهاوي وسط البلد إنت وشلّة الفساد"

- "صحابي مش فساد. . أنت جاي ورايا ليه يا حج؟ ما أنا سبتلك الصالة ومشيت، عايزني أغور برا البيت؟"

- "فداهية بدل ما أنت قاعد زي النسوان كده"

- "يا حج، يا حج بالله عليك سبني في حالي السعادي، هتسمع بيّننا الجيران"

فأجابه والده بعد أن ضحك ساخرًا:

- "الجيران كلها شاهدين على فشلك بقالهم عشرين سنة، إيه الجديد؟"

فحاول أمجد تدارك الموقف بقوله مازحًا:

- "شكلها جتلك يا حج عشان كده نفسيتك مش متضبطة"

لكن والده تابع قوله وكأنه لا يسمع سوى نفسه:

- "الجيران عارفين اللي فيها، وعارفين أنك فاشل هتعيش على قفا صاحبك، والبنت أميرة ماسكة فيك أكنك سبع البرومبة. ملكش ولا موقف عندي عدل أفتكرك بيه، حتّى أيام الثورة كنت بتنام ولا هان عليك في يوم تنزل الميدان زي الأحرار"

فانتفض أمجد عن كرسيه ساخطاً وقال:

- "هم الأحرار عملوا إيه يعني؟ البلد دي لو حصلت فيها ١٠٠ ثورة، عمرها ما هتتغير. وهفضل في القاع أسفل سافلين. كنت عايزني أنزل الميدان واتضرب بالرصاص؟"

فأتى صوت أمه من الداخل:

- "بعد الشر، ما تستهدوا كده بالله! في إيه؟"

فأجابته والده سريعاً وقد تجاهلها:

- "ع الأقل تموت شهيد وترفع راسي"

- "شهيد؟ أقولك على حاجة يا حج؟ سايبها لك وماشي"

وخرج غاضباً من الشُّقة رغم محاولات أمه بالبقاء، أما والده فراح يطالعه من الشُّرفة يركل الهواء بسخط.

كم يكره حلوان وأجواءها، وحتّى هواءها، يبدو مزحومًا حين تستنشقه رئتاه، فلا يكون هواء. اندفن مع المُشاة في ذلك السوق العشوائي قرب المترو، والبشر يسرون وكأنهم يتدافعون ولكنهم لا يتدافعون، هم فقط مثقلون بالحياة. أخرج هاتفه يتصل بأميرة،

لكنها لم تجب. فضاقت به الدنيا على وسعها. فعاد ينظر إلى السماء في تعب، فسقط على جبينه شيء حديدي صغير. فتأوه من الألم وهو ينظر أسفله ليجد ربع جنيه "مخروم". راح يفرك رأسه وهو يتناوله من الأرض فرحًا.

- "دي علامة يا مارد"

راح يحادث نفسه بصوت مرتفع.

كيف تأتي سعادة الدنيا بأصغر الأشياء؟ هل لأنها تأتي سهوة أم وقت الحاجة؟ هل لأننا نتوق للقناعة؟ القناعة التي بها تكتفي الروح وترضى، القناعة التي نكتفي منها فنستغني.

نظر للعملة المعدنية فرحًا، وتناسى ألم جبينه، وهو يضعه في محفظته في خانة خاصة، لا شك في أنها علامة إلهية، وإذا بنفسه تهدأ، وروحه تستكين.

لربما هي علامة بخير قادم له، أو بشرى طيبة لأمر طيب.

عاد لمنزله، يحمل بطيخة كبيرة. واستقبلته أمه فرحة ودعوة على شفيتها له بالهداية.

- "فين الحج أو مال؟"

سألها باسمًا.

- "لسه في البلكونة جوا"

أجابته وهي تتناول منه البطيخة لتقوم بتقطيعها مع الجبنة البيضاء كما تحب العائلة. اتجه أمجد إلى الشرفة، ليجد والده حيث تركه، واقفًا، ولكنّه أشعل سيجارة، ليشعل معها عمرًا من عمره.

- "يا حج. "

ناداه معاتبًا.

فالتفت إليه أباه، لكنّه لم يرد. فاقترب منه أمجد وراح يسند على السور بذراعيه مثله وقال:

- "كان نفسي أكون أنجح واد فيكي يا حلوان، بس عارف لما الدنيا تمشي بظهرها؟ عارف لما تبقى زي العيل الصغير الي ماسك في طرف هدموم الحياة تقوم شاداه منك وتسيبك تقع لوحذك؟ لا وإيه. . لازم تقف لوحذك. صدقني يابا حاولت. مرتبي ٢٠٠٠ جنيه في الشهر، ولا بيزيد ولا بيقل. كنت هجيب شقة منين؟ حتّى الجمعية الي طفحنا الكوتة عشان نجمعها، جُم وولد الحرام وسرقوها. تخيل بقا لو مكنش الشرقاوي وقف جمبي، كنت هجيب شقة منين؟ . بس ده مش معناه إني مبسوط يا بابا، أنا ظهري مقسوم نصين عشان هدخل أميرة في شقة أنا متعبتش علشانها، حاسس إني راجل مطعون في أغلى حاجة عنده. . رجولته. وصابر يابا وبدعي ربنا. غيرنا مش لاقين سقف يستر عليهم "

- "خلصت الخطاب والشويتين بتوعك؟"

- "إهدى بس كده يا بابا"

- "ليه شايفني مجنون ولا مجنون؟"

فأتى صوت أم أمجد من الداخل تقول:

- "جرى ايه يا سامح؟؟ إهدى ع الواد أومال وتعالى كل بطيخ من الي جابه. . قشطة"

فنظر والده إليه وقال بازدرء:

- "بطيخ؟! أهو ده آخرك. . بطيخ"

الروح حين يكسرها أب لابنه يكون طيفها مريراً كافي ليحدث عاهة مُستديمة فيها. الأب ما هو إلا واجهة لطفولة ابنه، وانعكاس لوجوده القادم والسابق. هناك رجولة مشتركة بينهما، تبدأ حين يظهر جنسه في بطن أمه، "ولد". هي علاقة احتواء، أحدهما يحتوي الآخر، فكيف يكون المُحتَوَى أشد قسوة على المُحتَوَى؟ أليس هو القالب الذي من المفترض أن يلين حتّى يتجسد المُحتَوَى بداخله ويهنأ لوجوده؟

كانت كلها نظرات انكسار كالشَّرر تُصيب والده، الذي أشاح يديه قبل خروجه من الشُّرفة. لم ينظر أمجد إلى السَّماء هذه المرة. بل خرج من المنزل صامتاً وهو يتحسّس العملة المعدنية في حافظته الجلدية، متسائلاً: هل الأجمال لم يأت بعد؟ لحظات واتصل به الشُّرقاوي، يُخبره أنه ويزن وعبدالله ينتظرونه في المقهى المعتاد بمحمد نجيب. فتوجه فرحاً إلى المترو. والبشر يسرون وكأنهم يتدافعون ولكنهم لا يتدافعون.



- "مين اللي رسم الصورة اللي في أوضتك دي؟"

كانت تلك لبني، تسأل ابنة أخيها بهدوء وهي تنفث الدخان عاليًا. نظرت صوبها فرح وهي واقفة أمام المرأة تُعيد تهذيب خصلات شعرها متوجهة للملهى الليالي المعتاد. قالت بذات الهدوء:

- "حلوة صح؟"

- "بسألك مين رسمها وترسمت إزاي؟"

- "آه"

أجابتها فرح بسخرية، ثم قالت:

- "مين رسمها دي ملكيش علاقة بيها مع احترامي الشديد ليكي، اترسمت إزاي.. فمتقلقيش، دي من خيال الرسام زي ما هو واضح، يعني أنا من الآخر موقفتش عريانة قدام حد"

كانت لبني تحرك قدمها وهي فوق الأخرى، صمتت قليلًا قبل أن تقول:

- "انتي بتحبي جديد؟"

- "ياسر جالك قريب؟"

- "هي بقت كده؟"

- "آه.. ياسر جالك قريب؟"

- " ملكيش دعوة. "

- " بصي. . أنا مش فارق معايا تشوفيه ولا لأ. . المهم مقابلاتكو متكونش هنا"

- " لسه بتحببيه. ؟ "

كان سؤالاً صاعقاً بالنسبة لفرح، من أعلنت حداداً على العشق والعاشقين يوم عرفت حبّه. كيف ستُجيب عمّتها الآن عن هذا السؤال؟ عمّتها. . من خانتها. . معه.

صمتت قليلاً فرح قبل أن تجيبها، لو كانت على حالها القديمة -قبل معرفة يزن- لكانت أعلنت حروباً طاحنة على عمّتها. لكن الآن أصبحت معرفة يزن مقترنة اقتران كلي وغير مفهوم بالسعادة المخمورة بالجنون. تبدو الأشياء بقربه أجمل، هي المؤمنة بمبدأ أن كل الأشياء تبدو من بعيد أجمل. الآن أصبحت كافرة بهذا المبدأ، وتشتهي قربه.

لم تسمح لفرس الغضب بداخلها أن ينطلق باتجاه لبنى، وقالت بهدوء مكتسب من يزن:

- " سؤال لا يستحق الإجابة. . مين ده اللي لسه بحبه؟ ياسر؟ اللي خاني معاكي؟ واتجراً أنه يمارس دور الحبيب معاكي على حساب قلبي؟ ياسر اللي حاول يتعرضلي بدل المرة ألف لما كنتي بتسيبي معاه مفتاح البيت؟ ياسر اللي محاولتيش تمنعيه عني، وسيبيني أنا اللي أغير مفاتيح الشقة وأعمله محضر بعدم التعرض. لا يا لبنى. . أنا مش بحب ياسر، ولا بقيت أشرب من بعد حبه، وأبقى مدمنة كحول"

كان تصريحًا قاسيًا تلقته لبنى بثبات، وابتلعتة رثيتها مع
سحاب الدخان، ولم تعقب. . إثمًا شردت مع الأمس، وغابت في
طياته وثناياه، وكأنَّ الأمس عنكبوتي الهوى، أمس سجنها في شباكه
العنكبوتية، وها هي في انتظار الهلاك، أو معجزة. لكن هذا ليس
زمن المعجزات أحبائي، المعجزات هي كذبة أنيقة تكذب بها على
أنفسنا، المعجزات كانت في زمن الأنبياء، ونحن لسنا بأنبياء، أو
أننا. . أنبياء، ولكن بلا معجزات.

لكئها لم تكن الوحيدة التي غرقت مع الأمس، ففرح هي
الأخرى، لم تكن مُستعدة بعد للتخلي عنه، كما لم يكن الأمس
مستعد للتخلي عنها، هما في حالة انصهار مع الآخر، انصهار حدِّ
التوحد.

"١"

المكان: قاهري الهوى

الزمان: ذات وجع

فرح، حيث كانت أنثى بروح طفلة مغامرة، تُثير ببهجتها
مقاعد الدراسة الجامعية في الجامعة الأمريكية كلية إعلام، حيث
عشقت المجال مُنذُ كانت طفلة، وكانت تعشق الوقوف أمام
المرآة ويدها جهاز التحكم في التلفاز وكأنَّه ميكروفون. تتخيل
نفسها تخاطب وتستضيف البشر، وتحاورهم، وتشاكسهم، وتثير
حفيظتهم. تتخيل نفسها قريبة كل القرب منهم، وكأنَّها صوتهم
حين لا يوجد ما يُقال.

وكان والديها قبيل وفاتهم، درعها ومأواها، من شجعوها حبًا، وآزروها عشقًا. كانت تلك فرح، قبل أن ينهش روحها الموت. كانت الحياة تبتسم لها بشكل يُثير الريبة. ظننت عمرها محظوظة، أو مُكرّمة من الحياة. لكن للحياة قصص أخرى وخبايا تصفنا على حين أمان، على حين سهوة.

وفي السنة الأخيرة في الجامعة، مرّ بقلبها ياسر. المُعيد الوسيم في الجامعة، مَنْ كان يتكفل بتعليمهم فنون الالقاء وإدارة الحوار، لكنّه لم يتكفل سوى بفنون جعلها تهوي في حبه، ليدير قلبها. وكم أداره!!

كان فارسًا على جواد أبيض، تهنأ الروح لرؤياه، كان حبيبًا وصديقًا وأخًا وأبًا. ولكن، دومًا للواقع قصته الخاصة، قصة أشدّ وجعًا من أصواتنا حين تقصها. للواقع دومًا حسابات أخرى. ومرت الأيام وبارك الأهلان قربهما. وبارك قلبها وجوده كنبض مستديم فيه.

وأتى سيف لا ينسى. . .

حين تشتهي الأقدار إيلام أبنائها. . .

سافر أبويها في رحلة لشرم الشيخ، وعلى الطريق السريع انتهت الحياة، وأعلن قلبيهما إيقاف إيمانهما بالحياة. . وبدأ اعتناق الموت. .

وحلّت الفاجعة، ودقّت أجراس الموت، وحلّقت الملائكة بعيدًا وجناحيها. وطلّت ملائكة الموت وجناحيها. . تضمان. . فرح، من خلت روحها من الفرحة.

وحين يموت الأحبة، نُلقَى بأنفسنا إلى خير مأوى، أو شر تهلكة.
. هروبًا من الموت.

وياسر لم يكن سوى التهلكة. . إذ لم يخلص في نواياه. انتقلت
بعدها بفترة، الأرملة السوداء، لبنى، تعيش معها بعد انتقال
فرح من بيت العائلة، لشقة خاصة.

وبطبيعة الأحوال توطدت علاقة لبنى بياسر كثير التردد
والاطمئنان على فرح.

ومضت الأيام، وفرح تشتهي أن تُعافي روحها، وبدأت تقف
على قدميها وإن كانت عزيمة مكسورة. إلا أنها أبت أن تقتل
الحلم، حلم والديها بأن تعتلي عرشًا إعلاميًا ذات يوم. فاجتهدت
وصبرت وتصبرت. . . في حين تمرد ياسر، الذي لاحظت عليه تغييرًا
جذريًا في شخصه. نظراته لم تكن هي نظرات الدفاء، أصبحت
شهوانية عنيفة، يديه، وقبلاته لم تعد نابذة عن حب، إنما شهوة.
صوته وهمسه ليلاً حين يحدثها هاتفياً، أصبح مشكوكًا في نقائه.
حاولت أن تنهره وتعنفه، فيهدأ، لكنّه سرعان ما يعود لخلقه
الأول. ولكنّه الحب من يجعل الحبيب كاملاً ولو كان إبليسا، هو
إبليس جميل وأنيق في نظر الأحبة، وهكذا كان ياسر في قلب
فرح. وكم أعماها حبه.

كانت تُمنّي نفسها بأنّها فترة وستنقضي، وأنه شاب كباقي
الشباب. .

إلى أن خرجا سوية وكانا في السيارة معًا في طريقهما إلى العودة.
. حين وعدها بأن يصبح أفضل، وبحب صدقته. توقفا أمام منزلها:

- "هوريكى حاجة. ."

نظرت إليه باسمه وهو يقلب في هاتفه وهو يده لها، وأردف
قائلاً:

- "خدي شوفي ده. "

ناولها إياه، فأخذته باسمه، راحت تنظر إلى الشاشة للحظات
وهي لا تدرك ماذا تشاهد تحديداً. . . إلى أن شهقت فجأة:

- "أنت اتخبلت في عقلك؟"

- "إيه بس يا موز. . مالك؟"

فصرخت به قائلة:

- "مالي؟! بتفرجني أفلام جنسية. ؟"

- "أهدي بس. . أنا قلت أفرجك عادي عشان تشوفي الدنيا
فيها إيه"

واقترب منها يريد أن يأكل شفيتها كحبة تين، لكنها أبعدته
عنها بشراسة، حاول أن يلجّم يديها لكنها صفعته، وخرجت من
السّيارة بغضب:

- "أمشي يا ياسر من قدامي السعادي"

- "يا فوفي أنا خطيبك انتي بتعامليني كده ليه؟! فكيتها
شوية."

- "مش طايقة أشوفك دلوقتي. "

وتركته وصعدت إلى شقتها، والأرملة السوداء لبنى تطالعهم
من خلف الستار. دخلت غرفتها مهمومة به وهي لا تدري أين

هو الإثم الذي اقترفته . أم أن حبه هو إثمها؟ . وفي تلك الأثناء،
صعد ياسر إلى الشقة أيضاً، وكانت لبنى من فتحت له الباب. .
كانت ترتدي روبًا حريريًا يصل إلى ركبتيها، يظهر كتفيها
العريضين وزوجا البرتقال الاستوائي بشكل ملحوظ، أما ساقها
فكانتا لا تشوبهما شائبة، كم أحسن الإله في خلقهما. دعت
للدخول. وجلسا في الصالون، سألته:

- "حصل إيه بس تاني؟"

- "بتخاف مني. . وقافشة عليا وعلى نفسي ولا كإني خاطبها
وهنتجوز كمان شهر"

- "معلش هي بس على أعصابها اليومين دول. ."

ثم صمتت قليلاً وقالت:

- "بس أنت برضو شقي. ."

وابتسمت بمكر لرجولته الطاغية.

وقابل ابتسامتها الماكرة بأخرى مُستقبلة، وقال:

- "شقي إيه بس. . ده أنا غلبان. عارفة. . ساعات بحس إنها

مش بنوتة كده، مش قصدي شكلا، هي زي القمر، بس بحسها
ناشفة، زي صاحبي بركات كده"

وإذا بلبنى تضحك عاليًا بدلال، وتقول:

- "لا مش قوي كده. . هي بس محتاجة تفكها شوية زي ما

أنت قلت"

وراحت تضع قدم فوق قدم فيرتفع الروب أعلى ركبتيها
وكأنها تدعوه لرؤية بياض ساقها لؤلؤي الهوى، فقال وهو سارح
في ملكوتها:

- "أنا مش عارف هي مطلعتش زي عمّتها ليه. . إنتي عارفة.
. لو أنا أكبر بعشر سنين. . كنت خطفتك"

كان غزلاً صريحاً، لكنّه أوجعها. العمر بالنسبة للإناث بعد
عمر الأربعين يصبح حساساً، وكأنّه خنجر في أنوثتها. وهكذا كانت
لبنى، الأربعينية الجميلة، التي تتمنى لو عادت وجسدها وروحها
إلى سن الثلاثين ولا تكبر قط، كامرأة خالدة الجمال، أو مصاصة
دماء لا تشيخ أبداً. لكنّها تتجه لحقن البوتوكس والكولاجين ترجو
منها أن تخفي سنين العمر وآثاره على العينين والخدين، وخطوط
الضحك، وعلامات الغضب.

ومن هنا بدأ الكيد. . فكيف له أن يأتي بذكر العمر في
حضرتها؟ هي من ترى نفسها ملكة. . كملكات الإغريق، يسحرن
العقول والأبصار.

وإذا بها تنقلب زليخا، امرأة العزيز، لتراود فتاها عن نفسه،
لكنّه مُستقبل، مرّحب. .

ترك أبواب الولّك مفتوحة لها على مصراعيها، بل راودها
بعينيّه عن نفسها، ولم يعتصما.

انضمت لهما فرح، وقد غيرت ثيابها، كانت عينيها مغطاه
بالماسكارا المعطشة بدموعها. قالت بثبات:

- "أنا مش عايزة أكمل مع إنسان زيك، خد دبلتك . . واتفضل
من هنا مش عايزة أشوفك تاني"

نهض ياسر غاضبًا، وكأنَّها تهين رجولته أمام أنوثة لبنى
الطاغية، وراح يسب ويلعن ويتوعد. ثم أطبق من خلفه الباب،
فعدت فرح لبكائها، فاحتضنتها لبنى بصمت، وهي تفكر جديا
ب: " هيت لك "



٣٨

"٢"

المكان: لا يهم. . فالوجع كله واحد

الزمان: هل سيحدث هذا فارقًا؟!

كيف تصبح العاشقة عاشقة برتبة مُدمنة، تغفر الخطايا
وتنسى الذنوب، وكأنَّها قديسة، ولكن قديسة منقوصة، أصابها
عطب روحاني، اسمه إثم الحبيب!

وهكذا ظلَّ إثم ياسر يتدلَّى على عنقها، فيثقله، وإذا بروحها
تتلاشى تدريجيًا. . ولكنها مع هذا. . تحبه. .!

ظنَّت أنَّها بهجرانها له تعاقبه، وأنَّه سيعود إليها شيخًا تائبًا
يطلب رضاها وعطفها، ظنَّت أن القسوة هي الحل، وإن كانت

تتآكل داخلها . إلا أنها ادّعت الصمود في سبيل العشق، إذ العشق يستحق منا القسوة أحياناً . لكي يحيا ولا يقتله العطف .

ولدى هجرانها إياه .

أثقل اليتيم كتفيها، ولكنها لم تتنازل قط أن تحدثه، لكن غيابه كان يقتلها .

وكانت أخرى . . أنثى تنتظر . . على قارعة هجران .
وذات فاجعة . .

عادت من جامعتها مبكراً، استغنت عن حضور المحاضرة الأخيرة . . وقد أيقنت أنه يعاقبها بالفعل إذ تم استبداله بمعيد بديل مؤقت .

دخلت شقتها مُثقلة به، جلست على أحد المقاعد، جالت بناظرها على سهوة على الطاولة، فوجدت مفاتيح سيارة ياسر . لم تستوعب أنه موجود إلا حينما وجدت حذاءه قرب الباب .

قادتها قدمها إلى الداخل بجسد مُغيب، إلى غرفة لبنى . . كان الباب مفتوحاً النصف، دفعته بهدوء . .

لتجد حبيبها وعمّتها يتبادلان الهوى

والخطيئة تهبط وتصعد معهما في عُجالة . . .

شهقت . . وكانت شهقة أقرب إلى الموت . . وقفت تطالعهم وهم يداروا سوءاتهم بأغطية لا تقل فُجراً عنهم، كانت تشهق وطفولتها تشهق أنفاسها الأخيرة إثر هذا المشهد المُفزع .

كان مشهداً لا يحتاج صراخاً، أو كلاماً. . شهقاتها كانت تكفي. لم يبرر أحدهم أي شيء، كانت لبني تجلس على طرف السرير، وياسر يقف قبالتها، وكلاهما يطالعان الأرضية، هل تمنيا لو انشقت وابتلعتهما. . ماذا كانت أمنية فرح يا ترى نظيراً لأمنيتهما؟

خرجت من الغرفة وقد اكتفت باستنشاق العُري والخطايا، وخرجت بلا وجهة تحصي وجعها وقد تشابه في نفسها الحياة والموت. . الوجع والفرح أصبحا سيان، بل إنَّها أصبحت موبوءة بالوجع لا غيره، تشرَّبته مسامها، استنشقت رثيتها، غمر عمرها غمراً ولم يقصر.

بلغ الألم مبلغه، وزُهِقت الروح غدرًا، كالموت حين يأتي فجأة بلا مقدمات، فيطلق أشباحه في الجوار تدندن معزوفاتها المُميتة، فتصيب شرايين الحياة، تخنقها خنقًا، تُثير روائحها القاتلة، تزجُّ بالسعادة في زنازين الغياب، ويكون الحكم غيابياً على شرف الوجع. وهل للوجع شرف؟ الوجع دومًا لا شرف له، هو ابن خطيئة، يأتي في الأوقات التي نتوقعها الأقل، ولا نرجوها الأكثر. يأتي دون دعوة كضيف ثقيل الظلال يجبرك جبرًا على استضافته وقلبك خاويًا لا شيء به لتقدمه له، لكنَّه مع هذا مُحتل، لا ينفك يحتلك وكأنك قُدسه، وكأنك أرضه المقدسة التي يقتل خيراتها الخضراء، يحرق ورودها، يُسبي سماءها، يغتصب روحها. . هذا هو الوجع، ابن خطيئة.

خرجت من السَّيارة وهي لا تدري كيف وصلت إلى الكورنيش. دعاها النيل لتتقاسم وجعها العري معه. وقفت أمامه. . تطالع الغياب، ونسيم الهواء لا يشفيها. لم تبكي، الدموع أحيانًا لا تُسمن ولا تُغني من راحة، تصبح كقلتها. تمت لو تُمطر السَّماء. . المطر

سيكون جميلاً لو كان يهطل صيفاً، ليخفف ضجيج الشمس،
والقلوب المحترقة، لكنه لا يهطل.

أمسكت سور الكورنيش المشتعل، لكنها لم تكثرث، وكأنها تريد
أن تذوق جهنم.. هل سيقبلها الله؟

راحت تتسلق السور كالمنومة مغناطيسيًا وقد عزمت على
الموت ولا شيء سواه..

صراخ.. عويل.. بعثرة.. واحتشد الناس حولها وقد وصلت
إلى الجهة الأخرى وهي لا تزال مُمسكة بالسور بعزم يخلو من
الحياة. كم بدا الموت شهياً في مياه النيل. راحت تمّني نفسها
أنها حين تلقي بنفسها في النيل وتزهق روحها، ستهرب روحها
لعالم موازٍ آخر، تصبح فيه حورية ربما، أو جنية بجناحين..

فردت ذراعها.. وأغمضت عينيها.. ووسط توسلات الناس،
ورهبتهم.. قفزت تعانق الموت، ولم تبالي.

لكن الموت لم يستقبلها، بالرغم من أنها أحبت معانقته،
استيقظت لتجد نفسها بإحدى المستشفيات، بوجود ممرضة
وفتاة جامحة لا تعرفها تنادي:

- "كريم.. كريم.. أهي صحيت يا كريم.."

نظرت بإجهد صوبَ الباب لتجد المدعو كريم..

- "انتي عاملة إيه دلوقتي؟ إنتي كويسة؟"

سألها الفتاة الجامحة.. فأجابت فرح بتعب:

- "انتي مين؟"

- "أنا أيتن وده كريم. . اللي أنقذك ونط وراكي"

كانت فرح تشعر بالغضب اتجاهه، لكنّها لم تعقب، إذ أطبق
الوجع على غضبها.

ومن هنا كانت البداية. . وإن كان خالطها الموت، حتّى الموت
بعده حياة.

وتأتي الصدف أحياناً بما تشتهي القلوب، أيتن وكريم مجهولان،
أمدا لها يد الحياة، وكانت صداقة أخرى على نخب جنون.
كلاهما خريجي كلية إعلام، وكان كريم مدعوم إعلامياً، وله أقارب
هنا وهناك، يستطيعون دفعه للإمام بكلمة في أذن مسؤول، وقرش
في جيب آخر. واستطاع أخيراً أن يصل إلى أحد القنوات في مبنى
الإذاعة والتلفزيون، وأن يكون بمساعدة أيتن أحد مُعدّي البرامج
الصباحية التي بدا لها جمهور صباحي أنيق. .

استطاعت فرح مع الأيام أن تبتلع غضبها، وأن تستقبل الحياة
مجدداً، وإن كان بلا أمل.

عملا على تجنيدها، وإبعادها عن عمّتها التي حاولت جاهدة
أن تسترضيها. لكن للخيانة قصص أخرى لا تموت.

مضت سنة، عاشت فيها فرح قرب أيتن وكريم احتضانها، وإن
كانا غير قابلين لذلك كلياً إذ سرعان ما علمت بإلحادهما. . لكنّها
ظلت تحمّل الجميل. . أقلّه لتنهض من جديد.

تخرّجت، وانغمست في التدريبات الإعلامية، وإذا بها تتحوّل
إلى آلة أصاب روحها عطب دائم. لذلك وجدت نفسها ذات ليلة

تعود لعمّتها في زيارة مفاجئة، ليس للحنين.. بل لأن الأمر ما عاد يؤلمها.

شَلَّ نبض لبنى لدى رؤيتها لابنة أخيها، لكنّها لم تستطع أن تعانقها. الذنب كان أثقل تلك المرة. .

- "إزيك يا لبنى؟"

استغنت فرح عن لفظ "عمتو"، ونادتها باسمها عاريًا، كما رأتها عاريةً آخر مرة. ابتلعت لبنى دهشتها وقالت:

- "بخير.. . اتفضلي"

دخلت فرح إلى الشّقة بثقة، وراحت تطالع التغيّرات الهائلة التي حدثت في الشّقة، وقالت:

- "ممممم.. . بيج.. . كان يبحب البيج قوي. إنتو لسه مع بعض؟"

- "وحشتيني يا ليلي.. . وكلي فخر بيكي وباللي وصلتيه"

- "إنتو لسه مع بعض؟"

صمتت قليلاً لبنى قبل أن تجيب بانكسار:

- "زي ما خنتك خاني، مع اللي يسوى واللي ما يسواش، وبقي يعايرني بالخمستاشر سنة اللي بيني وبينه ويتريق عليًا لما منعت عنه الفلوس"

فإذا بفرح تضحك بسخرية قائلةً:

- "ياه.. هو كمان كان ناهبك زي ما كان ناهبني؟ صحيح
الزباله زباله طول عمره. أظن إن انتي اتعاقبتني كفاية يا لبنى،
أنا راجعة الشقة بكرة، بس لازم اللون المقرف ده يتغير"

- "سامحيني..."

- "ربنا يسامحك.."

- "فرح.."

فنظرت إليها فرح بجمود وإذا بلبنى تقول:

- "أنا مريضة بيه، ساعديني اتخلص منه، ده لعنة"

فرفعت فرح حاجبًا وقالت:

- "مش انتي قلتي خانك يا سوسو؟ مش عارفة تتخلصي منه ليه؟"

وتوجهت تجلس على الأريكة حين وجدت على الطاولة
زجاجة فودكا خالية.

- "ياااه.. وكمان بتشري؟"

لحظات وإذا بأحدهم يفتح الباب، وكان ياسرًا، وكأنه سيد
البيت.

تفاجئت فرح من هول المفاجأة ولم تنطق للحظات قبل أن
تصيح قائلة:

- "وكمان معاك مفتاح شقتي يا معفن؟؟ الله الله يا ست لبنى"

فانقضت لبنى على ياسر تدفعه للخارج وهو يصدها قائلاً:

- "اصبري يا سكرانة يا بنت المعربدين"

وإذا بغضب فرح بداخلها يصحو فجأة، وإذا بدمائها تنتفض
لعمتها ولو متأخرًا، إذ لعمتها عينا وبحة صوت والدها، فعاد
الحنين. فانقضت عليه هي الأخرى قائلة:

- "متقولش على عمتي سكرانة يا واطي يا عديم الرجولة.
اخرج برا لأمّ عليك الخلق يقطعوك يا خاين يا شحات"
ودفعتاه خارجًا، وهو يضحك كالمجانين ساخرًا منهما. وأقفلتا
الباب فضربه من الخارج قائلاً:

- "كنتي فين ليكي سنة؟ ماشية على حل شعرك مع مين؟
وعايشة مع مين يا بتاعة البرامج الصباحية. إنتو الاتنين أنجس
من بعض"

وضرب الباب مجددًا. واختفى أثره.

- "سامحيني على كل حاجة. ربنا بياخد حقك مني"

فنظرت فرح إليها بعينين دامعتين، وقالت:

- "بالضبط. ربنا. منك لربنا."

لله الأمر من قبل ومن بعد، كل شيء عنده بمقدار، له حكمة
التدبير، أمره بين الكاف والنون. وبينهما الخلق جميعًا.

تصبح الأماني مرهقة، حين يطول انتظارها، وكأنّها الجنين الذي آثر أرحام الأبدية، ولكنّه ذاك المخاض الأبدي الذي يقسمنا النّصف، كم مرهق هو ذاك المخاض، الذي لا فرج بعده. وها هي الأجساد مُثقلة بالأماني، وغربة الانتظار.

كانت أميرة تودع انتظار الأمنيات، وتلحق بدورها نجمة على "بساط حلم".

أحياناً تأتي الفرص، حين نتقن الاستغناء، كم يبقى طعمها مرّاً، حتّى وإن اكتفينها، ولكن مرارتها لا تكمن في انتظارنا لها مسبقاً، بل في روحنا حين كانت تواقّة تشتهي فرحاً، ولم يأت الفرع، عن كسرة النفس تلك، ولوعة الأمل.

ولكن يحدث حين نستغني عن الفرص، أن يأتي الحلم، على "بساط أمنية".

- "براحة يا بت يا آمال. ."

- "آخر مرة عملتي وشك كانت إمتي؟ إنتي مشجّرة يا بنتي!"

كانت تلك الكوافيرة آمال، من ترتاد لصالونها المتواضع أميرة، بين "النتف" والآخر.

أجابت أميرة:

- "هو أنا بلاقي وقت. . ؟"

- "يا بنتي لازم تلاقي وقت. . وشك جميل حرام متهتميش بيه ."
- "المهم اتخطبت عن حب عاصف وحببيي بيحبني زي ما أنا
بشيجيراتي وحشائشي كده".

وأطلقت ضحكة مرحة تلائم الأجواء هنالك، فقالت آمال:

- "يخببك. . إيه اللي كسر سنتك كده يا بت؟"

فتبدل وجه أميرة الضاحك، إلى آخر عابس وقالت:

- "متفكرينيش والنبى. ."

وسافر عقلها إلى جزيرة مشؤومة وألم أسابع.

قالت آمال وقد انتهت من وظيفتها:

- "مش عايزة تصبغي شعرك؟ الجذور محتاجة صبغة"

- "لأ مش دلوقتي. ."

ثم صمتت قليلاً وقالت:

- "النيولوك الجديد هيبقى قبل الفرح بإذن الله"

فشهقت آمال وضربت صدرها قائلة:

- "إيه ده حددتوا معاد خلاص؟ بدري كده؟"

فقامت أميرة بتحريك كفها اتجاه وجه آمال قائلة بامتعاض:

- "الله أكبر، خمسة وخميسة. . لسة محدندناش حاجة، بس

هو قريب إن شاء الله"

- "والشقة؟"

فبردت روح أميرة، وقالت:

- "ربنا فرجها من عنده. "

وهكذا استغنت أميرة عن أشباح الانتظار، ولم تسر خطوة في اتجاه الحلم، بل سارت ألف برزخ.

فابتسمت آمال قائلة:

- "ربنا يتمم على خير يا روح قلبي.. والله ما حد مطبطك ليلتها غيري"

- "أنا أقدر يا حبي! حسابك كم؟"

- "لا علياً أنا المرادي بمناسبة الخبر السعيد ده"

- "ربنا يخليكي يا لومه. "

وقفزت أميرة عن مقعدها بطفولة الفرح، وخرجت من الصالون بعد أن وضعت قبلاتها الكثيرة على خدي آمال.

يعاتبنا الأمس، فإمّا أن نستجيب له ونقبل بحسرة الملامة، وإما أن نتركه بلا أسف وقد أثلج روحنا الوجد. الروح حين تعتنق الاستغناء، فاعلم أنها ذاقت من الخيبة ما يكفي، فاعتنقت رحيلاً. فتأذن الروح: أن حي على الرحيل.

وفي طريق خروجها وجدت أمجد هائماً على وجهه يسير. نادته، فالتفت إليها باسمًا:

- "مرحتيش شغلك ولا إيه؟"

- "النهارده أجازة يا زهايمر. "

- "إيه القمر ده؟ نصفتي بقا وكده؟"

- "لأ. "

- "يا بت وشك وارم ومحمر ومكنش كده امبارح"

- "لا كان كده بس أنت اللي مَحُول، تعالى اعزمني على قصب"

- "معيش فلوس"

- "تعالى أعزمك على قصب"

- "هو ده الكلام. "

فأمسكت يده وسارا في الحارة سوية وقد بارك سكانها لهما
عشقهما.

كان يسير إلى جوارها ويثقله الوجد، ينظر إلى نصف وجهها
الضحك وحكاياها الصاخبة، يسمعا حينًا ويشرد حينًا فلا يسمع
الكلام. . وعلى حين وجع أسكتها بقولها فجأة:

- "أميرة. . إنتي شايفة إني راجل؟"

فرفعت أميرة حاجبًا ولم تعقب، نظرت في عينيه فوجدت بقايا
دمع قديم، فقالت قلقة:

- "إيه السؤال ده؟"

- "جاوبيني. ."

ثم سكت قليلًا، وقال:

- "هنتجوز في شقة مجبتهاش بعرق جيبيني. كان نفسي أفرحك،

سامحيني حَقك عليًا"

تركت يده فجأة، وراحت تحرق بانكسار وجهه، قالت:

- "إيه الكلام ده يا ميجو؟ مش أنت اللي قتلتي إن دي نعمة من عند ربنا، وده تعويض من عنده؟"

- "أصل أبويا."

فقاطعته بشراسة قائلة:

- "الحج برضو؟ لا إله إلا الله، قال إيه تاني؟"

- "مقالش. . نظرتة هي هي. . إني فاشل. وبعد حوار الشُّقة، الموضوع زاد حبتين"

- "ودينني لأنا طالعاله"

وقامت برفع عباءة الصلاة تمهيدًا لخطوات كبيرة وأخرى سريعة مهاجمة، إلا أن أمجد أمسكها قائلاً:

- "اهدي بس. . أنا بفضفض معاي"

- "سييني"

وأبعدت يده عن ذراعه، إلا أنه أمسكها مجددًا:

- "لو بتحبييني. . اهدي. ."

قال كلمة السر، فهدأت باضطراب وقالت:

- "مينفعش اللي هو بيعمله ده، عايزنا نعمل إيه؟ ننهب؟ نسرق؟ مش شايف البلد حالها إزاي؟"

- "اهدي. ."

نظرت إليه بانكسار وتنهدت وكلها قلّة حيلة، ورفعت يدها إلى خده المنكسرة، وقالت:

- "هديت حبيبي..".

فقال في محاولة لتغيير مسار الحديث:

- "بس علشان بضعف وقلبي الصغير بيتحول خشافية ف
ثانية.. . فين القصب يا بت..؟"
- "آه.. . فكرتني..".

وعادت تمسك يده، باتجاه بائع العصير. فانقلبت الأدوار، أو
ربما نقل إليها عدوى وجعه، فأمست تسير إلى جواره محملة
بشقائه، لكن أملاً بداخلها أخبرها أن القادم أجمل.

ووصلا إليه، اندفعت أميرة تدافع المتجمعين حوله:

- "٣ قصب لو سمحت!"

وإذا بصوت يناديها من جوارها:

- "إزيك يا أميرة؟"

نظرت إلى الصوت، فوجدت أم عوض تطالعها:

- "أهلا إزيك يا طنط؟"

- "بخير يا بنتي.. . إنتي لسة عاملة وشك؟"

فاغتازت أميرة وقالت:

- "بصي، انتي تروحي تقعدي جمب بتاع الروبابكية اللي

براده، وتعددي ع الحارة وتقولي إن أنا عملت وشي.. . في إيه يا

جدعان؟!"

وقامت بأخذ الكوبين، وتركت أم عوض وتساؤلاتها، سألتها
أمجد:

- "عايزة منك إيه الولية دي؟"

- "ولا حاجة"

- "ابنها لسه بيضايقك؟"

- "لا يا روجي.. خد اشب"

- "تسلمي.."

فارتوى الظمأ، لكن القلب لم يرتو بعد.. هو قاب قوسين أو
أدنى من الارتواء، لكنه لن يرتوي كل الرّي.

وحين خروجهما صادفا عبدالله الذي تهلّل وجهه لرؤيتهما:

- "يا مرحب يا مرحب بأغلى جيران"

- "إزيك يا شيخ؟"

سألته أميرة، فأجابها وهو يطالع الأرض:

- "بخير يا ست البنات"

فقال أمجد مازحًا:

- "بتعمل إيه؟ بتغض البصر؟"

وانطلقت ضحكاته تشاكسها ضحكات أميرة التي قالت:

- "معلش، خليه، عبدالله ده الي فاضل من الشباب الطاهرة"

- "طاهرة!?"

سألها أمجد وأردف قائلاً:

فراح يعض على شفاهه السفلى سريعًا ويغمض عينيه
ويرجوها أن تخبره، فقالت:

- "اسمها دعاء.."

- "دعاء؟ مميم.. يلا.. أهو شبهه"

- "هروح أنا بقى عشان الغدا عليًا النهاردة"

- "هتعملي إيه؟"

- "مسقعة"

- "قلبي.. آه.. قلبي.. جاي وش، وأمك وحشاني أساسًا والحج

وأخوكي العفريت"

فعدادت يدها تعانق يده، واتجها سوية إلى شقتها..

٤٠

كان يزن يقف على الشُرفة يدخن سيجارة بنهم، يطالع
البشر من العلّية، يرأف لحالهم حينًا، يسب جهلهم حينًا. شعر
بالعطش فجأة فقام بالاتصال على أحد أصدقائه في محل العصير
يطلب منه تمرًا هنديًا، كم يعشقه. وراح يجوب بعينه هنا
وهناك، إلى أن لاحظ يسرا تقف قبالة الشُرفة مع شاب طويل
يعطيه ظهره. جُنَّ جنونه، ماذا سيقول عنها سكان الحارة! ألقى
السيجارة سريعًا وهرول إليها كالمجنون. ذهب إلى حيث تقف، لم
يجدها وكأَنَّها اختفت أو انشقت الأرض وابتلعته، راح يتلفت يُمنَّة
ويسرة بجسد غاضب وعينين حانقتين، لكنه لم يجدها. وفجأة،

تحوّل البشر جميعهم يسرا، يسرا عارية مجدداً كما ولدتها أمها، عشرات. . بل المئات منها، وراحوا يتكاثرون ويخرجون له من حيث لا يحتسب، كجند يأجوج ومأجوج. لم يدر من يستر ومن يُصب جلّ غضبه عليه، لم يقو على الحركة، وكأنه سُئلَ تمامًا، بقي واقفاً يطالع أسراب "يسرا" اللاتي ينظرن إليه ضاحكات، لا يسترهن سوى العُهر. ومن بعيد وجد امرأة ترتدي عباءة سوداء لا شيء يظهر منها، كم تمنى لو تكون يسرا، لكنّها كلما اقتربت منه، أصاب جسده الذعر والفرع، كلما دنت، شعر بالموت يدنو منه. وحين اقتربت منه وأصبحت على مقدار متر منه، لاحظ كم هي طويلة، بل شاهقة الطول، وكأنّها عفريت خرج من كتاب جن، وإذا به يشعر بحرارة في حلقه لم تمكنه من الصراخ، طغت ضحكات أسراب يسرا على المكان، في حين دنى ذلك المسخ منه كاشفاً عن وجهه وإذا بعينيه كلتاهما وجهٌ مصغرٌ ليسرا وحين انفرج فاهُ بدأ يتسعُ تدريجيّاً وإذا برأس تخرج منه وكأنه بصدد ولادةٍ فموية. . وهاك هي رأس يسرا تحارب للخروج من رحم ملعون. . تلك اليسرا تبتسم. . قائلةً:

هاي

فارتعدت نفسه وراح يبذل مجهوداً عظيماً ليتلو ما يحفظ من القرآن علّ هذا الحلم ينتهي:

- "الله لا إله. . . اهدنا الصراط المستقيم. . الله لا إله، إياك نعبدوا وإياك. . . . بسم الله الرحمن. ."

وراح يصرخ عاليّاً، لكنّه بدا يصرخ داخليّاً، وكأنّه لا صوت له، فقط جسد هالك، وحنجرة بكماء. وإذا بجند يسرا يختفون،

وتختفي المرأة ذات العباءة السوداء، وجد يسرا تقف من بعيد، مع رجل طويل يعطيه ظهره، تنظر إليه بابتسامة يحبها، وتدير له ظهرها وتسير. . عارية!

انتفض من نومه فزعاً، راح يطالع السقف كالأبله غير مدركٍ لشيء حتّى تظنه فقد عقله، تحسّس وجهه مبلى بالدمع، نهض عن السرير وأدرك كم تؤلمه عنقه لشد ما كان مشلولاً في الحلم. وجد يسرا تقف قبالة الباب تطالعه بقلق، وهي تدري أنه شاهد كابوساً للتوّ. . اقتربت منه وقالت وكلها قلّة حيلة:

- "كنت جاية أديك تمر هندي، ولقيتك في الحالة دي، معرفتش أعمل حاجة، حتّى دلوقتي مقدرش أقولك اقرأ المعوذتين أو آية الكرسي، قررت أكفر بيك، لحد ما ترجع تؤمن بربنا".

ثم اقتربت منه لتضع العصير إلى جواره، لم ينطق بحرف، بل راح يراقب خطواتها وعينيها اللتين كانتا تبحثان عن مفكرتها خفية. وخرجت.

نظر إلى التمر الهندي، وشعرها علامة ما. لم يقترب منه بالرغم من جفاف حلقه. عاد يتمدد على السرير وهو يضع يده من الجانب الداخلي للسرير وكأنّه يخرج شيئاً ما، فأخرج المفكرة، بعد أن شق في السرير شقاً يخبئه فيها.

نظر إليها كقنبلة موقوتة، وكأنّه يخشى فتحها. وبعدها بلحظات، قام بتصفحها من المنتصف:

((مبهجة هي الحكايا من شفاه من نحب، مدهش ذلك التطلع فينا لخباياهم، كيف ننصاع للصوت والشفاه، كيف يصيبنا خشوع الحرف والحرف!! وذلك الصمت الأنيق بين

الحرف والحرف، وبعثرة التفكير، وترتيب الجمل، الجملة تلو الأخرى، لتحياي مسامعنا، وتصيبنا سكرة الحكايا))
وفي صفحة أخرى:

((يومًا ما . .

سمحت لقلبي أن يعانق بحر السَّماء، وأن يجوب بلاد الله،
سحابة سحابة، وغيمة غيمة . فوقف مُطلًا قرب عنق الشمس
ذات مَغيب، إلى أن شهد لؤلؤة القمر ومراسم احتفال النجوم،
وعاد إليّ آخر المساء، مجهد بك . . مجددًا.

فعلمت أنك . . وبحق لعنتي))

وراح يقلّب الصفحات سريعًا، فوقعته منه ورقة مطوية، بدا
خطّها مختلفًا، فعلم أنه خط الحبيب، يقول:

((وقال لها:

أُحبك . . وأحبُّ خمس . .

فأصابها إعصارٌ فاحترقت . .

فقال: تريثي . .

نعم أُحبك . . وأحبُّ خمس . .

١. فعينيكى نجمتان، تضيئان ليلى . حين يخبو القمر غارقًا
وسط السحاب . . فليهرب القمر، فعندي النجوم.

٢. وشفاهك الأوطان حين يغترب الفؤاد، فشفاهك العلوية
الأندلس، وتلك أسفلها باريس . . فارحمي . . فيأني شهيد للشفاه.

٣. والعنق قاتلي، ممتطي الصبر الذي يرهقني، عنق جميل كالنخيل، عنق عجري الهوى يبارز الشمس، والقمر، والأرض، والبحر، والسّماء. . وزهور الليلك وشقائق النعمان.

٤. أما خطوط يديك، فهي حين ينتهي عمري ويحيا بين أصابعك الجميلة، تمرينها على قلبي، حين يختنق النهار. . فأستكين، ولا يختنق النهار. .

نظرت إليه باسمه. . وقالت:

- والخامسة؟ ؟

قال:

- روحك شقية الظلال، أحبك تمرحين في حدائقي الكثيرة، تحيين الفرح، تبعثرين الزهور، أحبك مبعثرة، طفلتي، غاليتي. . من تجيد الحب، صابري المتصبرة. . من تعينني وبها على الحياة (أستعين))

فراح يزن يسأل نفسه:

- "أختي تجيد الحب؟؟"

كيف هذا والحب حين يُجاد فإنه يُجاد -برأيه- سريراً. . راح إبليسه يعبث برأسه. لم يتحمل أن يقرأ المزيد. ووضع المفكرة في مخبأها حيث كانت، إذ قرّر أن يقرأها تفصيلياً بعد سفر ليلي وأمها وأختها، حتّى لا يثير فضيحة.

شعر بغضب جامح، وفضول قاتل. . من هو؟ من هو من يسعى لإيذاب طفولة صغيرته يسراً؟ شعرها ابنته وليست أخته. شعر باختناق مريع. وأشعل سيجارة.

وفي تلك الأثناء كانت ليلى تنتظر ظهور حبيبها، يطلّ عليها،
ليشفي روحها المشتاقة. كلما مرّت خمس دقائق، نظرت صوبَ
بابه، حتّى أنها تمثّت لو كانت مكان يسرا تهديه عصير التمر
الهندي، لكن أمها لو علمت لكسرت لها عنقها بقلب بارد.

عادت للمطبخ تضع اللمسات الأخيرة على المحشي بأنواعه،
باذنجان، كوسة، ورق عنب، وفلفل أخضر. أعدته بحب لحبيبها
الذي ينهض دومًا متأخرًا ولا يتناول عادة إفطاره، بل يتناول
الغداء مباشرة. .

- "إزيك يا ليلى؟ وحشتيني والله. ."

فنظرت بحب نحو أمه وقالت:

- "وإنّتي كمان يا عمّتي وربنا المعبود، مش هتنورينا في البلد
بقى؟"

- "والله يا بنتي كلكوا واحشني بس القطر ببيهدلني"

فقال ليلى:

- "عربية نجيبها لحد عندك يا عمّتي، يا سلام!"

فضحكت أم يزن من قولها، وقالت:

- "متخيليش أنا سعيدة قد إيه إن ربنا كتبك من نصيب

ابني محمد. ."

فقال ليلى:

- "يزن!"

فأجابت أمه باستياء:

- "يزن ده مع صحابه وبر البيت. . لكن هنا محمد عامر
الشيخ غصبن عن أي حد. أنا مش عارفة الواد اتخبل في عقله
وغير اسمه من ساعة ما أبوه مات"

- "بس هو بيحب اسم يزن. ."

- "يحبه بقى ولا ميحبوش، تخيلي صحابوا كلهم بينادوه بيزن،
هو قرّر من هنا، وكله استجاب من هنا. . ومن ساعتها عايش
بشخصيتين"

فذعرت ليلي من قولها، وقالت:

- "شخصيتين؟"

فتنهدت أمه قبل أن تجيب:

- "قلبه قسي، حتّى لما بيبقى حنين، بيبقى حنين بقسوة،
لاحظت ده من بعد ما أبوه مات، بقى حد تاني يا ليلي، بس
عندي أمل إنه يرجع محمد اللي أعرفه تاني. ربنا يهديله الحال
يا بنتي."

وانضمت أم ليلي أمينة إليهما وقالت بامتنان:

- "النهاردة تدوقوا أكل بنتي. ."

فنظرت صوبها ليلي وشعرت اتجاهها بحنين عاصف، وتمنت
لو أنّ أمها تفاخر بها هكذا حين يكونان بمفردهما.

انضمت يسرا إليهم أخيراً تساعدهما في إعداد المائدة، فقالت
لها أم ليلي:

- "وإنتي يا يسرا، بتعرفي تطبخي؟"

فأجابت يسرا بمرح:

- "بعمل حلويات بس، بس حلويات زي ما قال الكتاب.."

وراحت تضحك بخجل، فأجابت عمّتها:

- "حلويات بس؟ ولما تتجوزي هتأكلي جوزك حلويات بس؟"

لم تشعر يسرا بالحرَج حتّى وإن كان واضحًا إحراج عمّتها لها،

وقالت مرحة:

- "يجي بس هو الأول وأنا أعمله كل حاجة"

فنظرت إليها أمها خفية، وراحت تراقص لها حاجبيها وهي

تكتم ضحكتها. خرجت عمّتها وليلى، في حين اقتربت يسرا من

أمها وقالت هامسة:

- "عمّتي شديدة بس بحبها.."

- "هي قلبها أبيض.."

وراحت يسرا تأخذ من أصناف المحشي وتضعه على الصحون

بانظام في حين قالت لأمها:

- "ماما.. مشفتيش المفكرة بتاعتي فين؟"

صمتت أمها قليلاً، وراحت ترجو ذاكرتها أن تسعفها، فقالت:

- "شكلي شلتها هنا ولا هنا وأنا بروق أوضتك.."

فهدأت تساؤلات يسرا قليلاً، وراحت تقنع نفسها أن المفكرة

بأمان، بعيداً عن متناول يزن..

خرجت يسرا تضع الأطباق على الطاولة، في حين انضمام يزن
أخيراً، فانتفضت ليلي لدى رؤياه ورحبت به فقال:
- "أهلاً..".

ثم اقتربت منه وكأنّه تريد بركته ورضاه، وقالت:

- "عايزة استأذن منك إنّ بعد الغدا أنا ويسرا نروح وسط
البلد نشتري حاجات، في حاجات هنا مش موجودة هناك"
لم تكن ليلي تريد أن تذهب حقاً، قدر كونها أرادت أن يرافقها
ويسرا إلى هناك. لم يجبها في البدء، وراح يطالع يسرا التي كانت
تطالعه هي الأخرى، وبعدها بلحظات، قال في تحدّ:
- "آه، وماله، روحوا غيِّروا جو. بس بلاش تأخير"

وأخذ حافظته التي عادة ما يضعها فوق التلفاز، وأخرج
خمسمائة جنيه وأعطاها ليلي، التي أبت في البدء أن تأخذها،
لكنّه أصرّ، فأخذتها عن خجل ووضعتها في جيبتها.

وجلست العائلة على الطاولة، عدا شمس التي آثرت أن
تجلس على الأرض قرب الدُمي التي أهدتها إياها يسرا. كانت
يسرا تجلس قبالة يزن وعلى يمينها ليلي، أما الوالدتان فكانتا
تحاوطان يزن.

راح يزن يأكل سريعاً بصمت، بضع من هذا وذاك، وكانت
ليلى تطالعه، تتمنّى لو ينطق حرفاً عمّا صنعته أناملها، لكنّه لم
يعقب. فقالت بخجل:

- "إيه رأيك في المحشي؟"

رفع ناظره إليها وقال:

- "جميل!"

فقالت يسرا سريعًا وكأنها قطعة السكر في قهوة الحديث:

- "تحفة يا لولو. . تسلّم إيدك. . بصي لما سبع البرومة يطل
إن شاء الله، وأحسّ إني هتدوز قريب، لازم تعلميني كوووووول
حاجة، وأنا هعلمك الحلويات الشرقي والغربي كلها. هعملكوا
النهاردة تيراميسو هتاكلو صوابكوا وراها"

فراحت ليلي تضحك بخجل، في حين اشتعال يزن. .

سبع البرومة؟؟

كم تمنّى لو يدخل عقلها ليعرف خباياه، لكن العقل بحر لا
نهاية له، لم يخش الغرق قدر أن يعرف كل شيء، لينهي كل شيء،
ثم يموت بعدها.

* * * * *

٤١

- "ممكّن كمان ربع ساعة وأقابلك في أي كافيّه في مول العرب؟"

كان ذلك الشّرقاوي، يحادث سارة عبر الهاتف، سارة من
أهانها عشقًا، وأهانّت نفسها عشقًا واشتياقًا معًا.

أجابته وهي تطالع باب مكتبه المُغلق من على كرسيها من
الخارج، وقالت سريعًا:

- " ربع ساعة وأكون هناك " .

لم تكن اللفتة من تحدّثت عوضاً عنها، بل هو حينها الموجوع إليه، من سكن الجسد والروح، وراح يتحدث باسمها حيناً، يغني حيناً، ويبيكي حيناً على أطلال شوق. حلّقت إلى الحمام لتجدد هيئتها، وراحت تضع الكحل على عينيها اللتين يحكيان شيء من بقايا حب ودمع قديم، ثم تضع الماسكارا على أهدابها الموجوعة دمعاً، وأحمر الخدين على وجنتين هالكتين بالهوى، وأخيراً أحمر الشفاه على شفاهها المبرجة بشفاهه. وراحت تضع العطر على جسدها وكأنّها توارى رائحة جثمان ذاك الحب، كانت الرائحة نفاذةً بالألم.

راحت تسابق الوقت لتصل إلى المكان المنشود، وفور وصولها راسلته بمقرها تفصيلاً، لحظات وظهر أمامها مثقلاً بالخطايا. مدّ يده يصافحها، لكن روحها من صافحته، روحها من أرادت التوحّد في يديه وخطوط يده، تمّنت لو بقيت أكثر معانقةً ليده، ثم تفنى بعدها. لكنّها لم تكن سوى ميتةً نصفياً، ولم ترتو كل الرّي. وجلسا. .

وتبادلا التحية:

- " إزيك يا سارة؟ "

- " بخير الحمدلله. . وأنت عامل إيه؟ "

- " بخير. . تمام الحمدلله، تشربي إيه؟ "

- " معقولة مش عارف أنا بحب أشرب إيه وأنا دائماً معاك؟ "

فابتسم مضطراً لها وهو ينادي النادل ثم يخبره:

- " واحد موكا سكر زيادة. . . مميم وأنا. . . "

ثم نظر في قائمة المشروبات، لكنه سرعان ما وضعها جانبًا، وقال:
- " قهوة سادة! "

عاد ينظر إليها، ولكنّه كان يحرص على تجنّب العينين،
فالعينان في الوجه يكونان أحيانًا حُكمًا " بصريًا " من ذات اليمين
وذات الشمال فلم يقو على أن تتم محاكمته. قال وهو يعبث
بمطفأة السجائر أمامه:

- " دنيتك كلها تمام؟ "

- " في إيه يا أحمد؟؟ "

فنظر مضطربًا لعينيها للحظات وقال وقد عاود النظر للمطفأة:

- " كنت مرتب كلام كثير، كله طار "

فراحت تتفرس وجهه الأنيق، تضيعُ من قسمات وجهه،
ورائحته المشاكسة. قال:

- " أحيانًا مبعرفش أنام بسببك، مش قادر آخذ أي خطوة
فعلية في أي حاجة لما بفكر فيكي، ذنب بقى، تأنيب ضمير. .
المهم اني متعذب. شايف اني إنسان قذر بسببك "

ثم رفع ناظره إليها، وقال:

- " أتمنى تتقبلي صراحتي "

لم تجبه، لكنّ جسدها كله كان مصغيًا إليه. . تابع قائلاً:

- " عايزك بجد تسامحيني. . "

- " عايزني استقبل من الشركة؟ "

سألته باسمه. . . فأجابها باضطراب:

- "لأ. . . سامحيني. . ."

صمتٌ قليلاً وقال:

- "أنا إنسان فاشل بكل المقاييس، حظي بس إني أبويا ابن عز، حتّى دراستي ناجح فيها بالعافية وبالزق والرشوة. عارف إن ربنا موجود بس عمري ما عملته حساب، ودلوقتي بحاول أكفر عن ذوبي وأعمله كل حساب. أنا نمت. . . أنا عرفت بنات كثير، وصاحبت بالهبل، وعمري ما عرفت يعني إيه حب، أو إني أحب وأتحب، ولما عرفت. . . صدقيني مكنتش محظوظ بالشكل اللي ممكن تتخليه، عرفت قد إيه أنا إنسان تافه ومعدوش ضمير."

كان يزيل عن كتفه جبلاً لتسلقه جبلاً أخرى، قال:

- "إنتي عندك حق. . . أنا مش عايزك تستمري في الشركة، لذلك نقلت أوراقك لشركة لينا تانية بفرع ثاني في التجمع بضعف مرتبك معانا حاليًا. مش هقدر أتحمّل إني أشوفك كل يوم وتشوفيني وتتعذبي بسببي، أنا أحقر ممّا تتخيلي، ابدئي حياتك من جديد، وساعديني ابدأ صح. . . لازم تبعدني"

صمت مطبق، ثم قالت بانهازم:

- "فاكر ممّا قتلتي إن الدنيا بتضيق أو بتوسع بسبب أشخاص حوالينا؟ أنا ليّا شهور عايشة في قبر لحد ما ريحتي فاحت. . . بسببك وبسبب نفسي الرخيصة"

- "انتي مش رخيصة"

فضحكت بقهر قائلة:

- "أرخص ممّا تتخيل! عارف ليه؟"

لم يجبها، فقالت:

- "عشان اللي هتتجوزها ملمستش منها شعرة، دُرّة مكنونة،
لؤلؤة مستخبية في مَحارة جميلة. . لكن أنا بعت نفسي بالرخيص
وأنت اشتريت بالرخيص"

- "أنا موعدتكيش بحاجة"

- "اللي بينا كان وعد وعهد"

- "ربنا يكرمك باللي أحسن مني"

- "وإذا كنت شيفاك أحسن الناس؟"

وابتسمت له قهراً مجدداً، وقالت:

- "هو أنا ينفع أدعي عليك؟؟ أصلي already بتعاقب من
ربنا بما فيه الكفاية، ولسه هتعاقب، عارف كان نفسي نتوب
سوى. . بس أنا. . أنا دلوقتي. . ممكن أدعي عليك؟"
وراحت تضحك بهيستيريا في أرجاء المكان حتّى التفت إليها
المحيطون حولها:

- "حسبي الله ونعم الوكيل. . حسبي الله ونعم الوكيل فيك
يا أحمد يا شرقاوي. إلهي يزلزل من تحتك الأرض ولا يوفقك أبداً
لا أنت ولا يسرا. . مش هي اسمها يسرا برضو؟!"

وتابعت ضحكاتهما الباكية، وعلا مع بكائها دعائها، كانت أنثى
مقهورة، لم تمنع عُربها. . وراحت تصرخ وتسبّ إلى أن وصل رجال
الأمن يسألون الشَّرقاوي عن الأمر، لكنّه كان في ملكوت بطش

الإله، يخاف لو كان باب السماء مفتوحًا فتستجاب الدعوى. لم يجبههم، فاضطر رجال الأمن جرّها إلى الخارج، قاومتهم هي في البداية، لكنّها سرعان ما استسلمت لهم، وكأنّها حورية تم إعدامها علنًا على الأرض، ولم يكرموا جسدها بأن ألقوها في الماء. وضع رأسه بين كفيه ونبضات قلبه مسموعة، شعر بذعر لم يشعره من قبل، وأدّن مؤذن أن الله أكبر. ففر إلى المسجد يتوضأ ويدعو الله أن يسامحه، وألا يعاقبه، وأن يترك أبواب السماوات مغلقة عليها، كي لا تُصيبه لعنات قهرها. كان يدعو بأنانية، كان يدعو الله عاريًا، يُغلق عينيه بشدة وكأنّه بصدد أن يرى عفريتًا. كم يخشى عقابه، كم يخشى بطشه، كم يخشى حسابات ربه الأخرى، خشي أن يطهره الله بالعقاب والابتلاء، أراد أن يكون رحيماً به، رؤوفًا، متجاوزًا عن سيئاته. وذكر أمر تلك المرأة، من باعت قضايا الجسد، ودخلت الجنّة بسقيها كلبًا ظمآنًا ذات حَرّ. فانتفض بعد أدائه الصلاة، وخرج من المسجد ليجد رجلًا خمسينيًا يمسخ عصيرًا مسكوبًا على الأرضية:

- " خذ يا حج . "

فمد الأخير يده صامتًا، وسرعان ما أصابته الدهشة:

- " كثير يا ابني . . دول . . دول ٥٠٠ جنيه "

- " ادعيلي دعوة من قلبك . . مش عايز حاجة غير الدعوة،

ادعيلي ربنا يهديني ويجمعني بالبت الي بحبها ويوفقنا سوى "

فأجاب الرجل يدعو خاشعًا:

- "الهي ربنا ينصفك ويرزقك من حيث لا تحتسب ويكرمك ويرأف بحالك زي ما رأفت بحالي يا ابني"

وابتسم له الرجل وهو لا يزال رافعاً يديه لله.. فأجابه أحمد راجئاً:

- "آمين"

وتركه وسار... شعر أحمد بطمأنينة يشوبها دُعر، إذ أن أدعية الغضب كانت لا تزال تتردد على مسامعه، وكأنها لعنة لا تزول.. استقلَّ سيارته وهو يدير "الراديو" ليجد صوتاً جهوراً يرتل:

- "وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعان".

* * * * *

٤٢

- "أنا وأيتن ساهرانين سوى.. ما تيجي؟"

وها هو كريم يحادث فرح عبر الهاتف يطلب منها أن تنضم إليهم في أحد الملاهي الليلية. نظرت فرح إلى الساعة التي قاربت الثانية صباحاً بضجر، وقالت:

- "مليش مزاج قوي.."

- "يلا بقا بطلي رخامة"

- "الصوت عالي ومش سامعة كويس"

- "البيسي وتعاالي، أيتن بتقولك يلا. . هنبسط والله"

- "لأ. . فاكس. . مليش فعلا مزاج إني أخرج من البيت!"

- "أجازتك هتخلص كمان كم يوم، هتقضيها في البيت؟! وإنتي عارفة إنك محتاجة تغيري جو"

- "مليش مزاج النهاردة كمان شوية وهنام"

- "رخمة. ."

- "سلام يا كريم"

وأنهت المكالمة ووضعت الهاتف جانبًا، وراحت تحدّق بلا اهتمام في التلفاز، في حين رن هاتفها مجددًا، أمسكته دون أن تنظر إليه وأجابت:

- "قتلك يا كريم مش هتنيل أنزل النهارده في حته. . ."

فأجابها صوت أنيق:

- "ليه كده بس؟"

انقطعت أنفاس فرح للحظات وهي وتطالع الهاتف، والاسم Yazan ♥ يزين شاشته.

أجابته باضطراب:

- "معلش، أصل كريم لسة مكلمني حالًا وعاييزني أخرج معاه

هو وأيتن وأنا مليش مزاج نهائي أنزل فأني حته النهارده"

- "طب ولو قتلك عاييز أشوفك النهارده. . مش هيفرق كثير؟"

نهضت عن مقعدها باسمه، تريد أن تكابر، أو أن تقاوم رغبتها
في رؤيته والانصياع إليه، قالت بمكر:

- "ممممممم. هفكر"

- "يبقى هشوفك النهارده"

- "الوقت أتأخر.."

- "وانتي مجنونة ومش هيفرق معاي.."

- "لأ مش مجنونة.."

- "مجنونة.. بس مستنية اللي يشجعك، وأنا قررت أعمل

فيكي معروف"

- "لا والله؟"

- "مش مصدقة؟"

- "عارفة إنك مجنون.."

- "هشوفك؟"

- "ممممممم. هعمل فيك معروف"

- "طب أنا تحت.."

- "تحت فين؟"

- "أنا مش عارف أنا قدام أنهي شباك، بس أنا تحت وخلص.

. تقريبا البلكونة الكبيرة دي هي الصالون صح؟"

- "إيه؟؟!"

ثم سارت بخطوات سريعة نحو الشُّرفة تطالع الشَّارع من خلف ستار، لتجده يقف أمامها باسمًا. فأقفلت السِّتار بسرعة، وقالت:

- "يخربيت أمه المجنون"

- "أنا لسه ع الخط على فكرة"

فكتمت ضحكتها وقالت:

- "بجد آسفة. . بس أنت إيه اللي جابك دلوقتي؟"

- "يلا انزلي"

- "نعم. !؟"

- "انزلي"

- "مش ألبس الأول؟"

- "انزلي زي ما انتي. ."

- "لابسه بودي وشورت"

- "زي ما انتي. ."

صمتت للحظات تفكر، وقد التفتت صوبَ المرأة، عمَّتْها والخدمة نائمَتان. راحت تقرض إصبعها وقد تجمّدت خلايا دماغها، فأتى صوته حازمًا:

- "يلا. . وهاتي مفاتيح عربيتك"

فانطلقت نحو الباب وبحوزتها المفاتيح دون المزيد من التفكير، وراحت تتسلل على السلام خشية أن يراها أحدهم وقد

آثرت أن لا تستخدم المصعد حتّى لا يستيقظ الحارس، وصلت إلى مدخل المبنى، وخرجت منه، لكنّها لم تجد أحدًا. شعرت بتوتر إلا أنّه ظهر من يسارها فذعرت لكنّه طمأنّها بأن وضع يمينه حول خصرها وقبلته على خدها وقال:

- "يلا بينا."

وأخذ منها المفاتيح، وقال حين أوصلها إلى الباب:

- "تسمحيلي أكون الشوفير يا مزمازيل؟"

فأومأت له برأسها ضاحكة أن نعم. جلست إلى جواره بخجل لاحظته فورًا، فقال لها:

- "مكسوفة ليه؟"

- "نازلالك بالبجامة حضرتك."

- "زي القمر، ((بعشك)) من دون مكياج"

وأدار مقود السيّارة، وانطلقا. فسألته:

- "رايحين فين؟"

- "العين السخنة."

- "إيه؟؟!!"

- "زي ما سمعتي"

- "يا مجنون!!"

- "اعتبريني خطفتك النهاردة. في بقالة هنا؟"

لكنها لم تجبه من هول المفاجأة، لحظات وأوقف السيارة أمام أحد البقالات في المنطقة، وترجل منها سريعاً، ليعود بعد دقائق محملاً بأكياس بها من العصائر والمشروبات الغازية وشطائر المولتو بالجبنة ورقائق البطاطس بنكهات مختلفة وشوكولا وعلبتي سجاثر وكل ما يحتاجانه في رحلتهما المفاجئة، قالت:

- "أنت صدقت نفسك بجد؟! عين سخنة إيه؟!"

نظر إليها باستنكار وهو يمدها بالعصير، وأدار المقود مجدداً وانطلقا.

ثم ابتسم وهو يطالع الطريق أمامه وقال:

- "افتحيلي سنيكرز قبل ما اتقلب رجاء الجدّاوي"

فراحت تبحث عن واحدة مغلوبة على أمرها وهي تحاول استيعاب الأمر. أهذا حلم جميل؟

أخرجتها وأمدتها له، لكنّه قال:

- "اعتبريني عيل وأكليني"

- "أنت مجنون رسمي. ."

- "لأ. . أنا يزن عامر الشيخ"

فضحكت من قوله وهي تقطع له الشوكولا وتمده بقطعة، فالتهمها وأصابعها، فانتفضت ضاحكة وقالت:

- "يا مفجوع. . صوباللي ااعي. ."

- "طعمه أحلى من السنيكرز. ."

- "أنت مش أنت وأنت جعان"

فضحكا سويًا، والطريق يلفظهما نحو البحر... ومَرَّت الساعتين سريعًا، ولم تستوعب فرح كيف تَمضي الأوقات الجميلة برفقته سريعًا وكأنها ومَصَّات من حلم. كانت الشمس تبدأ بمعانقة السَّماء، فترسل خيوطها المُشعة تُعانق عباءة الليل، وتُلقي على النجوم والقمر السلام.

- "وصلنا. "

نظرت إليه باسمه... ثم إلى يمينه على المقود، لتلحظ تلك السَّاعة فقالت:

- "حلوة السَّاعة. . جديدة. . ذوقك ولا حد جابهالك؟"

- "بنوتة جابتهالي"

فرفعت حاجبًا، وتفاجئت لأمر صراحته، وقالت:

- "مين؟"

- "بنوتة بتحبني. "

- "حلوة مش كده؟!"

وكان هذا سؤاله لها وهو يترجل من السيارة قبلها، ليأتي إليها من الجانب الآخر ويقول وهو يفتح لها الباب:

- "نورتي يا مزمازيل"

ومدَّ لها يده، فمدت يدها كالأميرات، أميرة جميلة برداء النَّوم. وخرجت وأمامها البحر.

كانت تريد أن تسأله المزيد عن أمر تلك الفتاة التي تحبه، وهل يحبها؟ أم أنه يشاكسها ولا وجود للفتاة؟ لكنّها لم تُعقّب، وإن فضحتها عيناها لشد ما أصاب روحها الفضول والحيرة.

- "الجو تحفة. ."

فأجابها:

- "لأنك هنا. . بتعرفني تعومي؟"

- "إيه؟!!"

فأمسكها من يديها وركضا نحو البحر ما بين صراخها وضحكها ودهشتها وغيرتها وحيرتها. . لكنه لم يسمع. وصل إلى شفاه البحر. قال:

- "مش هرغمك على حاجة هنا. . بس أنا عايزك تنزلي البحر"

لم تجبه، وقد أطبق جنونه على صوتها، وقام بخلع قميصه، وسرقه الموج. . .

لم تستطع منع نفسها من الابتسام، فقالت بصوت مرتفع وقد ابتعد عنها داخل البحر:

- "مش معايا مايوه. . أنا بالبجامة يا بني آدم. ."

فراح يصرخ من الداخل:

- "أحلى من ١٠٠ مايوه"

فضحكت والمياه تشاكس أنامل قدميها، البحر بدا مُغريًا لحظة الفجر، كل الأشياء كانت تدعوها للغرق جنونًا وفرحًا. لكنّها ذكرت غرقها في النيل، تلك الذكرى المؤلمة. . فقالت:

أوصلها، وترجلا من السيارة، ولم تمنع وقوفها بما ترتدي هذه
المرّة.. مدّ يده يصافحها، لكنّها حضنته، وهمست في أذنه اليسرى:

- "بحبك..."

وركضت باتجاه المبنى تاركة إياه غارقًا في دهشة.. وحيرة..
وحب.



٤٣

أحبّته...

فلم يلقنها سوى الغياب، فكانت عاشقة أخرى، تحفظ
أبجدية الوجد، عن ظهر غياب.

شعرت ليلي به يعود صباحًا، يُشير ضجة فور دخوله وقد
تأكدت أنه بالفعل خرج ليلاً وعاد لتوّه.

كانت تجلس في الصالون تشرب حليبًا دافئًا، لكنه لم يلحظها،
ودخل إلى غرفته وبسمة غريبة على شفاهه. بدت بسمة عاشق،
ولكنّها لم تشعر نفسها معنية بذلك العشق. نهضت تسير على
أطراف أصابعها، ولاحظت أنه أوسخ الأرضية بقدميه. من أين
أتت تلك الرمال؟

توجهت إلى حذائه وقلبته ليخرج منه المزيد من الرمل. إلى أين ذهب من رأس الصباح؟ راحت تسأل نفسها.

توجهت بعد ذلك إلى المطبخ لتحضر مكنسة تكنس بها ما أثاره من فوضى. شعرت أنها تستره. وهكذا هي الأم، تستر خطايا ابنها، وكان يزن ابنها، ومعشوقها.

وراحت تكنس الأرض بنهم وصولاً إلى باب غرفته الموصد. وقفت قبالة الباب يعصرها الحنين، وعلى الباب وضعت شفاهاها تقبله. ثم عادت تكنس من جديد. وعادت مجدداً إلى حيث الحذاء المتسخ، ومعها قماشة مبللة. وراحت تمسحها عشقاً، تنظف تفاصيل تفاصيلها حتى تظنها كانت ماسحة حذاء متمرسة في حياة أخرى، كانت تفعلها بحب، وقد جلست على الأرض غير مكترثة لشيء سوى أن يكون حذائه مرآة جلدية.

وبصوت جميل خافت راحت تغني لفيروز:

((بكتب اسمك يا حبيبي

عالحور العتيق

تكتب اسمي يا حبيبي

عَرمَل الطَريق

بِكرَا بِتشتي الدَنيي

عَالقِصص المَجْرَحَة

يَبقى اسمك يا حبيبي

وَاسمي بَيْنَمَحَى

بحكي عنك يا حبيبي
لأهالي الحي
بتحكي عني يا حبيبي
لنبعة الميِّ
ولما بيدور السهر تحت
قناديل المسا
بيحكوا عنك يا حبيبي
وأنا بانتسى ((
- "انتي بتعملي إيه؟"
سألها..

فانتفضت في جلستها، ونهضت لتقع أسيرة لعينيه وحضوره
الساوي. شعرت بأنه دكتاتور، لكنّها أحبّت كيف هو دكتاتور في
العشق. قالت:

- "لقيتهم ملايين رملة وتراب، قلت أنصفهم"

لم يجبها، كانت مسامعه لا تزال مأخوذةً بصوتها الفيروزي، لم
يكن يعرف أنّ لها صوتًا كناريّ الهوى، لكنّه لن يعقّب. فلم
يعقّب وقال:

- "صاحية بدري ليه؟!"

- "متعودة أصحى بدري عشان المدرسة"

وفجأة، تنبهت أنها لا تستر شعرها. فارتبكت وراحت تنظر
أسفلها. وقالت:

- "معلش يا ابن العم، طرحتي جوا"

لم تأتي ليلى بجديد، فهو يعلم أنها قد نست أمرها، لكنّه لاحظ أمرًا آخر، إضافة لصوتها الجميل. فاقترب منها. وكانت هي على الطرف الآخر تعلن توديعها لهواء الله، وترحب بالاختناق رهبةً من حبه. لم يتحرك لها ساكنًا وهو يقترب منها بشكل مُفزع. كان قلبها يُعلن سلامًا من نوع خاص وقد اتفقت نبضاته أن تنبض بهدوء، دون ضجة، وكأنّ روحها على وشك مقابلة خالقها. رفع يمينه خلف رأسها ليأخذ رابطة شعرها فيسدل ليها على امتداد ظهرها. وراح ينثره ويعيد تهذيبه، وهو بطبعه يحب الشعر المموج..

- "فاكرة لما كنت بشدك من ضفيرتك وإحنا عيال؟ أهو جاب
نتيجة"

وابتسم..

وقال:

- "شعرك جميل..."

وتركها معلناً تعبته واستعداده للنوم. ظلّت واقفةً مكانها بلا حراك، تتمنى لو تعود الدقيقة الأولى من وجوده، أو تفنى بعد ذلك.

وهذا هو الحب، مُهلك. . يُتقن إجهادنا. يُتقن إرسال شفرات
لا نقوى على فكّها، بل إنه يُحِبُّنا فيها، في غرابتها وغموضها.
وكأننا نهوى الضياع.

راحت تنظر لرابطة شعرها التي وضعها في يديها قبيل
انصرافه. فتوجهت للغرفة وخبأتها في حقيبتها. ربطة الشعر تلك
هي الآن من المقدّسات. أخذت أخرى تربط بها شعرها. واتّقد
نبضها فجأة وهي تستذكر ما حدث.

نظرت ليسرا التي كانت غارقة في نومها، وراحت توقظها:

- "يسرا. . يسرا. . إصحي يا يسرا"

فانتفضت الأخيرة مذعورة وقالت:

- "مالك يا ليلي؟ خير في إيه. . ؟"

فنهضت ليلي من جوارها لتجلس على مقعد أمامها وقالت:

- "تفتكري. . تفتكري أخوكي بيحبني. . ؟"

لحظات صمت. . ثم. .

وسادة مُحلّقة في الهواء تهبط على وجه ليلي، التي استقبلتها
ضاحكة. فقالت:

- "بكرة تحبي وتعرفي أنا بتكلم عن إيه. ."

فقالت يسرا بعينين مغمضتين:

- "ومين قالك إني معرفش الحب يعني إيه؟"

فرفعت ليلي حاجبًا وقالت:

- "بتهزري؟! مين وفين وإمتى وإزاي؟"

- "لما أصحى هقولك"

فألقت ليلى بالمدخة على يسرا التي تلقتها بغضب ثم أدارات
ظهرها لها على السرير، وقالت:

- "بكرة هقولك.."

- "اللي هو النهاردة لما تصحي؟"

- "آآآه. نامي بقى"

- "أخوي يعرف؟"

- "لسه، بس ماما عارفة كل حاجة"

- "وأنا آخر من يعلم؟ إخص عليكي، والله زعلت"

فَرَّقَ قلب يسرا، وجلست مُسندة ظهرها على السرير وهي
تهذب شعرها "المنكوش". وقالت:

- "الموضوع مش من فترة طويلة، حصل كده، زي خبطة
حلوة في الدماغ، والحب إيه غير خبطة حلوة في الدماغ؟"

وظهرت بسمتها الصباحية الأولى والتي أشرفت أكثر فور قولها:

- "أحمد، اسمه أحمد"

فتسربت حمرة الخدين وجهها. . فقالت ليلى:

- "ده شكله بجد.."

وأطلقت ضحكة طويلة ثم قالت:

- "ربنا يكرمك يا حبييتي ويوفقكوا مع بعض"

- "اوعي تجيبي سيرة لاخويا"

- "عيب عليكي. قوليلي بقى، تفتكري أخوكي بيحبني؟"

- "وإلا مكنش اختارك زوجة ليه"

- "وإيه علاقة الاختيار بالحب؟ مش ممكن يكون اختيار من دون حب؟"

- "ليه بتقولي كده؟"

- "مش حاسة إنه بيحس من ناحيتي بحاجة، حاساه خاطبني كده، أمر إلزامي مفيهوش أي عاطفة"

- "لعلمك محمد مبيعلمش حاجة غصبن عنه"

- "أنا عارفة ده. بس في حاجة كبيرة ناقصة، ومش مفهومة"

لم تعقب يسرا بصدد هذا الأمر، وهي تدري ما هي الفجوة، وأين هي الفجوة، وللحظات راحت تفكر بأمر المُلحد الذي سيتزوج ابنة عمّه على سنة الكفر ورسوله. لم تُفكر بالأمر مُسبقًا، هل ليلى الحق في أن تعرف؟ أم تظلّ عمياء لا تدري شيئًا. وإذا بليلى تقطع شرودها قائلة:

- "رحتي فين؟"

- "هو بس ربنا يهديه، وعندي ثقة فيكي انك هتغيريه، وترجعيه زي الأول وأحسن"

- "تفتكري؟"

- "ياذن الله.."

ثم عادت تستلقي مجددًا على ظهرها، تطالع الله، دون أن تراه.

وفي تلك الأثناء، قام يزن بالاتصال على فرح التي أجابته بصوت نعس:

- "نام يا مجنون"

- "أنا أساسًا مش شايف قدامي، بس قلت أسمع صوتك.."

- "كان يوم جميل"

- "لأنك فيه.. بقولك إيه؟"

- "مممم؟؟"

- "كان في كلمة كده قلتيهالي قبل ما تسيبيني وتجري"

- "كلمة إيه؟"

- "اعملي من بنها اعملي"

فأجابته بضحكتها فقال:

- "ضحكتك بتخطفني.."

- "أومال أنا أقول إيه؟ أنت خطفتني مع سبق الإصرار

والترصد.. بقيت بحبك أكثر من السجاير"

وأطلقت ضحكاتنا النائمة مجددًا.. فقال:

- "سكرانة؟"

- "بيك.."

- "عايز أشوفك"

- "إيه؟!!"

- "النهاردة آخر يوم في أجازتي.."

- "تحبي نروح فين؟"

- "أي مكان في القاهرة لو سمحت!"

وأطلقت ضحكة صباحية أولى.. فقال لها:

- "هو إحنا نمنا امبارح ع التلفون؟ قصدي النهاردة الصبح؟"

فقال بصوتها الذي لا يزال ضاحكًا:

- "باينله كده.. يزن..؟"

فلم يجبها، وكأنه ينتظر بوح روحها، فشعرت بحنينه لبوح

جميل من شفاهها، فقالت:

- "أنا عمّر حد ما باسني قبل كده.. مع إني اتحطيت فالموقف

ده كتير فأول خذلان ليّا في حياتي، بس مكنتش بسمحلو. مع إنه

كان خطيبي"

كان ذلك كافيًا لإشعاله ذاك الصباح وإثارة ضجة في كيانه،

لكنه، أثر ألا يعقب وأن يدع المسائل تناسب بسهولة، فقال:

- "ما أنا عارف إني أول حد يعمل كده"

- "عرفت إزاي؟"

فقال بلغة عربية أنيقة سلبتها:

- "شفاهك عذراء، وما أجمل أن أفصَّ صبرها بقبلة.. وما أن فضت صبرها حتَّى فاض رحيقك في شفاهي، وما أجمله رحيق"

فلم يسعها سوى الابتسام والصمت، فأكمل حديثه قائلاً:

- "هشوفك بليل.."

- "اشمعنا بالليل؟"

- "انتي أجمل بالليل، مُغرية أكثر"

- "فين؟"

- "عندي في الشِّقة!"

فنهضت عن سريرها لتجلس نصف جلسة وهي تُعيد خصلاتها إلى الوراء، وقالت:

- "هو ده اللي كنت خايفة منه"

- "هو إيه بالضبط؟"

- "إنك تفتكرني رخيصة!"

- "ومين قال إني افتكرك أو افتكرتك كده؟!"

- "مجرد تفكيرك إني أجيلك الشِّقة تاني"

- "وفين المشكلة؟!"

- "مينفعش.."

- "ليه؟!"

- "هنغلط!"

- "وإيه هو الغلط برأيك؟"

.....-

" فرح، إنتي مختلفة عن أي بنت عرفتھا، وأنا واثق في ده،
عشان كده اخترتك من بين البنات "

- " اخترتني لإيه؟ "

- " إني أحبك من أجل الحب. "

- " يعني إيه؟ "

- " هتفهمي لما هشوفك النهاردة "

- " مش هاجي "

- " ومش هرغمك على شيء. "

- " أنت بتعمل كده ليه؟! "

....-

" هتبوظ كل حاجة. أنا برضو شايفاك مختلف. . أنا مش
عارفة إزاي كده. بس. أنا بحبك قوي، وكأني أعرفك من سنين.
اقتحمتني وشقبت حياتي، متطلعش زيهم "

- " هما مين؟ "

- " الناس النجسة اللي حواليا. . وبعدين. . "

فصمت قليلاً وقالت:

- " وبعدين انت مُلحد. "

- " كلنا مُلحدين. "

- " لأ طبعًا. "

فعداد للهجته العربية بنكهة الفلسفة:

- "جميعنا ألدّ بشيء ما، وكفر به بعد إيمان!"

- "بس اللي أنت كفرت بيه عظيم."

- "وما هو العظيم؟ نحن العظماء!"

- "يزن متحاولش تقنعني!"

- "مش بقنعك، أنا بناقشك. . وفي الآخر ((كُلّ في تفكيره حر))"

- "لكل مخلوق خالق. . ."

- "إيه دليلك؟ ومن خلق الخالق?"

- "بص، أنا مش هناقشك في الموضوع ده كثير، الإيمان مجرد

إحساس، صحيح أنا مش قارية في الفلسفة والعلوم، بس ده إحساسي، ربنا موجود. . ورحيم قوي!"

- "رحيم؟ بأمرة مجاعات الصومال؟ مش في عندكو آية بتقول:

((الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوفٍ؟ فين ده؟ وعندك مجاعات وقهر لا يوصف، ده غير الحروب هنا وهناك. .))

- "استغفر الله العظيم، ربنا ليه حكمة في كل شيء. أنا شايفة

المجاعات والحروب دي اختبار لآدميتنا وصرنا"

- "وهم ذنبهم إيه؟ عايزاهم يؤمنوا بيه إزاي وهم ميتين من

الجوع. ((لو كان الإله موجودًا، فهو شرير أو عاجز))، ((العظيم دومًا يعلن عن وجوده، ويقول: أنا هنا فاسمعون))

- "لا إله إلا الله. . يزن أنت بتحاول تعمل إيه دلوقتي؟"

- "بحاول أناقشك، أشوف آخرك فين؟ هتيجي إمتي؟"

فلم تعر سؤاله الأخير اهتمامًا وقالت:

- "تناقشني في أساس؟ عشان قریتلك كلمتين أو زادت معرفتك؟
أنت كنت كلية إيه؟"

- "هندسة أزهر"

- "آه صحيح، ما كان كريم قايلي، أقولك حاجة؟ أنا لحد
دلوقتي عمري ما شفت أزهرى يستحق أنه يكون أزهرى غير
الآسيوين والأفارقة"

فأطلق ضحكة في الهواء، وقال:

- "في دي عندك حق. . هشوفك إمتى؟"

فنهضت عن سريها، تفكر بسرعة، تتسارع في ثنايا روحها
لهفة ينتابها القلق، القلق من ذاك الحب العظيم الذي دقَّ
أبواب قلبها كلها. . الحب الذي حطَّم الأبواب، فلم تجد نفسها
إلا باسمه من أمر ذاك الحطام.

- "مش عارفة. ."

- "بتحاربي نفسك ليه؟ استسلمي ليها. ."

- "باستسلمي ليها، هستسلم ليك. ."

- "وهو المطلوب. ."

- يزن. . ."

- "حبيب يزن؟"

- "أنت عايز مني إيه؟"

- "عايزك كلك. . في حد هتقابليه لو جيتي النهارده"

- "مين؟!"

- "تعالى وإنتي هتعرفي. . ."

- "أنت مجرم. ."

- "وإنتي الفضول هيموتك. ."

....-

- "النهاردة السّاعة ١١ بليل. . ماشي؟ .. أنا مضطّر أقفل عشان ورايا مشاوير. . سلام. ."

وأنهى المكالمة، لكن حيرتها لم تنته مطلقاً. دخلت إلى الحمام، تغسل وجهها، وتطالعه في المرآة وكأنّها تفعل للمرأة الأولى:

- "انتي مين؟!"

سألت انعكاسها. . لكنّه انعكاس أخرس خالي الروح، قرين الجسد. .

- "انتي مين؟!"

كررت سؤالها. . ثم:

- "وهتعملي إيه؟ هتروحي؟!"

لكنه ضجيج الصمت من أجابها. . فخرجت من الحمام لأقرب سيجارة، تراود نفسها عن نفسها. . .



وصل أمجد إلى شقة الأميرة، وراح يدق الباب. . ففتح له أخيها الصغير شادي، وراح يطالعه بشغف من وراء الباب، وقال:

- "أميلة نائمة. . يعني الحب مش هيولع في الدلة النهاردة"

وإذا بأمجد يرفع حاجبًا ويقول:

- "اجري صحيها ياد وأنت شبه أبوك كده"

وإذا بالباب يفتح على مصراعيه، فطالع أمجد جثة أبيها الكبيرة وهي تقول:

- "وماله أبوه يا كبدي؟"

فانتفض أمجد للحظات وقال بثبات مُدع:

- "أجدع حما فيكي يا حلوان. ."

- "لا والله؟! خش يا خويا خش. ."

وأشار له بالدخول وهو يطالعه من أسفله لأعلاه. فدخل أمجد بعد أن وضع أكياس الفاكهة على طاولة مجاورة.

- "أنا جاي اتكلم معاكو في موضوع مهم. . أميرة نائمة بجد؟"

فقال والدها بشدة:

- "آه. . استنى أناديلك أمها. . أقعد في أي حته. ."

- "طب ليه العنف ده بس؟ ده انت حبيبي. . وأنا حبيب

بنتك، وقريب هنجيبلك قرد صغير شبهك"

لحظات وانضم والد أميرة وأمها إليه، رحبت به والدته كثيرًا،
ففي قلبها تحمل الحب والأمومة له، قالت:

- "يا دي النور يا دي النور. "

فنهض أمجد يصافحها ويقبل يدها قائلاً:

- "حماتشي. "

وصمت قليلاً وقال:

- "ريحة الملوخية والتقلية مدوخاني. . هي بالأنارب ولا
بالفراخ؟"

فضحكت أمها من قوله وقالت:

- "يا ابني اقعد. يا ساتر. . مفعوج كده ٢٤ ساعة؟ هأكلك
متخفش. . انت ابني. "

- اتبيني والنبى. .

- "ليه أمك مبتطبخش؟!"

- "محدث نفسه زي نفسك يا جميل. . أمي مكبرة دماغها
والواحد أصلاً ملوش نفس يقعد في البيت. .

- "ليه بس؟"

فمر به طيف والده، فانكسر. . وقال:

- "ادعيلي ربنا يهديلي الحال. . المهم. "

ثم نظر لحماه، وقال:

لم تجبه، فنادها مجدداً بصوت أعلى:

- "أميرة!!"

فأجابته بصوت متكاسل:

- "مممممممم"

- "قومي"

- "مممممم"

- "يا بت قومي"

- "مممم"

- "ميجو برا والفرح بعد شهر!"

وإذا بها تقفز عن سريرها:

- "إحلففف"

ثم نهضت عن السرير سريعاً، فاستوقفها أباهَا:

- "راحة فين؟!"

- "مليجو حبيب قلبي"

- "يا بت هتخرجيلو إزاي وإنتي كده.. البسي"

- "آه صح.."

ثم أخذت عباءة من خزانها وتوجهت للحمام سريعاً، راحت تغسل وجهها وتأخذ "لحسة" من معجون الأسنان تغمض به فمها. ثم عادت لغرفتها سريعاً تبحث عن أحمر الشفاه، لتضعه سريعاً، وتضع منه بعضاً على خديها، ووالدها لا يزال واقفاً:

- "لا والنبى؟!"

فأجابته بسرعة:

- "آه والنبى. ."

ثم التفتت إليه وركضت نحوه تحضنه:

- "ربنا يسعد قلبك زي ما بتسعد قلبي"

- "يا بت اتقلي"

- "يا عيون البت. . يا روح البت يا بابا. ."

فلم يسعه إلا الابتسام، ثم الضحك برضى وهو يقول:

- "ربنا يتملكوا على خير، ويرزقكوا بالذرية الصالحة. . يلا،

يلا روحي لعريسك"

فوضعت قلبتها على خده، وحلقت نحو الخارج.

طلّت عليه، فنهض باسمًا كأنه يلقاها لأول مرة، وغلبه

الابتسام، وغلبه الاستسلام. . وما الاستسلام إلا عشق لها، لأطيافها

الجميلة، لروحها التي طغت قلبه، لقلبها الذي شابه قلبه.

مدّ يده يصافحها، مدّت روحها تصافحه. . قال:

- "خلاص هنتدوز"

فقالت ضاحكة:

- "مش قادرة أصدق نفسي يا محيي. ."

- "محيك؟! فصلتيني. ."

وصمت قليلًا وقال:

- "بس بحب أمك! .. أخيراً!"

وأمسك يدها يقبلها، فأتاه صوت أمها:

- "اختشي ياد منك ليها. "

- "في إيه يا حماتي. . ؟ انتي عارفة إني بحبك، وبعدين فين الملوخية؟"

- "ملوخية في عينك"

- "مالك قلبتي على جوزك ليه؟"

- "وماله جوزها يا ولا؟!"

كان ذلك أباهما مجددًا، فانفجرت أميرة ضحكًا، في حين قال أمجد مضطربًا:

- "اللي هو خير وبركة حلوان!"

قالت أم أميرة:

- "يلا يا أميرة تعالي نحضر الغدا. "

فأجابت أميرة:

- "يا ماما أنا عروسة وحرام أعمل أي حاجة دلوقتي. "

- "عروسة على نفسك، يلا يا بت"

فقال أمجد:

- "متروقي يا حماتي، مشبعتش منها"

فقالت أمها ساخرة:

- "بكرة تشبع منها وتتكرع"

- "يا ساتر"

وإذا بأبيها يمسك يده متوجها معه نحو الشُّرفة قائلاً:

- "عايزك في كلام مهم"

وجلسا على كرسيين .

كان والدها صامتًا، يحصي كلماته جيدًا، يزنهما، يضعها أمامه، يختار الأنسب منها . يهيئ صوته ليصبح حاسمًا.

- "بنتي أمانة، تحفظها في عينيك وقلبك . هتكون مسؤول عليها أمام الله، هي الآن بنتي، وفي بيتك أنت أبوها وجوزها . بنتي . حاسس إن طفولتها كلها دلوقتي أنت مسؤول عنها، ومش هيبقالي منها . إلا ذكريات!"

ثم صمتَ للحظات بعد أن خنقت أحباله الصوتية الدموع . وكأنه يسترجع يوم ولدت، ويوم حملها، ويوم عانقها أول مرة . ثم وضع يمينه على عينيه يستر دمهعه . وقال بصوت باكٍ:

- "الله يكتبلكوا الخير، ويوفقوا، ويرزقكوا رزق واسع . ويحمكيوا من كل سوء وأذى . أوعديني تحافظ عليها"

ونظر لعينيه مباشرة، يرجوه أن يصدق الوعد، ويحفظ العهد . فأجاب أمجد بخشوع:

- "أوعدك يا عمي، أميرة في عنيا ."

وصمت، فعهد الرجال لا يحتاج كلامًا كثيرًا كي يُقال . ومدَّ يده يضافحه، وتضافحًا، وولد مع العهد حلم جديد .

أما أميرة، فكانت تساعد أمها في المطبخ بنهم، تفكر بفستانها الأبيض الذي سترتيه أخيراً، حتّى وإن كان مأجوراً، إلا أنّها سعيدة، والسعادة لا توجر، هي تذهب وتعود، كالرزق المذيل بالحظ.

قالت لأمها:

- "مبسوطة يا ماما؟"

- "طبعاً مبسوطة، مش هتحلي عن قفايا؟ ليا خمس سنين مستنية"
فأجابت أميرة ضاحكة:

- "اكدي عليا وقولي إنك مبسوطة"

- "طبعاً مبسوطة يا هبله، أول فرحتي هتتجوز وتتستّر،
وهشوفها في بيتها معززة مكرّمة"

- "هتوحشيني يا ماما"

- "وانتي مش هتوحشيني خالص، ولا أقولك، هتوحشيني من
بعيد لبعيد. انجزي انتي بس واتجوزي، عشان البرتقانة تتقشر
واتظمن عليكي"

فنظرت أميرة صوب أمها مباشرة وقالت:

- "برتقانة إيه؟! وتتقشر إيه؟!"

فأجابتها أمها بأن لاعبت حاجباها مبرح، وقالت:

- "هتعملهم عليا؟! إيه يا بت مستودع قمصان النوم الي
تحت المرتبة ده؟"

فصاحت أميرة:

- "أحييييييه. . انتي شفتيهم؟!"

- "آه يا ختي، ذوقك مخيف. . الله يرحم أيامي، كان قميص النوم بتاعنا شرعي وعليه منشفة هدية"

فضحكت أميرة وقالت:

- "ميجو اللي جايهملي"

وأكملت ضحكاتها بأن جلست أرضًا لا تستطيع حمل نفسها، فسألتها أمها بدُعر:

- "ميجو؟"

فأومأت أميرة برأسها ضاحكةً أن نعم.

فقالت أمها:

- "وانتي بتاخديهم كده عادي؟! دي تربيتي ليكي؟!"

نهضت أميرة وقالت:

- "انتي أعظم أم في الدنيا. ."

وقامت بتقبيلها على رأسها، وهنا عهدُها ولِدَ، أميرة.



- "يلا اصحى عشان مرات عمك وبناتها مسافرين. "

فأجاب أمه بصوتٍ كَسَلٍ:

- "صاحي من ساعة"

فقال قُرب الباب:

- "مفيش حاجة اسمها صاحي من ساعة وأنت ع السرير. "

يلاً قوم!"

فأجابها قائلاً:

- "حاضر يا ماما. "

واعتدل من جلسته، وأحرق رأس السيجارة. راح يفرك عينيه الناعستين، بدا يومًا مريبًا لكنّه لم يدر ما السبب. أمسك هاتفه يبحث عن اسم سيتصل به، لحظات ليحييه صوت مبحوح من الطرف الآخر من الهاتف:

- "أنا ممكن أصدق بروح بوذا عليه الصلاة والسلام، وإن صافيناز مفيش بت هزنتي قدها، وإن أي مصيبة في البلد بالفعل وراها الإخوان. . بس مش هقدر أصدق إن يزن بجلالة قدره بيتصل بيًا بعد سنة غياب. . آلوو. "

فأطلق يزن ضحكة عالية وقال:

- "عليه الصلاة والسلام. . إزيك يا حماسة؟"

وتوجه خارجًا. لم تنكسر وإن مألها الانكسار. . بل توجهت ليسرا
وأما تودعهما، تنثر قبالتها الموجوعة به على وجهيهما، تحضن
جسديهما بلا روح، إذ روحها عالقة معه.

- "يلا يا شمس. ."

وجَّهت حديثها لشمس الصغيرة، التي ودَّعت هي الأخرى
وأما مستضيفيها.

راحت تعدُّ السلالمِ سِلْمَةً، سِلْمَةً، تودع الجدران القديمة،
وذلك المصعد العتيق الذي لا يعمل.

خرجت لتقف قربهُ وهو بصدد إيقاف سيارة أجرة تأخذهما
إلى رمسيس حيث سيصيح القطار المتوجه إلى "البلد". وأخيرًا
وقفت سيارة الأجرة، وروح ليلي لا تريد الرحيل، هي روح تطلب
أن تظلَّ أسيرَةً له، ولو في جيب معطفه، أو قميصه. .

تعمَّدت أن تقف الأخيرة لتستقل أمها وأختها السيارة قبلها،
ثم وقرب باب السيارة وقبل أن تنضم إليهما، وقفت تطالعه،
تأمل وجهه وكأنَّها ستغترب عن وطن وجهه دهرًا.

- "هتوحشونا. ."

نظر إليها، يفهم عباراتها جيدًا، يمنع وصول شوقها إلى فؤاده.
فيتعامل معها ككليطٍ عشقٍ في ضواحي الهجر. قال:

- "توصلوا بالسلامة. . لولا إن ورايا مشوار كنت جيت وصلتكو.
. بس لازم أروحو حالا عشان واحد صاحبي بيظبط لفرحه ورايح
مع الشباب نظبط المسائل"

- "ولا يهمك. ."

ثم وبحركة سريعة صافحته . . وفي قلب كَفّه تركت ورقةً
كحكايا الصبيات العاشقات من زمن الرسائل . . فتأه هي من
زمن الرسائل . .

وانطلقت سيارة الأجرة بها .

كان مذهولاً للحظات، أمسك الورقة المطوية وقام بفردها:

((لا وجود للوجود . . وأنا في معيتك، فاسرقني ما شئت، تحل
لك السرقة، لن أقيم عليك حد السارقين))

راح يقرأها مرارًا، إلى أن حفظها، أعجبه إلحادَ حروفها . فوضع
الورقة في قلب محفظته . . وانطلق لوجهته، إلا أن رسالة ليلى
ذكرته بمفكرة يسرا. فعاد أدراجه ليأخذها. كانت خطوة سريعة
فلم يلحظ وجوده أحد . .

وفي المترو . . تصفح وريقاتها . . كانت وريقات لها ظلال شهد
مُصْفَى، عشق مرسوم بإتقان، وخبايا شوق . . كان يبحث عن
اسم، أي اسم يصل به إلى معشوق هذه الحروف:

((دكتاتور أنت في الحب، وأحب مضايقتك بديمقراطية، فلو
أعلنت أنت الشمس، أعلنت أنا القمر، والبادي في الحب، دومًا
أجمل))

((ولا أعشق أحدًا إلّاك

ومنك يأتي الصبر،

ولك تذوب المعادلات،

ومنك استمد الهوى

وعنك أَدفع الأذى بروحي))

ثم قام بفتح صفحة من المنتصف ليقراً فقرة كانت تناديه
باسمه:

((حين أفكر بأخي محمد، يصيبني عمرٌ من الأمل . أحياناً أود
الاختباء في رحم أمي، أن أعود جينياً . أي أن أعود لخلقي الآخر،
الأول، فأعود لحمًا ثم أعود عظامًا، فمضغة، فعَلقة . فنطفة ثم
نسيًا منسيًا.

فهذا الكون لا يسع طفولتي، وقصص الدُمى والحلوى. وحتّى
حين أفكر بفارسي على حصانه الأبيض، أجد فرحتي منقوصة،
ومحمدًا لا يدري . وأخاف أن يدري ويقهرني . هل تراه، سيحب
أحمد؟؟))

أحمد؟؟ من هو أحمد؟

راح عقله وكيانه يسأل . فراح يقلب المفكرة كالمجنون بحثًا
عن تلك الرسالة التي قرأها بخط حبيبها، وجدها، قرأها مجددًا
فلم يجد توقعه، ثم صدفة قلبها ليجد:

((حروفي متجيش حاجة جمب حروفك، حبييك الشَّرقاوي
على قده جدًا . يارب تعجبك))

للحظة لم يكن قادرًا على استيعاب أي شيء سوى الغضب
والذعر. شعر بالأم مُبرحة أعلى ظهره، شعر بأن جميع من حوله
في المترو يرونه عاريًا لا يداري سوءته سوى سوءة ألعن منها
وأشد منها قسوة. نهض عن مقعده يجوب المترو ذهابًا وإيابًا.

ثم يقف في المنتصف كالأبله. راح يجز على أسنانه حتّى نزف بعضها، امتزج الدّم بريق الغضب والسخط. بدا الطريق طويلاً ليصل إلى رقبة أحمد الشّرقاوي ليفصلها عن جسده، اعتبره خائناً خبيثاً يريد استدراج أخته. . أو أنه استدرجها في أحد الأسرّة؟ من سيحييه؟ لا أحد. .

وما إن وصل إلى محطة محمد نجيب حتّى حلقت به قدميه إلى المقهى المعتاد حيث ينتظره الشباب. شعر برغبة مريرة لشرب المياه فابتاع قنينة من أحد محال البقالة ليشربها دفعة واحدة، ثم اشترى أخرى وقام بتفريغها تماماً على رأسه حتّى ظنه الناس مجنوناً.

لم يبال، شعر بروحه ممسوسة من شياطين الغضب، شعر برغبة ملحة في إخماد ناره كما يجب.

وصل إلى المقهى المعتاد وكان على بعد خطوات منه، حين احمرّت عيناه غضباً كأنهما جمرتين من جهنم. كان أحمد يجلس على قبالة أمجد وعبدالله. .

لحظات فارقة، وانقض على أحمد حتّى سقط بمقعده إلى الخلف، وراح يلكمه في وجهه وهو يجلس على بطنه:

- "يا كلب يا حقير يا نجس. . أختي خط احمر يا ابن الكلب. ."

كان عبدالله وأمجد ذاهلين قبل أن ينتفضا لنجدة الملقى أرضاً غارقاً بدماء وجهه، فصاح يزن وسط توسلاتهما:

- "اللي هيقربلي هموته. ."

ثم وجهه غضبه لأحمد قائلاً:

- "بتستغفني يا صاحبي؟ بتستغفلوني انتو الاتنين وبتكتبوا في أشعار لبعض؟ لو حصل وطلعت لمستها همدفك بإيدي.."

ونهبض يركله بكل ما أوتي من قوة، فاجتمعت الحشود حولهم يحملونه عنه، ويأخذون أحمد يحملونه هو الآخر وقد التهم يزن وجهه بقبضة يديه. قال بصوت منكسر:

- "لمستش منها شعرة وهتجوزها على سنة الله ورسوله"

- "على سنة مين؟؟ انت صدقت نفسك؟ حفرت قبرك بإيدك يا أحمد يا شرقاوي، حفرت قبرك بإيدك.. علقه النهاردة دي قرصة صغيرة، ومن النهاردة اللي بيئا انتهى.."

وإذا بعبدالله يقول:

- "استهدى بالله يا يزن في إيه؟ استهدى بالله.. يقولك هيتجوزها"

وراح يضع يده على كتف يزن الذي أزالها سريعاً عنه بغضب.. وقال:

- "انتو كنتو عارفين؟ آه يا ولاد الكلب.. دي آخرتها يا خونة؟؟ هقتلها"

وبخطوات سريعة تركهم، شعر أحمد أنها قيامته، فراح يصرخ:

- "الحقوه، الحقوه قبل ما يعمل فيها أي حاجة.. أنا كويس.. الحقوها أبوس إيديكو"

فقال عبدالله:

- "روح أنت يا أمجد، أنت أقرب لي مني، الحقه"

فحلّق أمجد خلفه، لكنّه فقد أثره. اندفن يزن وسط المشاة، ثم سرعان ما استقلّ سيارة أجرة. كي يفتك بها، بقلبها. تلك الجميلة.

مضى وقت، مرّ عليه دون أن يدري أين وضعه الله، أكان الطريق مزدحمًا؟ هل استغلّه السائق ليزيد من ثمن الأجرة بدخوله طرق إضافية. سعد السلام سريعًا كأن الموت يلحق خلفه.

قام برن جرس الباب، ثم قام بطرقه بقوة. .

فتحت يسرا الباب، فانقض على رقبتها ودفعها إلى الورا وقد أففل الباب خلفه، وبيده الأخرى أخرج المفكرة من أسفل قميصه وألقاها أرضًا:

- "لمسك يا بت؟"

صمتت يسرا ولم تجبه بل كانت تحدق في عينيه بتحد، قام بصفعها، فعادت عينيها تتعلّق بعينيه، صاح بها:

- "ردّي عليّ؟ رحيلو أي حتة لوحديكو؟"

فخرجت أمه من أحد الغرف تلمم وجهها:

- "حصل إيه؟"

فصاح يزن:

- "ردّي يا سافلة"

فقالت يسرا:

- "السافلة هي دماغك. . محدش في الكون بيحبني زي الشرقاوي"

وإذا به يصفعها مجددًا حتّى سقطت أرضًا. .

دخل إلى أحد الغرف كالمجنون يجلب شيئًا ما، وعاد إليها يشد شعرها الطويل ويقصه كله بمقص يحمله في يمينه. . كانت أمه تصيح باكية لكنّها لم تقترب منه كيلا يثور أكثر فيؤذي يسرا أو نفسه بالمقص، راحت ترجوه وتحلفه بالله لكنّه أبي أن يسمع. فقام بمسكها من ذراعها وهي تحمل شعرها باكية بين يديها، قد قص عشر أعوام من عمرها، وأخذها إلى غرفته وأقفل الباب بالمفتاح بعد أن ألقاها أرضًا. . ونهضت مجددًا بتحد تطالعه بعينين باكيتين. قال:

- "أنا وأحمد كنا بنبدل البنات مع بعض. . عارفة يعني إيه؟"

لم تجبه. .

فأردف قائلاً:

- "نص البنات عنده في الشركة نام معاهم. . مكنتش اتخيل إني أكلمك بشكل قذر زي ده. . بس ده مقامك بعد خيانتني. ."

- "كداب. . مش هصدقك. . أنا مخنتكش ومعملتش حاجة غلط أو حرام"

فأطلق ضحكة عالية وقال:

- "طب خليكي معايا"

وقام بإخراج هاتفه من جيبيه والاتصال بأحد ما وقد وضع هاتفه على وضعية مكبر الصوت:

- "إزيك يا ميرنا؟"
- "إزيك يا زيزو عامل إيه؟"
- "وحشاني موت. ."
- "ولد"
- "عايز أشوفك، وحشاني. ."
- "عايز إيه؟!"
- "عايز أشوفك، وأروق عليكي وتروقي عليًا. ."
- "مش طايقة نفسي ناو ومليش خلق للهازار. ."
- "مش بهزر. . عايزك النهاردة. ."
- "يذن. . أنا يوم ما أحب يتروق عليًا فأنت عارف إن الشرقاوي أول حد هكلمه. ."
- "نسيتي اللي بينا؟!"
- "إيه اللي بينا؟! ليلة؟؟ ليلتين؟ ولا حد يملى عينا غير الشرقاوي. ."
- "طب سلام ناو"
- كانت يسرا تطالعه صامته، قال لها:
- "شفتي يا قطة؟!"
- "أنت أكيد متفق مع بنت رخيصة زيك. ."
- ثم قامت بمسح أنفها النازفة. . فاقترب منها وكان على وشك ضربها مجددًا، وقال:

- " بما إن الحوار وصل بينا للوضاعة دي، فهوريكي شوية صور plus 18 تحفة للشرقاوي وهو بوضعايات مخلّة. "

لحظات وأعطاها الهاتف، رفضت مسكه في البداية لكنّه وضعه في يدها بعنف وأمرها بالنظر، فما كان للصغيرة إلا أن تلبّي مطلبه مُجبرة، ويدين ترتجفان راحت تقلب الصور وقد رأت حبيب روحها يخونها روحًا وجسدًا، يخون طفولتها. .

كان منظرًا بشعًا وحوله العرايا، وحوله كاسات الهوى، وسجائر الخطيئة.

أغشيّ عليها، سقطت أرضًا كأنّها جثة. . وإذا بيزن يبكي لكنه لا يقترب منها، تصاعدت ضربات أمه على الباب ففتح لها باسمًا:

- " زين ما ربيتي. "

صاحت أمه:

- " بنتي!! "

- " متقلقيش يا ست الكل. . مغمى عليها بس. . زين ما ربيتي. . بكرة تاخديها أمراض نسا تكشفي عليها لسه بنت ولا اتضحك عليها. ورجلي على رجلك. ولو محصلش ده هطربق البيت ده ع اللي فيه "

وانصرف. . يلعن هذا الوجود وهذا الحب. . وقد تخلّى عن أبوته لها، وأعلنَ إلحاده بحبها.



عادت لمقاعد الدراسة وضجة المراهقات ودروس العربية التي لا تنتهي. . راحت تتمنى أن تبدأ الأجازة الصيفية سريعًا حتّى تهنأ برؤيته مجددًا. الجرس يرن، لتبدأ حصة وتنتهي أخرى. . منوالٌ عقيم، لكنها اعتادته، فتلك حدود الحلم، وهذا نصيبها من الحياة العملية، لا أكثر ولا أقل. . فقد رفض يزن، أو فلنقل. . رفض محمد أن تكون مُعيدة في الكلية فور تخرجها، ورغم تفوقها والنجاح المنتظر. . إلا أنه أبى أن تسلك ذلك الحلم. . فمات بعض نبضها، ليشرق من جديد فور ظهور فرصة أخرى وإن كانت أقل قيمة، إلا أنها عرضتها عليه. . ليوافق ولو على ماض. راحت تسترجع ذكرياتها معه، شيء ما ينقصها، اتقاد الحب. . حبها المنقوص أوجعها، لكنها تؤمن بتغير الرجل بعد زواجه، واهتدائه بعد ظهور الولد الأول، أو البنت الأولى ولو كانت قد حفظت ليلى عن أمها وجدتها أن الولد أولى. . إلا أنّ بها بعض من ركام إمعية وإن كانت على قدر عال من الثقافة، إلا أنّها امرأة برتبة إسفنجة تمتص الأشياء صمّتا، حتّى إذا فاض منها ما تشربته، لم تكثرث. . لتمتص المزيد.

وأخيرًا، انتهى اليوم الدراسي. . وكعادتها تنسحب دومًا فور انتهائه ولا تلقي على أحد السلام، تلك حدود محمد، أو فلنقل يزن. . وكان عليها حفظها، لتنال رضى. . لن تصل إليه أبدًا. وكانها بغير يعتليها سيد قاس لا يعرف ما الرحمة هي ولا العطف. إلا

أنها كانت راضية مرضية. . وإن نقص ذلك الحب. . أهو فعل اللعنات حين تجتاحنا وقت الحب؟ أهى تلك الرهبة من فقدان من نحب؟ وفقدان حبا المجنون له، وشوقنا الذي لا ينضب إليه؟ هو حب أقرب إلى إدمان لا نصل به إلى النشوة، هي مقدار قاب قوسين أو أدنى من النشوة، لا ذروة. . لا تحليق، فقرب التحليق يُقَصِّ الجناحان، ونهوي أرضًا. . كجثث متساقطة من السماء، جثث هي مزيج من الإنس والملائكة. . ما بين ضعف الإنس، وخلود عشق الملائكة، جثث تهوي بسلام وعلى شفاهها بسمه هزيمة، وحنين!

وصلت أخيرًا، لتصعد السلام، قامت بدق الباب، لم يفتح لها أحد. . فعادت تدقه مجددًا، فلم يجبها أحد. فأخرجت مفتاح الباب الاحتياطي لديها وقامت بفتحه. لتجد أمها أمامها تقف مضطربة بوجه مُصفر، وجبين تتساقط منه حبات العرق، وشفاه بيضاء باهتة وكأنها رأت جنيا.

- "مالك يا ماما؟ في إيه؟ إنتي كويسة؟؟"

- "اتصلي بأبوكي"

- "خير يا ماما في إيه؟!"

- "اتصلي بأبوكي. ."

- بابا عند مراته وابنه عنده حمى. .

وإذا بأمها تجلس على أحد المقاعد وقد خانتها قدميها، فهرعت ليلى إليها تقول:

- "في إيه يا ماما؟؟"

- "شمس..."

- "مالها؟!"

- "نزفت من العملية.."

- "عملية؟! عملية إيه؟!"

- "كانت كويسة، بس لما أم بدوي مشيت.. لقيت شمس
غرقت السرير دم ومش بترد عليًا.."

فانتفضت ليلي تلطم صدرها وتصيح قائلة:

- "عملتيهاها؟! برضو عملتي اللي في دماغك يامه؟?"

وحلقت نحو غرفة الصغيرة، كانت رائحة الغرفة تفوح بالمطهر
والقهر، والصغيرة مُلقاة على السرير، بوجه مُصفر.. وشفاه مهترئة،
وبقايا دموع على مقلتي وجع. هرعت إليها تحضنها وهي تطالع
المفرش المغطى بدمائها. كان جسدها ينتفض، نظرت إليها شمس
وقالت بصوت خافت:

- "سبتيني ومشيتي.."

وأغمضت عينيها مجددًا، أو أغمضها الوجع. فصاحت ليلي باكية:

- "حقك عليًا، حقك عليًا يا شمس يا كل دينتي.. حسبي الله
ونعم الوكيل. اتصلي ع الإسعاف يامًا"

لحظات وانضمت إليها أمها، قالت بشدة:

- "إسعاف لأ.. هيبيلغوا عن أم بدوي، وعندها ولايا بتصرف
عليهم.. وممكن يحصلنا مشاكل. أبوكي أكيد يعرف دكاترة..
كلميه.."

- " أنتي بتقولي إيه؟! البنت سايحة في دمها! وعندها صدمة..
ممكن يحصلها مضاعفات، أنا هتصل بالإسعاف"
- "بقولك بلاش فضايح.. أنا هعملها كمادات ولمون، وهتبقى
كويسة"

- "يا ماما اتقي الله"

وتعالأ أصواتهما، فصاحت الصغيرة:

- "لأ.. متعورينيش تاني لأ."

وراحت تنتفض على السرير، واختفى بؤبؤ عينيها نحو
جفنها. فهرعت ليلي وأمها إليها تهدئانها، أزالأ ليلي عنها
الغطاء فوجدت أسفلها مبلل بدماء حديثة، كانت تنزف بشدة:

- "يا لهوي، عملتو فيها إيه؟ البت هتموت."

ثم رفعت عنها جلبابها لترى ما فعلوا بها فصاحت:

- "هي خيطتها؟"

- "أومال هتوقف النزيف إزاي؟"

- "يا لهوي يا حبييتي يا شمس.. باينلهم قطعولك شريان..
عملتي فيها إيه يامًا؟"

- "عملت الصح بس الظاهر أم بدوي كانت إيديها شديدة
عليها شوية"

- "شوية..!!؟ البت هتموت."

ثم غطت شمس، وراحت تناديها:

- "يا شمس.. يا شمس.. هي عنيها طالعة على فوق كده
ليه؟! يا شمس.."

لكن الصغيرة لم تجب، كانت تُجري حديثًا مع الملائكة، كانوا
يخبرونها أن جنة الله أجمل، قالت لهم أنها تريد أقلامًا ملونة
وأوراقًا بيضاء، لأن أقلامها سريعة القصف، وأوراقها تهترئ بسرعة.
قالوا لها أنها من أصحاب اليمين، فلم تدري ما أصحاب اليمين،
لكنها كانت سعيدة.. لم يسألوها عن الله أو ملائكته أو رسله،
هي مؤمنة بهم فطرةً.. لم يخبروها وقت السؤال.. بل أهدوها
الكثير الكثير من الحلوى..

قالت لهم: وليلى؟ إني أحبها..

قالوا: سترينها ولو بعد حين..

قالت: سأشتاق..

قالوا لها: سترينها ولن تراك..

قالت: أريدها هنا..

قالوا: لكل أجل كتاب..

فصمتت الصغيرة قليلًا، وقالت: كأنني أسمعها تنادينني، أو تبكي..

قالوا لها: تعالي فجنة الخلد في الجوار

ومد لها أحدهم يده.. فأعطته يدًا.. وسارا.



وصل أمجد إلى شقة يزن، وراح يدق الباب، ففتحت أمه
الباب باكية:

- "في إيه يا ابني حصل إيه؟"

- "مممكن أدخل بس وأفهمك كل حاجة؟"

- "والله ما هينفع، أصله قبل ما يخرج حرّج علي مدخلش
حد فيكو البيت. . ده ضرب يسرا وقصلها شعرها"

- "لا إله إلا الله، ده ضرب الشّرقاوي كمان ولسه قافل مع
عبدالله وهما في المستشفى وقالي إن الشّرقاوي اتكسرلو ضلع
وخذ في وشه سبع غرز"

- "حصل إيه يا ابني لكل ده؟ عرف إزاي؟!"

- "الي فهمته إن يزن قرأ حاجات كتبينها لبعض وعرف إن
في بينهم حاجة"

- "كلام إيه الي قرأه؟"

ثم قالت بصوت منخفض:

- "ده قالي اكشف عن بنتي"

وراحت تبكي بحسرة. . فقال يهدئها:

- "وحدي الله يا حجة، بنتك أشرف من الشرف، هو يزن
انفعل بس"

فقال:

- "بنتي وواثقة فيها بس إيه اللي يوصله لده؟"

- "بصي يا حجة متحمليش هم حاجة، أنا مش هطول عليكي
عشان ميحصلش مشاكل، أنا جيت أطمئن على يسرا، هي كويسة
دلوقتي؟"

- "عمالة تعيط، وبوظلها وشها"

- "حصل خير. . خلي بالك منها، وأنا هشوف يزن. سلامو
عليكو".

وانطلق أمجد إلى الخارج، وراح يتصل بيزن، لكن يزن لم يجب،
فعاود الاتصال به، فوجد أنه قد أغلق هاتفه. ثم قام بالاتصال
بأميرة يُخبرها أن تذهب ليسرا لتبيت عندها يومين لتحميها
من بطش أخيها، فهو يعلم أن يزن سيُخرج من وجودها، ممّا
سيعطيه وقتًا ليهدأ، ولو نسبياً.

أما يزن، فوصل إلى شقته الخاصة بعد ساعات أمضاها يجوب
الشوارع مُثقلًا بالشقاء والغضب، وتوجه فوراً إلى البراد ليأخذ
زجاجة فودكا يشربها مباشرة من رأسها، ثم وضعها جانبًا ليتصل
بفرح:

- "محتاجك قوي. ."

- "السّاعة لسة عشرة. . مجتش حداثر"

- "يعني هتيجي؟"

فأجابته ضاحكة:

- "يعني هاجي. "

لكنه لم يبد أي رد فعل، أو بمعنى آخر، لم يُبد رد الفعل المطلوب. فاستشعرت أن هنالك خطب ما فقالت:

- "أنت كويس. ؟"

- "لأ. . عايز أشوفك وتحرريني من اللي أنا فيه"

- "من إيه؟"

- "لما تيجي نتكلم. . استني الباب بيرن، مين الزفت اللي جايلي دلوقتي"

ثم توجه نحو الباب يفتحه، ليجد فرح أمامه تقول باسمه:

- "زفت؟! ده جزاتي إني جاية بدري ساعة عن معادنا؟! زفت؟!"

وقف أمامها محدقًا بها، لم يستوعب الأمر للحظات، لكنّه سرعان ما أخذَ بجمال طلّتها، وعينيها، قمرًا وجهها، ثم هرع إليها يأخذها بين ذراعيه، يضغط عليها بجسده، يقربها إليه، إلى روحه. لبرهة ستعتقد أنه يحضنها، لكنّه في الواقع، كانت هي من تحويه بروحها. لم تفهم الأمر، لكنّها أدركت كم يحتاجها، فوضعت كلتا يديها حوله، وراحت تضغط هي الأخرى بجسدها عليه، وكأنّها بصدد أن تسرقه إلى قُمقم روحها، وتقفل عليه بمفاتيح قلبها.

دخلت إلى الشّقة، تسألّه ما به وقد استنشقت خمره، فقال:

- "متضايق. . شوية. . بس دلوقتي أحسن عشان انتي هنا. وكأنك سمعتي وجعي بينادي، إنتي ملاك. "

- "مؤمن بالملايكة؟"

- "طبعاً . . أومال أنا مؤمن بيكي إزاي؟"

ووضع قبلته على شفاهها. . . وقال:

- "تشريني حاجة؟"

- "أي حاجة ساقعة"

"Vodka? Red wine? White wine??"

- لا . . مبشر بش. .

لم يجبها وانطلق نحو البراد مجدداً يحضر لها "بيسي" . .
أخذتها باسمه، وقالت:

- "إيه اللي مضايكك. ."

- "وحشاني. ."

- "وأنت كمان، مالك؟"

- "وحشاني. ."

- "وأنت كمان"

- "في حد هتقابليه النهاردة. ."

وإذا بجرس الباب يرن، فقال باسمًا:

- "حماسة. ."

وانطلق نحو الباب. . يفتحه. .

وعند الباب كان حماسة، أو شعبان البهنساوي، أربعيني قصير،
شديد السمار، بدين جدًا، شعر صدره يظهر من تحت بدلته

البيضاء، وهناك سلسلة فضية تلف رقبتة. . وله شعر شديد
السواد معرّج يملؤه "جلّ" ما. .

- "حبيب قلبي. ."

صاح يزن، فاستقبله حماسة وابتسامة تملأ وجهه، وأخذه
بين ذراعيه. كانت فرح تطالعهم بشغف، وقد لمحت أن يزن قد
همس شيئاً ما في أذن شعبان، شعبان الذي فور سماعه لما قاله،
رمى بناظره عليها، وكأنّه جندي يتلقى أوامره من سيده. قال
يزن:

- "يلا خش اتعرف على فرح، ع ما أجيبك حاجة تشربها."

فتوجه الأخير نحو فرح باسمًا، في حين نهوض فرح لتصافحه،
فمدت يدها لتفعل، فمد هو الآخر يصاصفها، فانتفضت من هول
المنظر وإن ادّعت ثباتها، فشعبان لا يد له من مفصل الكف،
بدت مبتورة إثر حادث أليم، فأمسكت بقاياها وقالت باسمه:

- "فرح"

- "شعبان البهنساوي، أكبر تاجر قماش فيكي يا مصر، واسم
الشّهرة. . حماسة. ."

- "أهلاً بيك"

- "اتخضيتي من إيدي صح؟"

وأطلق ضحكة بالكاد يُسمع صوتها ولكن من السهل رؤيتها
فجسده بأكمله يرتعش إلى أن ينتهي من الضحك. . قالت بخجل:

- "لا عادي. ."

فقال بصوت منخفض:

- "يزن بيحبك. "

فرفعت فرح حاجبًا، ولم تعقب. .

فقال:

- "طالما جابك هنا، يبقى بيحبك. "

فآثرت ألا تعقب في حين انضمام يزن إليهما، يزن الذي قال:

- "شعبان من أعز أصحابي، وقلت لازم أعرفك عليه. "

فابتسمت فرح وهي لا تدري ما تقول، فقال يزن:

- "متفهم جدًا إنك مستغربة. . وأنا دُغري مليش في اللف والدوران"

فقال فرح بثقة:

- "وبحترم فيك ده. "

والحق أنها كانت ترجوه هي الأخرى أن يكون صريحًا معها وأن يكشف أوراقه جميعها حتى يطمئن قلبها.

فقال بعد أن رشف رشفة من الكأس الذي قدم مثله لشعبان:

- "أنا وفرح يا شعبان كنا بنتكلم النهاردة في مواضيع كتيرة تخص الوجود الإلهي، واتفقشنا فحاجات وكده. "

ثم صمت قليلًا ليشعل سيجارة، ثم بعدها أعطى فرح وشعبان سيجارتين وأشعلهما لهما، وأردف قائلاً:

- "وعرفت إنها لا تزال مؤمنة بالله، ولما سألتها عن السبب، أو الدليل، قالت إحساس. وإحساس ده، يبقى خالتي"

فأطلق شعبان ضحكة صامتة أخرى، وقال:

- "آنسة فرح، زي ما يزن حبيب هارتي صريح ودغري، أنا لازم برضك أكون صريح ودغري"

صمت قليلاً وكأنه يسترجع ماضيًا مزعجًا وهو يحدق في اللاشيء، وقال بعد أن عاد يطالعها:

- "أنا كنت شغال في السعودية من ١٠ سنين، عند تاجر قماش سعودي. من يومي وأنا بحب الصنعة دي، واتعلمت منه أكون تاجر، وكان كريم ابن كريم. لحد ما جالي السكر، وبقت تجيلي الغيبوبة، فاضطر ېمشيني، بعد ما اداني مبلغ أدبر بيه نفسي.."

صمت قليلاً وقال:

- "هان عليه العيش والملمح وقلت ماشي، وكنت بتعذب يوماتي لما الشيخ تاجر القماش الكبير عبدالوهاب عبدالله يجي في بالي.. وهوبا.. خلصت الفلوس، وبقيت استلف وأتداين عشان أأكل مراتي وأولادي وأحميهم من الغابة اللي إحنا فيها دي. بس عمري ما مليت من رحمة ربنا، وكنت يوماتي بدعيه وأنا بيعط. إنتي عارفة يعني إيه راجل يعيط؟؟ يعني اتقسم ظهره وقهرته الحياة."

- "أنا مش فاهمة حاجة.."

وإذا بيزن يجيبها بابتسامة قبل أن يقول شعبان:

- "المهم يا ستي، الدنيا عملت معايا الجلاشة، بس إيماني بالله و يقيني كان موجود.. لأني كنت واثق أنه سامعني، لحد ما في مرة عيل من عيالي جاله سرطان الدم.. كنت هتجنن، اشتغلت كناس وزبال وكل حاجة ممكن تتخيلها عشان أنقذ ابني من الموت ووجع المرض، وما نفعش.. فرجعت لعم عبدالوهاب، وكان ابنه اللي هناك، ناصر عبدالوهاب عبدالله. حكلكو ظروفني وتاريخي مع أبوه، فلقيتو مديني ٢٠٠ ريال وبيطلب مني بالذوق إني مجيش تاني.. وانشغل مع الزباين اللي كان بياخد منهم آلاف مؤلفة.. ادايني منهم ٢٠٠ ريال، وأنا ابني بيموت.. فجأة لقيت نفسي بقرب من درج الفلوس وبسرق اللي تتحمل تشيله إيدي وبطير على برا.. ومحدث شافني.."

وراح شعبان يضحك وهو يدفن بقايا السيارة في المطفأة ويشرب ما تبقى من كأسه جرعة واحدة، وقال:

- "ومحدث شافني ساعتها غير ربنا، وقلت إن زي ما أمر بالستر، هيستر عليًا.. ومسترش عليًا لأنهم قفشوني من كاميرا المحل اللي ركبوها بعد ما مشيت.. وأقاموا عليّ الحد.. بس كده."

شعرت فرح أنه ينهي القصة بطريقة تشاكس فضولها، فقالت بسرعة:

- "مش فاهمة.."

- "مش فاهمة إيه يا آنسة؟! قطعوا إيدي باسم حد الله، كنت مستنيهم يسجنوني، يسفروني.. قطعوا إيدي وهي بلدهم مليانة نهب وفساد وشذوذ جنسي عيني عينك كده.."

ومن هنا تولى يزن الحديث قائلاً:

- "دين إيه ده ورحمة إيه اللي يقطعوا بيها إيد محتاج؟؟!
ياريتهم سجنوه مثلاً، لأ. ده فكرهه بأية قرآنية اللي هي بتاعت
"والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا" . . وقطعوا
إيدو بعد ما أدانوه. . وسفروه مصر. . ورجع هنا يتسول بإيد
مقطوعة، لا وإيه. . ابنه مات. . ومراته سابتة وطفشت. . فين
ربنا من كل ده؟!"

فقال فرح بصوت يكاد يسمع:

- " موجود. . "

فضحك يزن، وابتسم شعبان من قولها وقال الأخير:

- أنا دلوقتي مليونير، وفي الأصل كنت شحات بعد ما جيت
هنا، وحالياً أكبر تاجر قماش في مصر، واسألني عني."
كان في تكراره لجملة "أكبر تاجر قماش" ما يعكس كم هو
حديثٌ نعمة، وحديث قهر. . لم تجبه فرح، وراحت تطالع يزن
بعينين حائرتين، في حين انسحاب شعبان مودعاً.
- "بتعمل كل ده ليه؟ بتحاول تقنعني بإيه؟"

لم يجبها يزن، بل أمسكها من يدها، ليدخلها لِمَا على ما
يبدو. . غرفته:

- "دي أوضتي. . ."

- "و. .؟!"

- "وهنا هجبك. ."

- "هتحنبي إزاي..!؟"

تجاهلها بقوله:

- "وده سريري.. مخدعي"

- "و..!؟"

- "وهنا هحبك.."

وهمَّ يقبلها.. فسلمت له شفاهها، فأحس باسترخائها، فقال:

- "مالك؟"

- "مش هقدر"

- "مش هتقدري إيه؟"

- "أنت بتحاول تقنعني بإيه؟"

- "أنا بحبك.."

- "وأنا بحبك، بس جنس لا.."

- "الجنس حب"

- "متيجي نتجوز؟"

- "الجواز أفضل منظومة على وجه الأرض.. إحنا كده حلوين."

- "مش هقدر.."

فابتسم لها وقد قرص خدها، وقال:

- "وأنا مش هرغمك.."

وراح يتمدد على سريريه وقد أطلق تنهيدة محملة بالشقاء،
وراح يطالع السقف، قال:

- "حببت إني أحط مرايا في السقف زي ما انتي شايقة كده،
كنت بحب أشوفها في أفلام زمان، وعملتها لما جبت الشقة دي،
عارفة هي في مكانها ليه؟"

فصمت قليلاً كأنها تختار إجابتها بعناية، وقالت:

- "عشان لما تصحى الصبح تلاقي نفسك رب نفسك.."

فأطلق يزن ضحكة وقال:

- "إزاي..؟"

- "محدث فوقيك وشايفك غير نفسك.. مش ده مبدأ الإنسان
المطلق، أو العظيم؟!"

فأعدل يزن من جلسته وقال باسمًا:

- "إيه ده إيه ده؟! إحنا قرينا في الفلسفة بقى؟"

- "يعني.."

- "أنا مبحبكيش من فراغ"

ثم ألقى ظهره سريعًا على سريريه وفرد ذراعيه، وأغمض
عينيه.. وعاد يتنهد مجددًا.. فشرع بها تجلس على طرف
السرير، فقال:

- "عطرك تحفة.. اسمه إيه؟"

- "Chanel No. 5"

- "ياااه بجد؟! ده مارلين مونرو كانت بتحط منه.. إنتي عزيمة.."

كانت تنظر إليه بطرف عينيها، يغيرها هدوءه.. كانت تعلم أن شيطانها يجلس قربها.. يغيرها هو الآخر لتمدد قربه.. لم تدعه يغيرها كثيرًا.. فاقتربت منه تنام على ذراعه، فقالت له هامة:

- "ده غلط.."

- "الغلط إنك تكوني جبانة، سجينه نفسك.. حاسة بإيه.."

.....-

شعر بها ترتجف، فأحاطها بذراعه، وقال:

- "أنا أسعد إنسان في الدنيا"

- "أنا عرفت أنت ملحد ليه!!"

- "ليه؟"

- "الغضب"

لم يجيبها..

والتفت إليها ينثر قبلاته عليها.. في حين استسلامها له، لملاك عشقها، وشيطان حبه..

وكانا مَدًّا وجزرًا، وإعصارًا.. ثمَّ نسيماً.. ومَدًّا وجزرًا.. يصعدان يهبطان.. كموجٍ وسطَ بحر، أو دفعةٍ موجٍ تُرسَلُ ماءها لشفاه رملٍ على شاطئ، تُشاكسه، تُراوده، ولا ترواضه أبدًا.. ومن رحيقِ الشفاه، لرحيقِ العُنُق، تبارزت قبلات شوقٍ، وطيورُ

الْحَبُّ تُرْتَلُ تَرَاتِيلُهَا عَلَى أَغْصَانِ صَبْرِهِمَا . . وَتَنْشُدُ مَعَ أَنْفَاسِهَا
سَمْفُونِيَّةً لَمْ تُخَلَقْ إِلَّا لَهُمَا. سَاعَةٌ، سَاعَتَانِ، ثَلَاثٌ أَوْ أَكْثَرُ، لَمْ يَدْرِيا،
وَلَنْ يَدْرِيا كَمْ مَرَّةً مِنَ الْوَقْتِ، إِذْ يَسَابِقَانِ الزَّمْنَ وَكَأَنَّهَا الْقِيَامَةُ.
يَبْدُوَانِ فِي عُجَالَةٍ، لَكِنَّهُمَا صَابِرِينَ، لَيْسَا فِي عُجَالَةٍ. . .
وَهَكَذَا فَعَلْتَ فَرَحَ، أَعْطَيْتَهُ قَلْبَهَا، وَأَلْحَدْتَ بِجَسَدِهَا، وَالرُّوحُ
تَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. . .



٤٩

وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِهَا. . . وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ حَلْمٍ، تَرَكَ أَثَارَهُ عَلَى
جَسَدِهَا. . عَلَى قَلْبِهَا، عَلَى طِفْوَلَةٍ مَنْسِيَةٍ فِي جَسَدِ امْرَأَةٍ، نَضَجَ
عُودِهَا، وَاسْتَوَى. . رَاحَتْ تَطَالَعُ انْعِكَاسَهَا فِي مِرْآةِ السَّقْفِ وَقَدْ
لَا حِظَّ اخْتِفَاءِ يَزْنَ مِنْ قَرْبِهَا. .

كَانَتْ الشَّمْسُ بَارِزَةً مِنْ وَرَاءِ السِّتَارِ، تَعْلَنُ يَوْمًا جَدِيدًا وَقَدْ
أَزَالَتْ خَطَايَا اللَّيْلِ بِخِيُوطِهَا. كَانَ انْعِكَاسُهَا جَمِيلًا وَالغَطَاءُ الْأَبْيَضُ
يُغْطِيهَا. . كَانَتْ تَشْعُرُ أَنَّهَا رُوحٌ سَجِينَةٌ فِي جَسَدِ لَيْسَ لَهَا. . . أَوْ
لَمْ يَصْبَحْ لَهَا. .

أَحْقًا تَمَزَقَتْ تِلْكَ الْعَذْرِيَّةُ؟ وَتَسَاقَطَتْ دِمَاءُ الصَّبْرِ وَالطَّهْرِ؟
تَقَلَّبَتْ عَلَى جَانِبِهَا الْأَيْمَنِ وَقَدْ تَكُورَتْ كَالْجَنِينِ. . ثُمَّ انْتَفَضَتْ
فَجَأَةً وَجَلَسَتْ نِصْفَ جَلْسَةٍ، وَرَاحَتْ تَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ عَلَى السَّرِيرِ
بِيَدَيْهَا وَعَيْنَيْهَا. . . إِلَى أَنْ وَجَدَتْهَا. .

قطرات دماء، منسية. . ولا منسية. . وإذا بها تزيل الملاءة وتحضنها، تقربها إلى روحها. . وترتل تراويل مبهمة. . هي عروس لن يزفوها أبداً، فراحت تبكي وكأنها تجلد نفسها مئة جلدة. . فالجلد أهون من الرجم. ونهضت عن السرير وهي تلف نفسها بالملاءة لتجد ملحوظة ملتصقة بالمرأة:

- "صباحك جميل. . صباحك انتي. . البيت بيتك، أنا في مشاوير مهمة النهارده، هتوحشيني. ."

لبرهة كرهته وقد كرهت اختفاءه، وتركه روحها عارية، كانت تريده في الجوار يطمنئنها. ولم يكن في الجوار. . راحت تستحم، وهي تدري أن روحها قد مسها من الدنس ما مسها. . إلا أنها مياه. ونار الخيبة وجب إخمادها. .

أما هو، فكان في طريقه إلى منزله حيث تنام يسرا موجوعة. .

الآن هو يبحث عن عذرية أخته وقد فض عذرية أخرى. . وصل أخيراً، فبدأ الغضب يشتعل مجدداً في خبايا روحه. . ودون تفكير توجه إلى غرفة الجميلة ليجد أميرة تجلس قربها على سريرها ويسرا نائمة بوجه تعب. . قال ساخطاً:

- "بتعملي إيه يا أميرة عندك؟"

فنهضت أميرة ترجوه بخفض صوته قائلة:

- "البنيت عندها حمى، ومش راضية تاكل من امبارح، استهدى بالله. ."

- "صحيحها وإلا مش هيحصل كويس ولو سمحتي يا أميرة خليكي برا الموضوع"

وإذا يسرا تقول بصوت تعب:

- "أميرة أنا كويسة، هو عايزني في مشوار كده. هروح معاه وجاين على طول. وبلاش تصحي ماما، الضغط علي عليها. ساعة وراجعين.."

ونهدت عن السرير بتخاذل، لم يرق قلبه لها لإصفرار وجهها، وزرقة أنفها وعينيها من تلك الصفعات الساخطة. فهمت أميرة تساعدها على الوقوف وهي ترجو يزن أن يؤجل هذا الأمر، لكنه أبل. وأبت يسرا هي الأخرى تأجيل الأمر.

وقضي الأمر، وارتدت يسرا ثيابًا وارتدت نظارة شمسية. وانطلقا في سيارة أجرة. كانت يسرا تسند برأسها على النافذة بلا أمل، كانت دموعها باكورة ذاتية.. تبكي وإن فقدت قدرتها على البكاء.

ووصلا إلى إحدى العيادات النسائية الخاصة. كان يسير أمامها يقصف ظهره الشك، وكانت تسير أمامه يكسر قلبها الوجع. تفاجأت بأنه قد أخذ موعدًا مسبقًا مع الطبيبة. وقال قبيل دخوله معها إلى الغرفة:

- "سودتي وشي.. أنا داخل معاي ومش عارف أقولها تكشف عليك إزاي.."

لم تجبه، ومسحت دمعها من خلف النظارة. وقامت هي بفتح الباب:

- "السلام عليكم.."

فأجابت الطبيبة من الداخل:

- "وعليكم السلام، اتفضلوا بعد إذذك. "

فدخلت الصغيرة بثبات يلمؤه الانكسار والوجع، وجلست
قُبيل الطبيبة في حين وقوف يزن قرب الباب، فقالت:

- "امبارح كنت بكنس، وأنا دايمًا بحب أكنس بالمكنسة
الخشب مع إن ماما بتحب الكهربائية. "

وراحت يسرا تبتسم مجبرة، وقالت:

- "المهم وأنا بكنس وبجيب المكنسة عليًا، خبطت نفسي من
تحت، وحسيت بوجع، بس مقدرتش اتيقن من أي شيء عشان
الدورة كانت لسه مخلصتش، بس هي دلوقتي خلصت. . . وأنا
حابة أطمئن"

كانت الطبيبة تنظر إليها من خلف نظارتها الطبية وعينيها
تحكيان كلاً ما لا يُقال. ثم وجهت نظرها نحو يزن، فقالت يسرا:
- "أخويا الكبير والوحيد. "

فأجابت الطبيبة بحسم:

- "وأنا مسألتهش. . اتفضلي ع السرير"

فنهضت يسرا وقد وضعت حقيبتها جانبًا، وشعرت برهبة
مريرة بالبكاء إلا أنها وبطريقة عجيبة، أخرست نداء دموعها،
وراحت تتمدد على السرير. . من كان ليظن أنها حين تفتح
رجليها لأول مرة، بأنهم سيتحققوا من طفولتها، وإنسانيتها. .
كانت تطالع السقف، وتطالع روح الله من بعد سماءٍ سابعة. .
وهي لا تستطيع أن ترجوه أن يغض طرفه. . فله الأمر من قبلُ

ومن بعد. . فلم تمنع عُريها أمامه، وإن اكتست روحها الخجل
والخذلان.

- "خدي نفس عميق"

كان ذلك أمر الطيبة، ففعلت يسرا وهي تود لو تكون نسيًا
منسيًا في رحم الموت. وراحت الطيبة تكشف عليها وقد سلمت
يسرا لها أمرها وأمر وجعها المولود حديثًا. . لحظات انقضت. . و:

- "مفيش حاجة. . إنتي كويسة متقلقيش، والغشاء محصولوش
حاجة"

لم تُجبها يسرا وراحت تستر نفسها وتستتر ذاك الدمع المقهور.
ونهدت عن السرير، لتأخذ حقيبتها وتخرج قبل يزن. . لم يسألها
يزن إلى أين هي ذاهبة، فلقد شعر بأنّها نالت قسطها من
الإهانة لذلك اليوم. . وتركها تعود لأدراجها.

خرجت يسرا تبكي للسماء، ويطالعها الناس وأمارات الشفقة
على وجوههم، لم تُبالي. . فالبكاء أحيانًا هو طُهر للروح من دنس
الأم. كانت تبكي لجحيم أخيها الذي أحدثه في طفولتها، ولجحيم
أحمد الذي أحدثه في قلبها. فأخذتها قدماها إلى المشفى التي
يتواجد فيها أحمد، والتي عرفت مكانها من أميرة وقد تحادثا
بالأمس. . كانت هنالك أسئلة، ووجع معمور بالوجع. كان حريٌّ
بها أن تطفئ نارًا، لتشعل أخرى.

ودخلت إلى المشفى، لتصل إلى صالة الاستقبالات وتسال بصوت
يكاد أن يسمع:

- "عايزة أوصل لمرضى هنا، اسمه أحمد الشراوي. ."

لتجيبها موظفة تكاد تكسر أسنانها وهي تمضغ العلكة:

- "الدور الثالث غرفة ٣٠٤، أول يمين بعد الأسانسير"

فصعدت الجميلة، وهي لا تخطط لأي شيء سوى رؤياه، ثم تفنى قرب خطاياه ووجعها.

وقفت أمام باب أنيق يتوسطه من الأعلى رقم ٣٠٤، تنهدت بثقل، وفتحته. كانت الغرفة ثلجية، يفوح منها رائحة وجع أنيق. وكان أحمد بمفرده يجلس قبالة الشُّرفة مرتدياً روب المرضى. وحوله باقات ورد كثيرة، لبرهة تساءلت من من هي؟ فقلبها لازال طفلاً.

لم ينتبه لدخولها إذ كان عاجزاً كفاية، فأثر أن يسرح في ملكوت الشرود. كانت تقف على بعد خطوة منه. . . فكسرت صمتها قائلة:

- "حبيتي ولا كنت بتضحك عليّ؟"

فالتفت ببطء إلى مصدر الصوت الصغير ونهض فوراً ليمسك جانبه العلوي الأيمن وهو يتأوه وجعاً لشعرها الذي قص هدرًا وقال:

- "يسر!!!"

لم تُجبه، بل كانت تطالعه بعينيها الدامعتين من خلف النظارة، وقد سمحت لدموعها أن تتحدث باسمها، فقال:

- "حبيتك، وحبك طهرني من كل دنس. . . سامحيني، حقك عليّ. . . سامحيني. قصلك شعرك؟"

- "وانت قطعت قلبي نُصين. . ."

وتعالى بكائها وقد خلعت نظارتها، ليري آثار صفح يزن لها
على وجهها. قال:

- "هاخذلك ححك.. وديني لأخذلك ححك.."

فقال:

- "سيبو الدين في حاله ياللي متعرفوش دين"

فاقترب منها وقد جلس أسفلها على ركبتيه وقال باكيًا:

- "سامحيني أبوس ايدك.. سامحيني ع الماضي باللي فيه
واقبليني من جديد"

وأمسك يديها يُقبّلها، فخطفتها من بين شفاهه، وهي تنظر
له باكيةً، ثم أحاطت رأسه بكلتا يديها، وهمست بشفقة:

- "حبيبي!"

فنهض بتخاذل وضمّها إلى صدره علّها تسمع أنين قلبه،
فسمعت.. ورقّ قلبها، ولو كان بيدها أن تلجّ قلبه لفعلت..
ثم جلسا على الأريكة الجلدية، ووضعت يداً على كتفه..
وأخرى عانقت قلب يده، همست في أذنه:

- "بحبك.."

"أحبك" حارقة.. "أحبك" موؤدة.. "أحبك" قد لعنت الحب
وأصبحت حدادًا عزاءً دمارًا.. ونظرت مباشرة في عينيه، لم تخشهما
تلك المرة. أرادت أن تستوطن في عينيه أكثر من أي وقت مضى..
أرادت التوغل والتوحد فيه. شدّ على يدها وهو يمسك يدها

الأخرى ليخطفها بين شفاهه . قَبَلَ يدها . وضع قبلاته المتخاذلة
في أنحاء يدها . اليد المسموحة من الجسد . اليد/الجسد .
وكانت تلك القبلة الأخيرة من فجرت باكورة دموعها . قبلها في
كفها . عند أسماء الله الثمانية عشر . وكأنه يخاطب الله سرًا .
- "أكرمتني معها بحق أسمائك الثمانية عشر . . وها أنت
تأخذها مني بعظمة أسمائك الواحد والثمانين" .



٥٠

واكتست أجساد النساء سوادًا . حدادًا على الشمس التي
لفظت روحها طفولتها الأولى والأخيرة . ورحنَ النساء يولولنَ ،
ويبكينَ فجيعتهن . . ويلطمنَ .

عجبًا ، أسيعيد اللطم والبكاء الشمس؟ غابت الشمس ، وغابت
معها ضحكات الفجر . وكانت ليلى تجلس في أحد الأركان ، لا تبكي .
فقط ترمي بناظرها أحيانًا على أقلام شمس الملونة ، وأوراقها
البيضاء ، ودفاترها التي لا تزال مُلقاة كما هي . . وكأنها تنتظر
أناملها الصغيرة لكي تأتي . . ولكنّها لا تأت . .

أمسكت هاتفها تتصل بيزن للمرة الألف بعد المئة ، لكن
هاتفه لا يزال مغلقًا . فنهضت كظل فقد روحه . . أَلقت بنظرها
على أمها التي كانت تبكي بحسرة ، لكن ليلى شعرت بتحجر

فؤادها، ولم تهرع إليها.. ثم بعينها أحاطت جميع النساء
الباقيات، وأخذت حقيبتها. وخرجت في اتجاه محطة القطار، لتفرّ
لمصر وأهلها.

وانقضت ساعات القطار الخمس في وجع، ولم ينبهها أنّها
وصلت سوى سيدة تجلس قريبا. فنهضت كأرملة سوداء تشكرها.
وخرجت من القطار تنهمر مع المسافرين والمشاة. . في محطة
رمسيس المبهجة..

- "شبرا يا سطي.."

فأجابها سائق الأجرة أن نعم. . فجلست في المقاعد الخلفية،
وقالت له وهي تطالعه في المرأة:

- "شغل الراديو بعد أذنك، وياريت لو حاجة قديمة.."

لم يجبهها السائق بل بيديه راح يحرك القرص المتحكم في
محطات الراديو بحثًا عن أغاني الزمن الجميل. . وكانت أم كلثوم
تغني، لكن ليلى لم تميز غنائها. . وقالت:

- "علّي الصوت بعد إذنك.."

ففعل السائق.. . فقالت:

- "عليه أكثر بعد أذنك، وهديك عشرين جنيه زيادة على
أجرتك.."

كان السائق مندهشًا من أمرها، لكنّه فعل ما تريده، وقام
برفع الصوت وهو يطالعه من خلال المرأة. . ثم بعدها وبطبيعة
الحال راح يطالع الطريق أمامه. انقضت لحظات ثم عاد يطالعه

وقد سمع أنيًّا غطى على صوت كلثوم. . ليجدها تبكي بحرقه لم يشهدها على أحد من قبل.

كانت تبكي وتحرك جسدها إلى الأمام والخلف وهي تحضن حقيبتها. كان سيقوم بإخراجها من السيارة لولا ملاحظته لارتدائها الأسود، فرجح أن مات لها حبيب فربط الأمر ببكائها، وراح بأنانية الغرباء، من لن يهتموا لأمرنا، يطالع الطريق أمامه مجددًا، وقد قام برفع الصوت للمرة الثالثة، وهو يفكر بأمر العشرين جنيها الشهية.

* * * * *

٥١

- "يسرا عاملة إيه؟"

كان ذلك أمجد يسأل أميرة هاتفيًّا، فأجابته أميرة:

- "كويسة. . كانت عند الشراوي في المستشفى"

فصاح أمجد قائلاً:

- "يا نهار أبوكو أسود!! يزن عرف؟؟ أنتو مجانيين؟!"

- "اهدى بس. . لأ معرفش! راحت قعدت معاه شوية،

صعبانين عليًا قوي"

- "وهو سابها تخرج كده عادي؟"

"لا. أصلو أخذها مشوار كده الصبح وبعديه على طول
سابها وراحت هي لأحمد."

"مشوار إيه؟"

"معرفش."

"إيه الدوشة اللي عندك دي"

"أصلي خرجت ع البلكونة، لأن ليلى جت فجأة كده. وفي
حاجة غريبة"

"حاجة إيه؟!"

"البتت لابسة أسود فأسود كأنّ ماتلها حد، وعنيها اتعدموا
من كتر العياط. هي معيطتش قدامنا، بس باين قوي إنها كانت
بتعيط وبغباء. أنا مش عارفة إيه اليوم الغريب ده."
- "غريبة..."

"المهم، مفيش أخبار عن يزن؟"

"لأ. قافل موبايله. بس أنا تقريباً أعرف هو فين..."

"فين..."

"الأزهر!!"

"إيه؟!"

"زيمبئولك كده. أصله بيحب المكان ده قوي، المكان
بيساعده على النكاه الفكري."

"لا والله؟! طب واحشني يا بو نكاه."

- "وإنتي كمان والله.. بقولك إيه.."

- "خير يا حبيبي؟"

- "حاسس إحساس غريب.. ومش عارف اتعامل معاه، أو أفسره.. غير إني أقولك إني بحبك ومش هحب حد زيك.."

- "وأنا كمان بحبك.. بس قلقنتني.."

فأطلق أمجد ضحكة منهزمة، وقال:

- "ومش هعرف أطمنك.. بس.. معقولة كمان ٦ أيام هتكوني مراقي؟ معقولة بقى عندنا شقة منحلمش بيها؟! معقولة الدنيا حلوة وجميلة قوي كده؟!.. مش عارف"

- "أنت بس متوتر عشان معاد الفرح قرب.."

- "يمكن"

- "يمكن إيه؟! ده أكيد!"

- "مش متعود من الدنيا أنها تكون حينية.."

- "تفائل يا ميجو وخليها على الله"

- "ونعم بالله، يلا أنا هشوف يزن وابقى أطمنكوا.."

- "ماشي يا روبي ربنا معك.."

- "أميرة؟؟"

- "عيونها.."

- "هتوحشيني.. قوي!"

- "وأنت كمان، متقلقش أحبي هنتكلم كمان شوية. . خلص
أمورك وتعالا روحني وتتعشى سوى... عاملين فته"

- "أيوه بقى. . سسسسسسس. . أفتتوا!!"

وراح يضحك، بالرغم من ثقل فؤاده. . وانتهت المكالمة



٥٢

ساحة بيضاء طاهرة، تحوم حولها الملائكة، حول التائهين،
المتعبدين منهم. . والزائرين. .

وكان يجلس يزن في الساحة، يستند بظهره على أحد الأعمدة
البيضاء، يطالع الساحة. . والبشر. . ثم السماء بلا عمد. . باحثًا
عن السكينة، ولكنه لا يجدها، ولا تجده.

وأغمض عينيه سهوة، وخشي أن يشهد كابوسًا يقضي على
يومه، ففتح عينيه ليجد أمجد أمامه يطالعه باسمًا. . فقال
بصوت تعب:

- "بتعمل إيه هنا؟"

فأجاب أمجد:

- "جاي أقعد مع صاحبي"

- "أنا مش صاحبك. ."

- "عندك حق. . أنا أخوك"

- "ميجو امشي من هنا"

- "طب بزمتك حد يبقى زعلان من حد وينادييه باسم دلعه.
. .؟ طب والنبي لانت قايلها مرة كمان!"

- "لو سمحت امشي من هنا. . أنا عفاريت الدنيا بتتنطط
حواليا دلوقتي"

فنظر أمجد حوله وقال:

- "فين ده؟! أنا مش شايف أيتوها عفاريت. . وبعدين
العفاريت متتجرأش تيجي هنا. . إحنا العفاريت يا صاحبي"
ثم وضع يده على كتف يزن الأيمن، ولبرهة استكان يزن وكان
يود لو يحضن أقرب أصدقائه ثم يبكي. . لكنه أزالها بعنف،
ونفض قائلاً:

- "سايبهالك وماشي. ."

وسار بخطى سريعة نحو الخارج غير مكترث وهو يُعيد
تشغيل هاتفه مجدداً ليتصل بفرح، كان يسمع نداءات أمجد له
من خلفه لكنه لم يجبه، وانشغل بمكالمته:

- "فرح. ."

- "غبت، وسبتني!"

- "غصب عني، أنا جايلك. ."

- "وهتطمني؟"

- "أطمئنك من إيه؟!!"

- "تقولي إني بنت كويسة وشريفة وإنّ نقطتين الدم ملهمش علاقة بشرفي.."

- "إنتي بتقولي إيه?!!"

ومن خلفه أتاه صوت أمجد عاليًا:

- "استنى بس يا إبنى!!!"

فاستدار له يزن غاضبًا:

- "عايز من سمايا إيه؟! أنا مش عايز أعرف حد فيكو تاني.. أنتو خونة"

فصاح أمجد وبينهما السيارات إذ قطع يزن الطريق خلفه وقال كالمجنون وعلى فمه ضحكة عجيبة، كم بدا وجهه فيها جميل:

- "وأنا بحب أمك اللي جبتك يا زيزو.. تعالا بس.."

فأشاح يزن بيده وأدار له ظهره، لسمع من خلفه اصطدام عظيم.. ظلّ يطالع المشهد غير مُدرك لشيء، وقد أكل الويل لسانه، ظلّ صامتًا.. ثم قال لفرح بهدوء:

- "أمجد خبطتو عربية..."

كانت فرح تهذي لكنّه لم يسمعها، فقال لها مجددًا:

- "أمجد خبطته عربية.. أمجد!!!"

وركض إليه كالمجنون.. وركع إلى جواره يحمل جزأه العلوي:

- "أمجد.."

لكن الأخير كان يطالعه وهو يرتجف ويصق الدماء . فصاح يزن:
- " لا بقولك إيه متستهبلش. . . دي خبطة بسيطة استرجل. . . "
وراح يضحك كالمعتوه وهو يضمه إلى صدره.

في حين همس الأخير:

- أميرة!!!

وتجمع الحشود، واتصل فاعل خير بسيارة إسعاف، أخذتهما
إلى أقرب مستشفى.



٥٣

تعانقنا الفجيعة، ولا تسألنا ما إذا كنّا نشتهي عناقها لنا أم لا،
بل إنها تفعل ولا تبالي، وإن سألنا: لِمَ؟ ..
قالت:

- أوصاني بكم الأم. . وإني أنفذ الوصية. .

وها نحن في غرفة الانتظار مجدداً في المستشفى، وقد ظهر
الشرقاوي وعبدالله وأميرة باكية قرب والديها ووالدي أمجد،
ومعها يسرا. . تود لو تعانق أخيها، ولكنها لا تفعل. . وليلى تقف

في ركنة مجاورة تطالعهم بصمت. . في حين وصول فرح متأخرة قليلاً، تحاول أن تقرأ الوجوه ولكنها تفسل. . حتّى عندما مرّت عينيها بعيني يزن. . لم يطمئنها شيء، فلم تقترب أكثر، ثم استقرت عينيها على الأرملة السوداء، بالألم الظاهر على سمارها. . أما الشّرقاوي، فكان يطالع صديقه بعجز، ثم اقترب منه بقلق وقال:

- "ربنا يكتب الخير، متقلّش يا يزن. ."

وراح يطالع قميصه المضرّج بدماء أمجد. . وعاد لمكانه يستند على الحائط يبكي، ثم بعينه مرّ بيسرا التي كانت شاردة. . فعاد يشرد هو الآخر.

وكان والد أمجد واقفاً يدّعي الصمود، وقلبه يبكي ألف عام وهو يذكر محادثته الأخيرة مع أمجد، ويذكر كم كان قاسياً أمام خذلان ابنه. . .

وعبدالله كان يدعو الله ولا يملّ استغفاراً، فاطمئنت له فرح وكأنّها تريد أن يهلّ عليها بعضاً من بركاته، فاقتربت منه وقالت هامة:

- "ممكن دقيقة بعد إذنك. . ؟"

فرجع عبدالله ناظره إليها سريعاً، ثم عاد يغض بصره، ويقول مُرحّباً:

- "أكيد. ."

وسارا على بعد خطوات منهم، وقالت:

- "أولاً أنا اسمي فرح، ومعرفش حد فيكو غير يزن. . . واللي عرفته أنه صاحبه عمل حادثة. أنا بس عايزه أعرف حد من أهله هنا أواسيه؟"

فقال عبدالله:

- "كلنا أهله. . . بس بصي حضرتك، الحجة اللي واقفة على اليمين والراجل اللي جمبها دول أهل أمجد اللي عمل حادثة، والآنسة اللي بتعيط جمبيهم دي مع الحج والحجة اللي حضينها، دي أميرة خطيبته ودول أهلها. . والبنوتة أم شعر قصير دي تبقى أخت يزن. ."

فراحت فرح تطالعها بحب قبل أن يكمل عبدالله حديثه قائلاً:

- "والشَّاب اللي بعافية شوية واقف هناك ده أحمد، وأنا اسمي عبدالله. . صحاب يزن. . إن شاء الله. ."

صمتت فرح قليلاً وقالت:

- "ممم. . والسمرا أم أسود فأسود دي مين؟"

فقال عبدالله سريعاً:

- "ياااااه. . تصدقي مخدتش بالي إن ليلي هنا؟ . . ليلي دي تبقى خطيبة يزن"

صمتت فرح للحظات، ثم قالت:

- "مش فاهمة. . خطيبته إزاي؟"

فراح عبدالله يضحك بانhezam قائلاً:

" - زي الناس.. في الحياة. "

ثم التفت إلى الدكتور الذي خرج لهم أخيراً وقال لها سريعاً:

" - عن إذنك "

ليتركها في الدركِ الأسفل من الصدمة. .

في حين توسط الطبيب بينهم وقوله:

" - حاولنا على قد ما نقدر.. أنا آسف.. البقاء لله!! "

وهذا هو الموت، الزائر الذي لا يستأذنا القدوم، بل يأتي كما يشاء محملاً بالسواد. . إذ عنده دوماً تأشيرات الدخول وقبض الروح.

عبدالله والشرقاوي كانا يبكيان قرب يزن، وهنا ركع يزن، وراح يصيح وسط الباكين، ويصرخ عاليًا:

- لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله محمد رسول الله!!!!!! حكمتك وآمنت بيها يارب. إنا لله وإنا إليه راجعون.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وراح يبكي كطفل يتيم، ولا يوارى سوءته شيء.. وفرح تطالعه من بعد ذاهلة.. وعينيها تدمعان..

ثم تمرر عينيها على أميرة التي لن تكون يومًا أميرة، وتراها تسقط أرضًا وتتלוى من الألم وقد حلَّ عليها الفقد، وحولها والديها يبكيان ويحاولان تهدئتها.. أما أم أمجد، فجلست على الأرض تبكي:

" - ابني.. لااااااااا.. ابني.. "

ثم تلطم وجهها. . في حين وقوف أبيه قربها كالصنم. . وراح يتمتم:
- "هو أنا كلت من البطيخة اللي جابها ميجو آخر مرة؟؟
باينلي مكلتش. . . طب. . طب. . عينتلي منها يا أمو أمجد؟
قولي آه والنبي. . أصله هيفرح قوي لما يعرف إني كلت منها. . أو.
. أو ممكن ناكل منها أنا وهو النهاردة لما نروح. . مع سيجارتين،
وكوبايتين شاي في الخمسينة. . ولا إيه يا أم ميجو!!"

وهنا تحركت ذات الرداء الأسود ليلي، وقد راحت تبكي أضعافاً
مضاعفة وهي تقترب من يزن، تركع قربه، تحاول محادثته،
فيرفع ناظره إليها. . لبيكي أكثر وهي تمسح دموع قلبه فيأخذ
يدها يقبل كفها. . .

كم بدت ليلي طاهرة متطهرة حتّى أصاب فرح الوجع. . .
وراحت تقارن بين طهرها، وما تراه قبيحاً في نفسها. . ثم أطلقت
ضحكة لم يسمعها أحد. . وانصرفت تحصي الوجع.



٥٤

قادت فرح إلى مصر الجديدة. . وكانت تسابق الرياح، وقد
انتابتها هيسستيريا الضحك، لتترجل من سيارتها، لتقف أمام محل
كبير سمعت عنه في أحد مواقع الإنترنت. . . وكان مغلقاً. . فراحت
تتعلق بالزجاج وكأنّها تتمنى الدخول، ليأتيها صوت من خلفها:

- "بنفتح من ٤ ل ١١ يا أنسة. . ."

فالتفت إليه وقالت:

- "أنت صاحب المكان؟"

أجابها:

- "آه.. وساكن هنا.. نزلت أجياب سجاير.. تحبي افتحه

ليكي حالاً؟"

- "يا ريت.."

وابتسمت له وفي روحها براكين ألم لا فوهات لها..

- "أول مرة تعلمي تاتو؟ ولا عملتية قبل كده؟"

- "لأ خالص.. دي أول مرة.."

- "تمام.. بصي الموديلات عندك أهى.. أسيبك تبصي فيها

براحتك وتختاري الأحسن منها.."

- "لأ.. مش عايضة رسمة، عايضة كلام.. كلمة.. على كتفي

الشمال من ورا.."

فابتسم لها قائلاً:

- "كلمة إيه؟؟"

- "كلمة بالخط الكوفي.. والتشكيل.."

ثم صمتت قليلاً وقالت:

- "ملحدة"

